الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في التاريخ تخصص تاريخ الغرب الإسلامي العصر الوسيط-

الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الأوسط (ق6-9هـ/12-15 م) من خلال كتاب -مناقب صلحاء الشلف –لموسى بن عيسى المازوني

إعداد الطالبة:

- **إكرام بلعربي**

اشراف الأستاذ:

- **د. عبد الرحمان كريب**

الاعضاء	الرتبة	الصفة
عبيد بوداود	أستاذ جامعة ابن خلدون تيارت	رئيسا
كريب عبد الرحمان	أستاذ محاضر -أ- جامعة ابن خلدون تيارت	مشرفا ومقررا
نوارة شرقي	أستاذة محاضرة –ب- جامعة ابن خلدون تيارت	مناقشا

السنة الجامعية 1446-1447هـ/2024 -2025م

بسم الله الرحمان الرحيم

«رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ »

سورة النمل، الآية 19

الشكر والعرفان

الحمد والشكر لله الذي تتم بنعمته الصالحات

فله الحمد ظاهرا وباطنا على نعم لا تحصى وفضائل لا تنسى، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

وأتقدم بخالص شكري وعظيم امتناني إلى أستاذي الفاضل الدكتور:

عبد الرحمان كريب على نصحه ومتابعته لي من بداية تحضيري إلى إتمامي العمل وعلى صبره وأسلوبه الراقي في التعامل طيلة المسار البحثي.

وأرفع آيات الشكر والتقدير لكل أساتذتي الطيبين الذين عرفتهم في رحلتي العلمية في كامل الأطوار.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد لإنجاح العمل من أهل وأصدقاء وزملاء.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من ضحوا بكل غال ونفيس كي أرسم مستقبلي

إلى والدي وهذه ثمرة صبركم أهديها لكم بكل فخر وامتنان

وإلى إخوتي من كانوا خير سند لي في حياتي

وإلى كل من مد لي يد العون:

أساتذتي الكرام

صديقاتي العزيزات.

قائمة المختصرات الواردة في البحث:

المختصر	المصطلح
الخ	إلى أخره
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	الجزء
در	دراسة
د ب ن	دون بلد النشر
د د ن	دون دار النشر
د س ن	دون سنة النشر
ه	التاريخ الهجري
ط	الطبعة
م	التاريخ الميلادي
مج، مر	المجلد، مراجعة
ع	العدد
ص	الصفحة
ص ص ص ـ ص	من الصفحة ... للصفحة
ص، ص	الصفحة كذا والصفحة كذا

مقدمة

مقدمة

أدى التصوف منذ القرن السادس الهجري دورا محوريا في تاريخ مجتمعات الغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، حيث تفاعل الكثير من المتصوفة بشكل وثيق مع هموم الناس اليومية، ولم ينعزلوا عن واقعهم، وتمكنوا بحكمتهم وخطابهم الروحي الأصيل من تخفيف حدة التوترات الاجتماعية التي شهدتها المنطقة بين الحين والآخر، ومواجهة العديد من الأزمات التي عايشتها، مما أكسبهم احتراما واسعا بين جميع فئات المجتمع، من عامة الناس إلى نخبهم.

ويعد الخطاب الأخلاقي أحد المرتكزات الأساسية في التجربة الصوفية، إذ يشكل أهم وسائل تحقيق البعد السلوكي الروحي الذي يسعى من خلاله المتصوفة إلى تهذيب النفس وتطهير القلب والاقتراب من الكمال الإنساني وإن كان ذلك لا ينطبق بصفة شاملة على كل المتصوفة. إلا أن بعضهم نجحوا في تحقيق مساعيهم إلى حد كبير، بفضل رسالتهم الإصلاحية القائمة على القيم الأخلاقية والتهذيب الروحي، والتي وجدت صدى قويا في مجتمعات الغرب الإسلامي، خاصة في عصر طغت فيه المادية وزخارف الحياة الدنيا.

وقد تجلى هذا الخطاب في مصادر متعددة، كان من أبرزها كتب المناقب التي دون فيها المتصوفة أو أتباعهم سير الصالحين والعارفين بالله ، لا بغرض التوثيق التاريخي فحسب، بل بهدف ترسيخ نماذج أخلاقية يقتدي بها، وتقديم تصور مثالي عن السلوك الإنساني في ضوء القيم الروحية للإسلام ومن خلال الحكايات والمواقف والمجاهدات التي تزخر بها هذه المؤلفات، يتجلى لنا خطاب أخلاقي غني يتراوح بين الدعوة إلى الزهد والتواضع والتحذير من الكبر وحب الدنيا، وتأكد فضائل الصبر والرضا والتوكل و غيرها من القيم التي تمثل جوهر التربية الصوفية.

لقد حمل بعض المتصوفة مشعل الإصلاح الاجتماعي والدعوة إلى القيم النبيلة، من خلال منهجهم القويم وخطابهم الصوفي الراقي، الذي ترك بصمته العميقة في تاريخ المنطقة. وتجسدت هذه الروح الإصلاحية في مؤلفات نفيسة تعد منارات للفكر الروحي الأخلاقي، منها كتاب " مناقب صلحاء

الشلف "لأبي عمران موسى بن عيسى المازوني، الذي يعد تحفة نادرة تجسد الحكمة الصوفية في أبهى صورها.

وعلى ضوء التقديم تظهر لنا مسوغات إختيار لموضوع " **الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الأوسط من خلال كتاب صلحاء الشلف"** حيث يعرض لنا هذا المؤلف المناقبي آلية الخطاب الصوفي في التأثير على مجتمع المغرب الأوسط، ولا ريب فإن منبع هذه القيم الأخلاقية هو القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو الذي تفتقر إليه مجتمعات اليوم بشدة.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه:

يكشف عن الدور الاجتماعي والأخلاقي للتصوف في المغرب الأوسط، مما يساهم في فهم أعمق لهذه الظاهرة كأداة للإصلاح الاجتماعي والأخلاقي ما بين القرنيين 6_9هـ/ 12_15م.

- يسلط الموضوع الضوء على تأثير الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الأوسط في تشكيل القيم المجتمعية.
- يربط الأدب المناقبي الواقع التاريخي: فكتاب " مناقب صلحاء الشلف" يعد مصدرا هاما لدراسة التفاعل بين الخطاب الصوفي والسلطة والمجتمع، مما يقدم رؤية جديدة لعلاقة المتصوفة بالمجتمع والسياسة.
- يساهم البحث في توثيق التراث الصوفي للمغرب الأوسط، خاصة عبر نصوص المناقب التي تكشف عن أدوار الأولياء في حماية المجتمع وتوجيهه أخلاقيا.

وقد كان اختيار الفترة الزمنية الممتدة من القرن 6هـ إلى القرن 9هـ/12م إلى15م لدراسة الخطاب المناقبي في المغرب الأوسط وتأثيراته لعدة اعتبارات علمية وتاريخية:

- إذ تمثل هذه الفترة عصر التأسيس المؤسساتي للتصوف في المغرب الأوسط، حيث تحول من تجربة روحية إلى قوة اجتماعية وسياسية، مع تركيب خطاب مناقبي يعكس الهوية المحلية والتفاعل مع الإرث الإسلامي الوسيط، خاصة مع ظهور الطرق الصوفية، وبروز أعلام للتصوف لهم تأثيرات قوية في المجتمع

- وتحول التصوف من ممارسة فردية إلى ظاهرة جماعية مؤثرة مع ظهور مصطلحات مثل "الولي" و"البركة" و" الكرامات" في الخطاب المناقبي.
- كما برزت دويلات محلية (كالزيانيين في المغرب الأوسط، والحفصيين في المغرب الأدنى، والمرينين في المغرب الأقصى) جعل من المتصوفة وسطاء بين السلطة والمجتمع، حيث استخدم الخطاب المناقبي كأداة لشرعية النفوذ الديني أو حتى السياسي.

وعلى هذا الأساس تشكلت لدينا مجموعة من الدوافع ألهمتني للبحث في هذا الموضوع تتمثل فيما يلي:

- **دوافع ذاتية:**
- أن التصوف يتضمن معاني الارتقاء الروحي وتزكية النفس والمنهج القويم لإصلاح الفرد والمجتمع.
- رغبتي في اكتشاف المكونات الثقافية والدينية لمجتمع المغرب الأوسط.
- التأثر بالأولياء والصلحاء من خلال شخصيتهم الملهمة وكتاباتهم ذات العمق الروحي.
- **دوافع موضوعية:**
- حاجة المكتبة الصوفية والتاريخ الاجتماعي والثقافي لدراسة متعمقة وشاملة لكتاب مناقب صلحاء الشلف، واستنباط ما يكتنزه من معلومات تاريخية تشح بها المصادر الموروثة.
- أثر الخطاب الأخلاقي المتضمن في كتاب صلحاء الشلف، وما يحمله من تأثيرات ومعاني، وتسليط الضوء على القيم الأخلاقية كما يصورها التراث الصوفي.
- التعرف على أهم المراحل التي انتقل فيها التصوف من طابعه النظري إلى المرحلة العملية.

وقد تمحورت هذه الدراسة حول الإشكالية رئيسية الموالية: **كيف انعكس المنحى الأخلاقي في خطابات متصوفة المغرب الأوسط من خلال كتاب " مناقب صلحاء وادي الشلف"؟ وما تأثير هذا الخطاب في تشكيل الوعي الديني والاجتماعي و الثقافي ؟.**

وتفرعت عن الإشكالية المطروحة مجموعة من التساؤلات ستساهم في معالجة الموضوع تمثلت فيما يلي:

- ما حقيقة التصوف في نشأته؟ وكيف تجذر بالمغرب الأوسط؟
- ماهي تجليات الخطاب الأخلاقي الصوفي من خلال كتاب صلحاء الشلف؟

- هل عكست الخطابات الصوفية وسيرهم الوارد في كتاب مناقب صلحاء الشلف قيما والدروس أخلاقية؟
- ماهي تأثيرات الخطاب الأخلاقي الصوفي على مجتمع المغرب الأوسط؟

واعتمدت في بحثي على المنهج التاريخي مع الاستعانة بجملة من أدوات البحث من استقراء وتحليل لمختلف النصوص المناقبية التي تضمنها المصدر الأساسي في دراستي وهو **"مناقب صلحاء الشلف"** ومصادر أخرى متنوعة لا تقل أهمية عنه تصب في نفس المنحى المنقبي التصوفي، وذلك بهدف استنباط ما تحمله الخطابات الصوفية من قيم أخلاقية وما ترمي إليه من أبعاد إصلاحية.

والوصف الذي استخدمته في وصف بعض أحوال الأولياء، وتارة أخرى في وصف أوضاع البلاد خلال الفترة المدروسة.

لقد لامست بعض الدراسات التي تمكنت من الاطلاع عليها جوانب عدة من موضوع بحثي وتقاطعات معه في مواطن مختلفة، ولكن يبقى موضوع خطاب المناقبي الصوفي، وما يحمله من قيم أخلاقية، ومدى تأثيره في مجتمع المغرب الأوسط، متميزا في حقل البحوث التاريخية والدراسات الأكاديمية.

إلا أني استفدت منها كثيرا سواء على المستوى المنهجي أو على المستوى المعرفي، ويمكن تمييزها إلى صنفين:

- **الصنف الأول**: تمثلت في مؤلفات التحقيق لنسخ" مناقب صلحاء الشلف" لموسى بن عيسى المازوني، من قبل الباحثين الدكاتره: عبد القادر بوباية2017م، غرداوي نور الدين2017م، عبيد بوداود2015م، لقد بذل هؤلاء الأساتذة وسعهم –مشكورين–في إخراج هذا المؤلف إلى النور فاستفاد منه الباحثون في التاريخ الاجتماعي والثقافي للمغرب الأوسط بشكل عام وتاريخ التصوف على وجه الخصوص، وإلى جانب جهودهم التحقيقية، أرفق الباحثون دراساتهم الهامة حول المؤلف والمؤلف، كانت في غاية الأهمية بالنسبة لبحثي.
- **أما الصنف الثاني**: فهو ما يتعلق بتاريخ التصوف والمتصوفة في المغرب الأوسط من أبرزها:

كتاب أ.د عبيد بوداود "التصوف في المغرب الأوسط الجزائر خلال العهد الزياني (962 – 633هـ /1554 – 1235م)" الذي استعنت به في دراسة بعض أعلام التصوف والأدوار السياسية للمتصوفة بالمغرب الأوسط. إلى جانب محاضراته "التيارات الصوفية في المغرب الإسلامي" والتي ألقاها على مسامعنا في جامعة ابن خلدون بتيارت، والتي أفادتني في تتبع ظهور التصوف وانتشاره من جهة، والتعرف على بعض الكتب المناقبية القيمة المساعدة في الدراسة.

كما استعنت بمقال لسوهيلة بن عتسو" الخطاب الصوفي بين الماهية والمرجع" وكانت مواطن الإفادة منه حول الخطاب من حيث ماهيته ومصادره. وبالإضافة إلى الأطروحة القيمة للدكتور الطاهر بونابي الموسومة ب"الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين (8 – 9 هـ)" والتي أفادتني كثيرا في تبين أثر الخطاب الصوفي والمتصوفة في حياة مجتمع المغرب الأوسط. وغيرها من الدراسات الهامة الأخرى أثبتها في مصادر البحث.

متبعة في ذلك خطة منهجية بناءً على ما توفر من مادة مصدرية، وقد جاءت خطة الموضوع على النحو التالي: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي للبحث:

وتناولت فيه السياق الجغرافي والتاريخي للمغرب الأوسط والتصوف فيه وذلك بتعرض للمغرب الأوسط جغرافيا وتاريخيا ثم انتشار التصوف بالمنطقة ويليه ذكر مدارس التصوف وأهم أعلامها كمبحث أول، ثم تطرقت في المبحث الثاني: كتب المناقب مصدرا للخطاب الأخلاقي الصوفي، الذي أوضحت فيه كتب المناقب وأهميتها في تاريخ التصوف في المغرب الأوسط، بينما تطرقت في المبحث الثالث إلى التعريف بموسى بن عيسى المازوني: وعصره.

الفصل الثاني: تحليل الخطاب الأخلاقية في كتاب صلحاء الشلف:

وهو الآخر انقسم إلى ثلاثة مبحث عالجت في المبحث الأول المفاهيم الأخلاقية في الخطاب الصوفي من خلال ضبط مفهوم للخطاب الأخلاقي في التصوف وتناولت الخطاب الأخلاقي في مناقب صلحاء الشلف، أم المبحث الثاني الذي كان بعنوان القيم الأخلاقية الأساسية في كتاب "مناقب صلحاء

الشلف" أدرجت فيه جملة من القيم الأخلاقية التي تضمنها الكتاب في شكل ثلاثة عناصر، تعرضت في العنصر الأول للخلق الصبر والتواضع والتوكل، والعنصر الثاني الزهد والرضا، وأخيرا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والايثار. أما المبحث الثالث: فكان معنون تحليل الخطاب الأخلاقي في كتاب " صلحاء الشلف". الذي تضمن محتواه الخطاب القصصي للصالحين وسيرهم الأخلاقية التي جاءت في شذرات الكتاب، ثم خطاب الكرامة من خلال دراسة لماهيته وأبعاده.

الفصل الثالث: تجليات الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الأوسط:

تضمن المبحث الأول الوظيفة الاجتماعية للخطاب الأخلاقي الصوفي من تعزيز التضامن الاجتماعي، وتقويم السلوكات الفردية والجماعية، وأثر الخطاب الكرامي في أواسط مجتمع المغرب الأوسط، بينما تضمن المبحث الثاني الوظيفة السياسية للخطاب الأخلاقي الصوفي بالمغرب الأوسط الذي تطرقت فيه توسط الولي بين المجتمع والسلطة. ثم عرضت خطاب الكرامة وتأثيراته في القرارات السياسية ثم الخطاب الأخلاقي منهجا للحكم. جاء المبحث الأخير معنون ب الخطاب الأخلاقي الصوفي وتأثيراته الدينية والتعليمية جاء فيه الخطاب الأخلاقي الصوفي وتأثيراته الحياة الدينية. ثم يليه التأثيرات على الحياة التعليمية.

وخلصت في النهاية إلى خاتمة حاولت من خلالها الوقوف على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا الموضوع، وقد تعددت مصادر البحث وتنوعت مشاربها نذكر أهمها:

أ. **كتب المناقب:**

- **صلحاء وادي الشلف:** لموسى بن عيسى المازوني ت833هـ/1492م: وهو عمدة دراستي من تحقيق غرداوي نور الدين وهو أحد المؤلفات الثلاثة المحققة للمصدر، وتحقيق عبيد بوداود، وعبد القادر بوباية، حمل هذا المؤلف خطابا أخلاقيا وترجمة لأولياء وصلحاء منطقة وادي الشلف وغيرها من مناطق المغرب الأوسط.
- **أنس الفقير وعز الحقير:** لابن قنفذ القسنطيني ت810هـ/ 1407م: الذي ذكر فيه شيوخ الأولياء أبي مدين شعيب مع ذكر كراماتهم وآدابهم الروحية حيث استطاع المؤلف الجمع بين

السير الذاتية وتراجم، وقد استفدت منه في ترجمة أبو مدين شعيب وعرفته ضمن كتب المناقب في المتن.

- **المناقب المرزوقية:** من تأليف أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ت781هـ/1369م: وهو كذلك من الكتب التي تضمنت تراجم وكرامات للمترجم لهم إذ اختص صاحب الكتاب بترجمة ابن مرزوق الجد ووالده أبو العباس أحمد ابن مرزوق. تعرضت له في متن البحث بشكل مفصل أكثر.

ب. كتب التاريخ العام:

- **كتاب بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد:** لأبو زكريا يحي ابن خلدون ت 780هـ/1368م: فهو يؤرخ لملوك الدولة الزيانية ويصف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفها المغرب الأوسط في ظلها.
- **كتاب التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 – 7هـ**: لطاهر بونابي: أفادني كثيرا في دراستي من خلال تحديد مراحل انتشار التصوف والتأثير المتصوفة للمجتمع.
- **كتاب تلمسان في العهد الزياني** لعبد العزيز فيلالي: وهو يشمل دراسة سياسية وعمرانية، اجتماعية، ثقافية لتلمسان في ظل الدولة الزيانية، واقتبست من دراسته الأوضاع السياسية والاجتماعية، والثقافية التي تتناسب مع موضوعي.

ت. كتب التراجم:

- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان:** لابن مريم التلمساني ت 1014هـ/1605م: وهو الآخر عبارة عن تراجم لأولياء والعلماء التلمسانيين كما اهتم بذكر بعض مواقف الاولياء وأثارهم بالمنطقة، وقد كان غزيرا بالتراجم والكرامة التي أوردتها في دراستي. وسبق ان عرفت به في صلب البحث ضمن كتب المناقب.
- **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** لأحمد بابا التنبكتي ت963هـ/1555م: وهو مصدر أساسي في دراسة التراجم الذي وضفته في دراستي مستعينة بما جاء به من تراجم.

- **كتاب معجم أعلام الجزائر**: عادل نويهض: أورد الكثير من تراجم للصالحين. التي تخلل بعضها مواقف للأولياء وقصصهم وهو المطلوب في بعض جزئيات دراستي.

ث. كتب الجغرافيا:

- **كتاب المسالك والممالك**: أبي عبد الله بن عبد العزيز محمد البكري للبكري 487هـ/1094م: عني بتحديد البلدان والبقاع وأحوال الأقاليم والمعابر الكثيرة، وأفادتني هذا المصدر في جزئية العريف بالمغرب الأوسط جغرافيا على وجه الخصوص.
- **وكتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**: للمقديسي أبو عبد الله محمد بن أحمد ت487هـ/1094م يهتم هذا المصدر بوصف طرقات ومعابر والممالك، وقد استعملته في إبراز جغرافية المغرب الأوسط.

فضلا عن مصادر أخرى والتي لا تقل أهمية عن سابقاتها.

وبحثي كأي دراسة لم يخل من بعض الصعوبات التي واجهته منها:

- صعوبة التعامل مع لغة النص المناقبي الذي لم يكن بالبساطة التي توقعتها بما يحمله من رمزية إخفاء للمعاني وعدم الافصاح عنها.
- صعوبة الفصل بين البعد الأسطوري (الكرامات) والواقع التاريخي في النصوص المناقبية.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد اقتربت من فهم الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الأوسط كما يتجلى في كتاب "مناقب صلحاء الشلف" وحددت طبيعته ومضمونه وتأثيراته المختلفة على مجتمع المغرب الأوسط، والله يقول الحق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي للبحث

المبحث الأول: التصوف في المغرب الأوسط: تاريخه وأعلامه ومدارسه:

1. المغرب الأوسط جغرافيا وتاريخيا.
2. انتشار التصوف في المغرب الأوسط وأهميته.
3. المدارس الصوفية وأهم متصوفي المغرب الأوسط.

المبحث الثاني: كتب المناقب مصدرا للخطاب الأخلاقي الصوفي:

1. كتب المناقب وأهميتها في تاريخ التصوف في المغرب الأوسط.
2. أهم كتب المناقب في المغرب الأوسط.

المبحث الثالث: التعريف بموسى بن عيسى المازوني وعصره:

1. التعريف بالمؤلف.
2. عصر موسى بن عيسى المازوني.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي للبحث

شهد المغرب الأوسط تميزا جغرافيا وتاريخيا بارزا، إذ شكلت هذه الجغرافيا إطارا طبيعيا لقيام عدة دول كان لها تأثيرات حضارية كبرى في تاريخه، لعل أبرزها الدولة الزيانية (**962 –633 هـ/1554 – 1235م**) التي اتخذت من تلمسان عاصمة لها، ورسخت المذهب المالكي مع انفتاح لافت على الحركة الصوفية التي عرفت انتشارا وازدهارا في ظلها، وإثر هذا التطور برزت مدارس صوفية مثل المدرسة الغزالية، المدينية وغيرها من المدارس التي أنتجت كبار الأعلام أمثال أبي مدين شعيب، وعبد الرحمان الثعالبي.

المبحث الأول: التصوف في المغرب الأوسط: تاريخه وأعلامه ومدارسه:

1. المغرب الأوسط جغرافيا وتاريخيا:

أ– السياق الجغرافي للمغرب الأوسط:

بالرجوع إلى الجذور التاريخية لمعرفة ظهور تسمية المغرب الأوسط وجغرافيته فإنه يصعب تحديد تاريخ دقيق لظهور هذه التسمية وجغرافية ثابتة له، وذلك للتداخلات الجغرافية والتاريخية، التي شهدها المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة طيلة العصر الوسيط، بدءا من الفتح الإسلامي، مرورا بعصر الولاة فالدول المستقلة. والذي اتفق عليه المؤرخون و الجغرافيون وفق الموقع و المجال، أن المغرب الأوسط جزء من الغرب الإسلامي، الذي ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقاليم هي: المغرب الأدنى ويعرف بـ إفريقية ـ لدنوه من مركز الخلافة ، و المغرب الأقصى وهو الأبعد عن ديار مصر، والمغرب الأوسط وهو الذي يتوسط المغربين وهو بمثابة حلقة وصل بينهما.[1]وعليه جاءت تسمية المغرب الأوسط

[1]سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، دار المعارف الإسكندرية، ط3، 1993م، ج1، ص61.وينظر إلى: محمد زينهم، قيام الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2013م، ص5.وابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب، دار المناهل، بيروت ،1950م، ج1، ص5.

لوقوعه بين إفريقية شرقا و المغرب الأقصى غربا.[1] ويعد البكري (ت487هـ/1094هـ) أول من استخدم مصطلح المغرب الأوسط على المجال الجغرافي المقصود [2]،و تعد الحدود الجغرافية لهذا الإقليم من القضايا المعقدة التي يصعب تحديدها بدقة، و بالاطلاع على المصنفات الجغرافية، "نجد أنها تكاد تتفق على الحدود الغربية الفاصلة بين المغرب الأوسط والأقصى، حيث يعتبر نهر ملوية المعلم الرئيسي و التضاريسي الفاصل بين المغربين، غير أنه كلما توغلنا في الاتجاهات الأخرى كلما زادت صعوبة تحديد جغرافية الإقليم إبهاما، بسبب الحركة القبلية الدائمة و مدى توسع وتقلص الدول المتعاقبة عليها نتيجة القوة أو الضعف[3]، فاليعقوبي (ت 284 هـ/897م) اكتفى بذكر الحدود الشرقية لبلاد المغرب و لم يأتي على ذكر إفريقية، ولا مصطلح المغرب الأوسط [4]، أما ابن خردذابة فاكتفى بذكر المدن و تحديد المسافات بينهما دون العمل على الفصل بين أقاليم المغرب فقال: "ثم برقة خمس عشر ميلا ثم إلى قصر العسل تسعة وعشرون ميلا ..."،[5] أما المقديسي توفي حوالي (375هـ/ 985م) ذكر حدود المغرب لكنه لم يذكر مصطلح المغرب الأوسط، وكذلك ابن حوقل (ت378 هـ/988م) تطرق لحدود بلاد المغرب ولم يأتي على ذكر أقاليمها واكتفى بتوضيح مسالكه[6].

أما البكري الذي تميز عن غيره كما ذكرنا سابقا باستخدام مصطلح المغرب الأوسط في قوله "تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ..."، إلا أنه لم يذكر حدوده.[7]

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص78.

[2] البكري أبو عبيد، المسالك والممالك، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ،2003م، ص 262.

[3] بلعربي خالد وآخرون، الملكيات الزراعية وأثرها في المغرب الأوسط 160 - 962هـ، مشروع بحث جامعي، الفا للوثائق، الجزائر، ط1، 2020م، ص15.والطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنيين 6و7هـ، 12،13م، دار المناهل الهدى، عين ميلة ،2004م، ص29.

[4] اليعقوبي ، البلدان، بريل، ليدن، 1890م، ص ص130 - 131.

[5] ابن الخردذابة ، المسالك والممالك، دار بريل، ليدن المحروسة، 1889م، ص، ص، ص41،81 - 116.

[6] المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار بريل، ليدن المحروسة ط2 ،1906م، ج6، ص2.

[7] أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر أهل افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د س ن)، ص76. والمسالك والممالك، المصدر السابق ص262.

و استعمل الإدريسي ت حوالي[1](550هـ/ 1155م) مصطلح المغرب الأوسط في قوله: "و مدينة بجاية في و قتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد حماد..."[2]و أوضح مجاله في قوله:" وفيه تنس و برشك، و جزائر بني مزغنة و تدلس و بجاية و جيجل و مليانة و القليعة و المسيلة و أغدير و مقرة و نقاوس وطبنة و قسنطينة و تسنجس و باغاي تيفاش ، و دار مرين و بلزمة و واد ملوية و ميلة ..."[3] وجعل من تلمسان حدا غربيا للأقاليم بقوله " و مدينة تلمسان قفل بلاد المغرب ... "[4] بينما رسم صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار عاش خلال ق6 هـ/12م صورة للإقليم فحدد التخوم الشرقية بوادي مجمع الحد الفاصل بين المغرب الأوسط و إفريقية، و حدد التخوم الغربية ببلاد تازا الحد الفاصل بين المغرب الأوسط و الأقصى ،و بحر الروم الحد الشمالي للإقليم، والصحراء جنوبا ، وقاعدته تلمسان[5].

كانت هذه جملة من اراء لبعض الجغرافيين في تحديد المغرب الأوسط، وكان للمؤرخين رأي ووصف آخر له منهم ما أورده ابن الصغير المالكي ت ق 3هـ/9م عن اتساع الرقعة الجغرافية للدولة الرستمية التي شكلت الكيان السياسي القائم بالمغرب الأوسط ، حيث امتد نفوذها من طرابلس شرقا.[6]بينما في رأي الطاهر بونابي أن ابن خلدون استند في تقسيمه لجغرافية هذا الإقليم بناء على التوزيع القبلي، ، معتبرا أن المغرب الأوسط بلد زناتة ممتد من وادي ملوية غربا إلى إقليم الزاب و وادي الشلف شرقا ، ومن إقليم تيهرت جنوبا إلى ساحل شرشال ووهران شمالا، بينما امتدت بلاد صنهاجة من الجزائر إلى بجاية ،ووطئتها قبيلة كتامة وعجسية ،وهوارة ، وفيما يخص ما وراء قسنطينة فهي امتداد لحدود إفريقية وطرابلس[7].

---

[1] بن عميرة محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017م، ص ص11 -13.

[2] الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ج1، ص ص102 -116.

[3] نفسه ص102 - 116.

[4] نفسه ص103 -116.

[5] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح سعيد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،1985م، ص175.

[6] ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1986م، ص45.

[7] الطاهر بونابي التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 -7 الهجريين، دار الهدى، عين مليلة، 2004م، ص ص 29،30.

ب. التبلور التاريخي للمغرب الأوسط:

احتضنت بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة الإسلام والمسلمين ، واصطبغ البربر بصبغة الإسلام ، وشاركوا المسلمين الفتوحات ثم أسسوا دولا مغربية عرفت بالدول المستقلة مثل الدولة الرستمية (160/296هـ – 776/908م)، والدولة الإدريسية (172-375هـ/ 788-985م) [1]، ودولة بني مدرار(124/164هـ – 741/780م)، و نظرا لسير الأحداث فإن بلاد المغرب الأوسط كانت معالمها غير واضحة حتى نهاية القرن التاسع الهجري[2]، حيث تعد الدولة الرستمية في تيهرت هي أول دولة مستقلة ظهرت في الإقليم الأوسط ، أسسها الإمام عبد الرحمان بن رستم[3] سنة (160هـ/776م) الذي بذل مجهودا في إنمائها ، حتى أصبحت تسمى ببلخ[4] العراق أو العراق الصغيرة [5] ساد فيها الحكم الوراثي إلى أن أسقطها المد الشيعي (296 هـ/908م) ، وبسط الفاطميون نفوذهم وسيطرتهم على المغرب الأوسط ، الذي أصبح بدوره خاضعا للنفوذ الدولة الفاطمية ، تحت حكم الخليفة أبوا عبيد الله المهدي سنة (298 هـ/910م)، و توارثوا حكمها إلى سنة (362 هـ/972م)[6] ثم حكمها الزيريون برئاسة بلكين بن زير واستمر الحكم إلى الخليفة باديس الذي ثار عليه أعمامه مع عودة نشاط قبيلة زناتة في المغرب الأوسط ،واستمر الحال إلى سنة (395هـ/1004م)، أين تفاقمت الفتن التي ضيقت الخناق على باديس، مما جعله يقيم عقدا سياسيا مع عمه حماد الذي

---

[1] محمود إسماعيل، الأدارسة 172 . 375هـ، مكتبة كمدبولي، القاهرة، ط1، 1991م، ص55.

[2] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير-العصر الوسيط-، النهضة العربية، بيروت لبنان،1971م، ص347.

[3] توفي (171هـ/787م)، هو عبد الرحمان بن رستم بن مهرار، مؤسس ألوك دولة إسلامية مستقلة، الدولة الرستمية كان إباضيا عرف بزهده وتواضعه وحبه للعلم، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت لبنان، ط2، 1980م، ص148.

[4] بلخ: مدينة مشهورة من أجل مدن خرسان وأكثرها غلة، تحمل غلتها إلى جميع خرسان. موسى بن عيسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، تح عبد القادر بوباية، الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2017م، ص343.

[5] المقدسي أبو عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980م، ج1، ص214.

[6] ادريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م، ص65.

حصل بموجبه على أشير[1] و جزء من المغرب الأوسط،[2] ثم شرع في تأسيس عاصمته القلعة ومع زيادة نفوذه أظهر استقلاله معلنا القطيعة المذهبية للفاطميين (405 هـ/1014م) ، وفي سنة (408 هـ/1017م)، التقى حماد ومعز بن باديس ودارت بينهما معركة طاحنة، حيث تمكن هذا الأخير من تحقيق انتصار كبير على حماد، ثم آلت العلاقة بينهما إلى المصاهرة وذلك بزواج عبد الله بن حماد من أخت المعز بن باديس [3].

وفي سنة (473 هـ/1080م) استولى المرابطون على تلمسان واستولوا على وهران، تنس، جبل الونشريس، والشلف، والجزائر، (474 هـ/1081م) لتصبح بذلك حدود دولة المرابطين بالمغرب الأوسط محاذية لدولة بني حماد.[4]

وبعد سقوط دولة المرابطين في بلاد المغرب الإسلامي (451 -541هـ/ 1059- 1146م)[5] ، خلفتها الدولة الموحدية التي دعا لها محمد بن تومرت،[6] وأرسى معالمها عبد المؤمن بن علي الكومي الذي حقق انتصارات عسكرية في صراعه مع المرابطين في المغرب الأوسط واستولى على المناطق الواقعة بين تلمسان ووهران ، ثم ضم الموحدون بعد ذلك مملكة بني حماد إلى ملكهم في المغرب الأوسط [7]، وفي سنة (633 هـ/1235م) خضع إقليم الأوسط بعد سقوط دولة الموحدين إلى سلطة الزيانيين، إذ تمكن

---

[1] أشير: هي مدينة صنهاجية أسسها القائد زيري بن مناد تم انشائها وتعميرها سنة 324هـ، وعرفت هذه المدين ازدهارا وحصانه، لمزيد من المعلومات ينظر البشير بو قاعدة، خراب المدن بالمغرب الأوسط والادنى بين 296 - 547هـ، رسالة ماجستير، بوزريعة، الجزائر، 2012-2013م، ص ص85 -88.

[2]. عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، دار الشروق، بيروت لبنان، ط1، 1980م، ص60.

[3] نفسه، ص60.

[4]. الصلابي علي محمد ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الأفريقي، دار المعرفة ، بيروت لبنان، ط3، 2009م، ج1، ص67.

[5] عبد الواحد المراكشي ، وثائق المرابطين الموحدين ، تح حسين مؤنس ،مكتبة الثقافة الدينية ، الظاهر ، ط1، 1997م، ص45.

[6] ابن تومرت: هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان المعروف بالمهدي ابن تومرت، توفي وهو ابن 50 عام سنة (524هـ/1129م)، للمزيد من المعلومات ينظر عبد النجار، المهدي ابن تومرت، رسالة دكتوراه جامعة الازهر، مصر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983م، ص، ص30،24.

السلطان يغمراسن بن زيان[1] من إرساء معالم هذه الدولة ، وتعاقب عليها الكثير من السلاطين الزيانيين على حكم هذه الدولة[2].

2. انتشار التصوف في المغرب الأوسط:

أ. مفهوم التصوف:

يعتبر التصوف من المواضيع الهامة التي أثارت جدلا كبير بين الباحثين والمهتمين، حول أصله ومصدره واشتقاقاته، نظرا لتطوره على مر الزمن، ومن هذا المنطلق ظهرت العديد من الآراء التي سعت إلى تقديم تعريفات أوسع وأشمل لإدراك جوهره بكل أبعاده نذكر منها:

لغة:

يذهب الكثير من الباحثين إلى أن أصل الكلمة مستوحاة من "الصوف"، وهو خاص بالمتصوفة اقتداء بالأنبياء[3]. قال ابن جنى في كتابه اللمع أن "نسبتهم إلى ظاهرة اللبسة لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام، وشعار الأولياء والأصفياء ..."[4]

وهناك من نسبهم إلى "الصفة": عبارة عن فناء بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم، استقرت فيه جماعات من المسلمين الفقراء، تفرغوا للعبادة والجهاد في سبيل الله، فعرفوا بأهل الصفة[5].

---

[1] يغمراسن بن ثابت بن محمد العبد الوادي، أول من استقل بتلمسان من سلاطين بني عبد الواد، عرف بالشجاعة والفضل والحكمة والتواضع ومجالسة العلماء والصالحين، توفي بواد شلف (681هـ/1282م) ودفن بتلمسان. عادل نويهض، اعلام الجزائر، المصدر السابق، ص 355.

[2] عويس، المرجع السابق، ص64. وبلعربي خالد، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب الوسط، المرجع السابق، ص37.

[3] أبي العباس أحمد بن زروق، قواعد التصوف، تح عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط2، 2005 م ص13. شهاب الدين أبو عمر، القاموس الوافي، مراجعة يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1 ،2003 م، ص707. الكلاباذي التعرف لمذهب أهل التصوف، تصحيح أرثر جوي أربري، الخانجي، القاهرة، ط1، 1933م ط2 ،1994 م، ص ص 7-9. القشيري أبو القاسم النيسبوري ت 465هـ/1072م، الرسالة القشيرية، عبد الحليم محمود، محمد بن الشريف، مؤسسة دار الشعب، 1989م، ص 126.

[4] ياسين حسين الوبسي، ابن خلدون ونظريته في التصوف، دار نينوى، سورية دمشق، 2009م، ص54.

[5] ابن الجوزي، تلبيس إبليس، تح أحمد جاد، دار الغد، بيروت، ط3 ،2008م، ص201. عبد الحميد الجوهري التصوف مشكاة الحيران، مكتبة الإسكندرية، المغرب الأقصى ،1987 م ص7.

ونجد هناك رأي آخر ينسبهم لأهل "الصفاء": أي النقاء وصفاء القلوب والأنفس وقيل في هذا الشأن: "الصوفي من صفا قلبه لله" ومن هنا جاءت التسمية.[1] والبعض الآخر نسبهم لجلوس هؤلاء في "الصف الأول"، ويستعرض هذا الرأي السهرودي فيقول: "قيل سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عزو جل بارتفاع همومهم وإقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بين يديه".[2] فيتضح أن التسميات التي نسبت للمتصوفة والتي منها: الزهاد، الجوعية، الغرباء، السائحون ...وغيرها نابع من صفاتهم.[3]

ليتبين لنا أن هذه الاشتقاقات تركز على الجانب الخارجي، أي الظاهري دون الباطني، بينما أساس الصوفي إهمال الظاهر وصقل الباطن، ويقول أبو علي الروذباري: "الصوفي من لبس الصوف على الصفاء، وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك سبيل المصطفى،[4]

وهناك من نسبها إلى أن أصل المصطلح يوناني مشتق من الكلمة اليونانية Theosophy التي تعني إله الحكمة.[5] بينما نجد رأي مخالفا تمام يذكر أن التصوف ينسب إلى رجل حمل هذا اللقب ويدعى الغوث بن مر، وكان مقيم عند البيت الحرام مواظبا على عبادة ربه فانتسبت له المتصوفة، واعتقد البعض أن الصوفية ليس رجلا وإنما قوم في الجاهلية استقروا عند الكعبة للتعبد.[6]

---

[1] إبراهيم بسيوني، نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف بمصر، القاهرة (دس ن)، ص ص،9-17.

[2] السهروردي، عوارف المعارف، تح أحمد جاد، دار الغد، بيروت، ط1، 2008م، ص65 وياسين حسين الويسي، ابن خلدون ونظريته في التصوف المرجع السابق، ص ص 55-56.

[3] أحمد عبيدلي، الخطاب الشعري الوصفي المغربي في القرنين السادس والسابع دراسة موضوعاتية فنية، شهادة ماجستير في الأدب المغربي القديم، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2004 .2005م، ص36.

[4] أحمد زروق، قواعد التصوف، المصدر السابق ص3.

[5] وياسين حسين، ابن خلدون ونظريته في التصوف، المرجع السابق، ص ص5-58.

[6] عبيد بو داود، التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي، محاضرة لطور ماستر 2، تاريخ الغرب الإسلامي، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2024م، ص 2. ياسين حسين، ابن خلدون ونظريته في التصوف، المرجع السابق، ص ص47 . 65.

اصطلاحا:

ومثلما اختلف الباحثون في اشتقاقات اسم التصوف، اختلفوا في إيجاد تعريف جامع له، وبالاستناد على أقوال بعض العلماء في هذا المجال، فقد فذهب بعضهم إلى تعريف التصوف كما يلي:

يعرفه أبو التصوف الجنيد البغدادي فيقول: "التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة "[1]ويربطه بصفاء القلب و الانسلاخ من الصفات البشرية و الوفاء لله في الحقيقة و إتباع النبي صلى الله عليه و سلم في الشريعة[2]، بينما يرى آخر بأن التصوف عزوف النفس واحتقار الدنيا و زينتها، والزهد فيما لا يقبل عليه الناس من لذة و مال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة.[3]

وأورد أبو حامد الغزالي في سياق تعريفه للزهد قوله صلى الله عليه و سلم "من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه، فانطق بها لسانه وعرفه رداء الدنيا ودوائها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام"،[4] و في رأي الحارث بن أسد المحاسبي هو" محاسبة النفس و احتقار الدنيا و مقاومة الشيطان، والتعلق بالله ليلا و نهارا، والحرص على عدم الإعجاب بالنفس والكبر"[5]، و يرى ابن خلدون أنه هو" العكوف على العبادة، و الانقطاع إلى الله تعالى، و الاعتراض عن زخرف الدنيا و زينتها، والزهد فيما يقبل عليه

[1]أبو القاسم الجنيد، رسائل الجنيد، تح علي حسن عبد القادر، مر أحمد سلطان وبرعي وجداي، القاهرة، (دس ن)، ص ص47-51.

[2]أبو القاسم الجنيد، رسائل الإمام الجنيد وأول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة، جمع وتح عاطف العراقي وجمال رجب سيدبي، دار اقرأ، سورية -دمشق، ط1، 2005 م، ص ص،72-64. والقشيري، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص ص،127-150.

[3]أبو بكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، المصدر السابق، ص-ص،7-10.

[4]أبو حامد الغزالي (ت 505هـ/1111م)، احياء علوم الدين، مر محمد على القطب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ج4، 2003م، ص235.

[5] أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت 243هـ/857م)، الرعاية لحقوق الله، تح عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط4، (دس ن)، ص-ص، ص 75-161، 421.

الجمهور، من متعة ورفعة، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة..."[1]،و يتفق معه في ذلك عبد الحميد الجوهري في "مشكاة الحيران" [2]

وفي نشأت التصوف يقول ابن الجوزي في تعريفه: أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة، من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة، التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرة[3]. بينما ذهب معروف الكرخي (ت200هـ/815م) إلى أن التصوف: هو "الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"[4]. وأورده جبران مسعود في معجمه أن التصوف مذهب ديني أخلاقي فلسفي، يقوم على الزهد في الدنيا والانصراف إلى الروح، ويعتمد على التأمل والتعبد والتقشف، وما إليه من الرياضات النفسية والروحية، للوصول إلى الغاية البعيدة[5].

ونخلص مما سبق ذكره أن هناك اختلافا وتعددا في تعريف التصوف ولا يمكن الركون إلى تعريف واحد فقط. وهذا التعدد يرجع إلى أن التصوف تجربة روحية ذاتية، ونستنتج أن التصوف ينصرف إلى العديد من المعاني لا تختلف في الغاية، التي تدعوا إلى تهذيب النفس وتطهير القلب من الرذائل والخطايا، ومجاهدة النفس للحد من الشهوات، فهو يرتقي بالإنسان إلى حالة روحية وسلوكية تقربه من الله وترفعه في مدارج السالكين إليه، وذلك لتحقيق السعادة في الدنيا والآخر.

ب. نشأة التصوف الإسلامي في المغرب الأوسط وأهميته:

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح كاتر مير، ساحة رياضة الصلاح، لبنان – بيروت عن طبعة باريس سنة 1858م، ج1، ص-ص،295-357.

[2] عبد الحميد الجوهري، التصوف مشكاة الحيران، المصدر السابق، ص8.

[3] عبد الرحمان ابن الجوزي، تلبيس إبليس، المصدر السابق، ط1 2008م، ص 146.

[4] السهروردي، عوارف المعارف، المصدر السابق، ص 53. وسميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الإسلام، دار الكتاب العالمي، بيروت، ط4، 1993م، ص24.

[5] جبران مسعود، معجم الرائد لغوي عمري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1992م، ص217.

إن التصوف في بداياته كان تجربة روحية فردية برز منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان الصحابة والتابعون يتفانون في العبادات والزهد، تعتبر فترة ظهور الإسلام من أبرز الفترات التاريخية التي شهدت إقبالا واسعا على الدين، حيث سادت بين المسلمين نزعة الزهد في الدنيا والإقبال على الطاعات مع عزيمة صادقة على الانقطاع إلى الله تعالى. وقد عرف الأوائل الذين استجابوا لنداء الرسالة بالصحابة بينما سمي من جاء بعدهم بالتابعين.[1]

أما التصوف كظاهرة عامة فقد بدأ يظهر بشكل ملموس في أواخر القرن الثاني للهجرة، حيث ظهر مصطلح " التصوف" لأول مرة، بينما كان الزهد هو السائد قبل ذلك، ويعد الزهد أولى حركة الروحية في الإسلام، وقد ظهرت بوادره الأولى في المشرق الإسلامي.[2] ومع دخول القرن الثاني للهجرة، بدأ الناس يبتعدون عن جوهر الدين ويقبلون على زخارف الدنيا، فظهرت اتجاهات زهدية تدعوا إلى ترك الدنيا والإقبال على الآخرة والتجؤوا إلى التعبد والعزوف عن ملذات الحياة وعرفوا باسم "الصوفية" أو "المتصوفة" ليصبحوا بذلك رواد الحركة الصوفية في الإسلام[3].

ويمكن القول أن الفترة الواقعة بين القرنين الأول والثاني للهجرة تعرف بمرحلة "الزهد"، حيث اتسمت حياة العديد من المسلمين بنمط زهدي واضح تجلى في جوانب حياتية مختلفة كالأكل والملبس والمكان، فقد اختاروا لأنفسهم أسلوبا زاهدا في العيش متجردين من زخارف الدنيا متوجهين بقلوبهم إلى الله تعالى، ومن أهم الشخصيات التي برزت في هذه المرحلة:

[1] سوهيلة بن عتسو، الخطاب الصوفي بين الماهية والمرجع، (تأويل وتحليل الخطاب)، ع2، جامعة بجاية، 2020م، ص-ص،167-168.

[2] سليمة بن حسن، صلاح الدين هدوش، التصوف في المغرب الأوسط زمن الموحدين -أبو مدين شعيب (ت 594 هـ/1197م) - (مجلة الإحياء)، المجلد 22، ع31، 2022م، ص 770

[3] نفسه.

الإمام الحسن البصري (ت110هـ/728م)[1]، ورابعة العدوية (ت185هـ/801م)،[2] مثلا نموذجا رفيعا للزهد والورع.[3]

"ثم جاءت مرحلة أخرى أكثر نضجا بدأت من القرن 3هـ/9م، حيث برزت معالم التصوف الإسلامي بشكل أعمق، وتجلت أسسه الفكرية والعلمية بتحول التصوف على أيدي أعلامه إلى علم قائم بذاته، يهتم بالأخلاق الروحية ويدرس العلاقة بين الإنسان والذات الإلهية، ويبحث في صلة الإنسان بربه، ليصبح بذلك علم التصوف متميزا عن علم الفقه من حيث الموضوع والمنهج والغاية، حيث اتجه إلى ترقية النفس وتهذيبها، والسمو بها إلى مقامات القرب الإلهي".[4]

وقد مثل هذه المرحلة مجموعة من كبار المتصوفة أمثال: الإمام القشيري[5] والشيخ شهاب الدين السهروردي (ت529هـ/1134م) وغيرهما من أعلام الدين الذين أسسوا لفكر صوفي رصين، وفي هذه المرحلة المتألقة من تاريخ التصوف والتي تمتد إلى القرن 3هـ/9م برز نوع آخر من التصوف، تجسد في شخصية الحلاج[6]، الذي مثل اتجاها روحيا فريدا ...وحدة الوجود[7].

---

[1] وهو أبو سعيد الحسن البصري، وكان يلقب بشيخ الإسلام ويكنى بأبي سعيد، وعرف بحسن أخلاقه و ببراعته في علوم الدين. ينظر أبو الفرج عبد الرحمان الجوزي، الحسن البصري نشأته، حياته، بلاغته، زهده، مكتبة الخانجي، مصر، 1931م، ص14-22.

[2] هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية القيسية، من مواليد منتصف القرن الأول الهجري بينما اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته اشتهرت بطريق الحب الإلهي، ينظر عبد الرحمان بدوي ، رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1962م،ص ص 3 . 15.

[3] بن عتسو، الخطاب الصوفي، المرجع السابق، ص-ص 167-168.

[4] نفسه.

[5] هو عبد الكريم بن النيسابوري الشافعي من علماء الفقه وأصوله، والتصوف وعلم الكلام، صاحب الرسالة القشيرية توفي(465هـ/1072م)، ينظر القشيري، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص 4.

[6] لحلاج، وهو الحسين بن منصور الحلاج ولد 244هـ/858م في مدينة البيضاء بإيران، توفي سنة 309هـ/921م، واشتهر بكنية أبا المغيث، و يعدا لحلاج أهم أقطاب التصوف الإسلامي للمزيد من المعلومات ينظر: طه عبد الباقي سرور، الحسين بن منصور الحلاج شهيد التصوف الإسلامي 644هـ، المؤسسة الهنداوية، (د ب ن)، (د س ن)، التقديم.

[7] هي أفكار ومعتقدات شكلت اتجاه وتيارا له اعلام ومريدين، حيث تدعوا هذه الأفكار الأنسان إلى الحرية المطلق والتخلص من موروث عقدي الأخلاقي، وهي أفكار فلسفية أوروبية ينظر عبد الرحمان بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1980م، ص9 وما يليها.

و قد تزامن ذلك مع ظهور علم التصوف على يد الإمام الجنيد البغدادي و مدرسته، وكان التصوف في أصله علما شرعيا راسخا لم يبتعد عن منهج سلف الأمة من الصحابة والتابعين الذين سلكوا طريق الحق و الهداية وعكفوا على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى بقلوب صافية و نفوس زكية، ثم جاءت مرحلة أخرى مميزة تمثلت في شخصية الإمام الغزالي ق5هـ/11م، الذي لم يقبل من التصوف إلا ما كان متوافقا مع الكتاب والسنة متمسكا بالزهد والتقشف، ومركزا على تهذيب النفس وإصلاح الأخلاق،[1] وقد أضاف الغزالي عمقا غير مسبوق إلى علم الكلام والمعرفة الصوفية، حيث أسس تصوفا معتدلا يتوافق مع مذهب أهل السنة والجماعة، ويختلف في طابعه عن التصوف الذي مثله الحلاج وأتباعه [2].

أما الفترة الأخيرة من التصوف وخلال القرن 7هـ /13 م صار التصوف يجنح من التصوف الفردي إلى التصوف الجماعي وتهيكل في شكل طوائف[3].كما قد تبنى بعض المتصوفة أفكار وحدة الوجود و انشؤا ما يعرف بالمدرسة الوجودية التي دعت إلى مفهوم وحدة الوجود حيث قام أتباعها بتأويل الآيات القرآنية والأشعار الصوفية وفقا لفلسفتهم معتقدين أن كل ما في الوجود هو فعل من أفعال الله ولا يحتاج إلى واسطة لفهمه، ومثل هذه الاتجاه مبلغا من التطور الفكري الصوفي بمزجه بين الفلسفة والروحانية، مما أضاف بعدا جديدا إلى التراث الصوفي الإسلامي،[4]رغم ما أثاره من نقاشات وجدل بين العلماء والمفكرين.[5]

---

[1]. عبد الله زروقي، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية، أطروحة دكتوراه، العلوم في الأدب العربي، ورقلة 2016-2017م، ص 43.

وعبد الرحمان بن الحسن السلمي النيسابوري ت412هـ، المقدمة في التصوف وحقيقته، تح يوسف زيدان، مكتبة الكليات الأزهر، (د س ن)، ص 12.

[3]مغزاوي مصطفى، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الموحدي 6-8هـ / 11-13 م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط بوزريعة ،2011-2012م ص417.

[4] عبد الله زروقي، الطرق الصوفية ومنطلقاتها، المرجع السابق، ص 43. وماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، دار الكتب اللبناني، لبنان، ط1، 1984م، ص35.

[5] بن عتسو الخطاب الصوفي، المرجع السابق، ص6 ص 167-168.

عرفت بلاد المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط على وجه الخصوص التصوف منذ القرون الإسلامية الأول من خلال التأثير صوفي مشرقي، وذلك عبر قنوات انتقال عديدة منها الحركة العلمية بين المنطقتين سواء بانتقال العلماء أو مؤلفاتهم، و ساهمت الظروف السياسية هي الأخرى في هذا الظهور والتطور.[1]حيث شهد المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الرستمية ظهورا لافتا لظاهرة الزهد و التصوف والتي تبلورت في خضم النزاعات المذهبية المحتدمة بين الخوارج و الشيعة من جهة، و بين الشيعة و المالكية من جهة أخرى، و قد تجسدت هذه الظاهرة في شكل تيارات زهدية و سلوكيات صوفية أضفت على المشهد الديني والفكري آنذاك طابعا روحيا عميقا.[2]

ومع دخول القرن الخامس الهجري بدأت مصنفات التصوف المشرقي تتدفق إلى مدن المغرب الأوسط، لاسيما مدينة قلعة بني حماد وبجاية وذلك عن طريق المغاربة والأندلسيين، الذين نقلوا هذه الأفكار خلال القرنين 6 و7هـ/ 12و13م بما في ذلك مدينة تلمسان، وقد أسهم هذا التبادل الثقافي في ظهور مؤلفات تاريخية، تناولت حياة المتصوفة في المغرب الأوسط والحركة الصوفية بها مثل: كتاب "مختصر ديباجة الافتخار «لموسى ابن عيسى المازوني وغيره من الأعمال التي أثرت المكتبة الصوفية.[3] كانت هذه المؤلفات بمثابة القواعد والركائز الأولى التي قامت عليها مدارس الصوفية السنية والفلسفية، كان لها أثر بالغ في تشكيل البنية الفكرية والنظامية للحركة الصوفية في المغرب الأوسط، وقد استمر هذا التأثير طول القرنين 8 و9هـ/14و15م، حيث ترسخت هذه المدارس وأصبحت جزأ لا يتجزأ من التراث الروحي والفكري للمنطقة، مما أضفى عليها بعدا حضاريا وفكريا متميزا.[4]

3. المدارس الصوفية وأهم متصوفي المغرب الأوسط:

أ. المدارس الصوفية:

[1] عبيد بوداود، التيارات الصوفية في المغرب الإسلامي، محاضرات، المرجع السابق ص 7.

[2] سليمة بن حسن، صلاح الدين هدوش، التصوف في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص770.

[3] نفسه ، ص770.

[4] الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الاوسط، المرجع السابق، ص 73.

ظهر التصوف في المغرب الأوسط متأثرا بحركة التصوف الأولى التي نشأت في القيروان خلال القرن 3هـ، وعلى الرغم من تنوع أفكاره وسلوكياته، والتي كانت بعضها غير واضحة، فقد بدأ التصوف يأخذ شكلا أكثر تنظيما بحلول القرن5هـ/11م، حيث تبلورت التيارات الصوفية متخذة شكلها النهائي خلال القرنين 6و7هـ/12- 13م ، ممثلة أربعة مظاهر صوفية كبرى، يمكن اعتبارها مدارس صوفية، وذلك نظرا لمرجعيتها الفكرية والسلوكية المتميزة، بالإضافة إلى عدد من أتباعها وحجم انتشارها وتأثيرها الواسع على أنماط التصوف اللاحقة في القرنيين التاسع والعاشر الهجري، وهذه المدارس هي مدارس التصوف العملي ومدرسة أبي حامد الغزالي ، ومدرسة أبي مدين شعيب، التي حملت في طياتها ملامح الطريقة الصوفية ، وتنقسم كل مدرسة من هذه المدارس إلى عدة اتجاهات ، تتفق في البنية الفكرية والسلوك الصوفي، ولكنها تختلف في الممارسات[1] و سنقتصر في تسليط الضوء على المدارس الأكثر انتشارا وتأثيرا:

- **مدرسة المجاهدات العملية:**

نشأت من ممارسات العباد والزهاد التعبدية الزهدية، في المساجد والرباطات[2] وأماكن العزلة مثل الكهوف والمغارات ، تميز أتباعها بالالتزام بالقرآن والسنة وأخلاق السلف الصالح، مع تركيزهم على العبادات المكثفة كالقيام والصيام والتهجد، والتقشف في الأكل والملبس لتطهير النفس من حب الدنيا[3]، وكانوا متنوعين في تكوينهم الفقهي والفكري ، وحتى على الصعيد الاجتماعي، من أشهر أعلامها في القرن السادس الهجري، أبو محمد عبد الإشبيلي (ت581هـ/1184م) ، في بجاية ، عبد السلام

[1] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 73 -74.

[2] الرباطات: مفرده الرباط، وهو مكان يتمركز فيه المجاهدون للدفاع عن الدول الإسلامية، ضد الأعداء الكفار، وتنظيم الغزوات. للمزيد من المعلومات انظر يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطة، دوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، ط2، 2009م، ج1، ص173.

[3] خديجة سعيدي، القيم والأخلاق وحضور المؤسسة الصوفية في المجتمع، (مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية)، ع1، الجزائر، 2018م، ص ص217 - 218.

التونسي (ت512هـ/1118م)[1]،، وأبو عمر عثمان بن علي التلمساني (ت542هـ/1147م) في تلمسان، وفي القرن السابع الهجري تطورت المدرسة مع زيادة أتباعها الذين اتجهوا نحو الكشف الروحي وعلوم الدين، من أبرز أعلامها: أبو زكريا يحي الزواوي (ت611هـ/1214م) [2] وتلاميذه: أبو محمد عبد الكريم الأزدي ابن يبكي، توفي في النصف الأول من القرن السابع الهجري. وأبو الحسن علي بن أبي نصر فتح الله البجائي (ت652هـ/1254م)، وأبو عبد الله بن الحجاج (ت614هـ/1217م)،[3] وآخرون تميز هؤلاء بمجاهداتهم الروحية وصفاتهم العلمية ونشاطهم السياسي والفكري وأدوارهم الاجتماعية المتنوعة[4].

- **المدرسة الغزالية:**

وهم صوفية المغرب الأوسط الذين تبنوا أفكار أبي حامد الغزالي، التي جمع بين الحقيقة –التجربة الصوفية – والشريعة —الأحكام الشرعية – تحتل هذه المدرسة المرتبة الثانية من حيث عدد أتباعها بعد مدرسة المجاهدات العملية، حيث وجد صوفيتها في الالتزام بالشريعة عاملا رئيسيا، ساعدهم على ممارسة نشاطهم الروحي دون الخوف من انتقادات الفقهاء، ويعود ظهور هذه المدرسة إلى انتشار كتاب احياء علوم الدين للغزالي في المغرب الأوسط، في قلعة بني حماد وتلمسان أوائل القرن السادس الهجري وفي بجاية خلال النصف الثاني منه، وقد تزامن هذا الانتشار مع تشدد السلطة الموحدية في المغرب الأقصى.[5]

---

[1]عبد السلام التونسي، أصله من تونس، استقر بتلمسان، وتوفي بها 512هـ/1118م، ودفن بالعباد، أبي يعقوب بن يحي التادلي ابن الزيات ت617هـ/1220م، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبو العباس السبتي، تح أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1997م، ص110. ابن مريم أبو عبد الله بن محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص122.

[2]أبو زكريا يحي الزواوي، توفي (611هـ/1214م)، من الصلحاء والعابد الزهاد وهو من قبيلة زواوة اشتهر بالعديد من الكرامات. للمزيد من المعلومات انظر عادل نويهض، أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص168.

[3]الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص116.

[4]أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحة في الإسلام، دار الشعب، بيروت، (د س ن)، ص257.

[5] معزاوي مصطفي، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي والاندلس خلال العصر الموحدي(6-8هـ/11-13م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، بوزريعة، 2011-2012م، ص423.

ومن أبرز أعلام هذه المدرسة أبو الفضل النحوي (ت513هـ/1119م)[1] الذي استقر في القلعة بني حماد، حيث بدأ بنشر تعاليم الغزالي الصوفي ومن بين تلاميذه محمد بن علي بن جعفر بن الرمامة (ت567هـ/1171م) الذي قام باختصار كتاب الاحياء وأظهر اهتماما بمؤلفات الغزالي الأخرى، وفي تلمسان كانت رقابة السلطان الموحدية على الفقهاء والصوفية خفيفة مما سمح ببيع كتاب الاحياء في أسواق الكتب، مما ساهم في انتشر أفكار الغزالي، قام الصوفية مثل عبد السلام التونسي (ت512هـ/1118م)، وأبو عبد الله بن محي الهواري ت ق6هـ/12م[2] بنسخ الكتاب وحفظه، كما ساهم البعض الآخر في نشر مؤلفاته في تلمسان وفي بجاية.[3]

تبني المصوفية أطروحات الغزالي وفقا للظروف الدينية والثقافية السائدة، ومن أبرز الشخصيات أبو الحسن المسيلي أواخر ق6هـ/12م الذي ألف كتاب " النبراس في الرد على منكر القياس التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات" والذي جمع بين الفقه والتصوف وتقفى أثر الغزالي مما جعله يلقب بأبي حامد الغزالي، كما كان لأبي مدين شعيب (ت594هـ/1197م) إعجابا كبير بكتاب الاحياء لكنه لم يكن غزاليا بل أخذ منه ما يتناسب مع طريقته الصوفية.[4]

- **المدرسة المدينية:**

هي مدرسة صوفية أسسها أبو مدين شعيب (ت594هـ/1197م) حيث استلهم أفكاره من عدة مصادر صوفية روحية وعلمية متنوعة، حيث استفاد من الجانب العملي للمدرسة المغربية والأفكار الصوفية السنية كالمدرسة المحاسبية وفكرة الكشف من المدرسة الغزالية، بالإضافة إلى التأثر بالتصوف

[1] هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي، من قلعة بني حماد وأصله من توزر، توفي 513هـ/1119م، ابن الزيات، التشوف الرجال التصوف، المصدر السابق، ص95.

[2] من أهل تونس، كبير الشأن من أهل العلم ومن أعماله انه نسخ كتاب الاحياء، واعتكافه عليه حتى حفظه. ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف، المصدر السابق، ص179.

[3] معزاوي مصطفي، التحولات المذهبية ، المرجع السابق، ص423.

[4] الطاهر بونابي، ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 – 7 الهجريين، المرجع السابق ص116- 117.

الاندلسي الباطني ووحدة الوجود، كما استلهم تنظيم الطريقة وطقوسها من عبد القادر الجيلاني (ت560هـ/1164م).[1]

قام أبو مدين بدمج هذه الأفكار مع مؤلفاته مثل "انس الوحيد ونزهة المريد" ونشرها خلال إقامته في بجاية لمدة 15 عام كمدرس ومرشد صوفي، حيث قسم نشاطه إلى قسمين:

الأول الجانب النظري: قام فيه تدريس أصول التصوف والشريعة وذلك بتدريسه بمسجد أبي زكريا الزواوي وكان يشرح كتبا مثل الرسالة القشيرية واحياء علوم الدين. أم القسم الثاني فهو قسم يقوم فيه بإشراف العملي الإشراف على مجاهدات المريدين وأورادهم الروحية مع الالتزام بالشريعة الإسلامية، مع فرض شروط صارمة على المنتمين إلى طريقته وهي: العلم، الزهد، اليقين، والتوكل[2].

تميزت طريقته بالتجديد حيث تجاوز التقليد الصوفية البحة ورفض الشكليات واعتمد منهجا تربويا يجمع بين الفقه والتصوف، مع التركيز على التسامح مع المريدين، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون، انتشرت الطريقة المدينية بشكل واسع في المغرب الأوسط وإفريقية والأندلس والمشرق، مما جعلها واحدة من أكبر التنظيمات الصوفية في المغرب الأوسط قبل القرن 8هـ/14م مدعومة بتمسك أبي مدين بالمذهب المالكي واعتقاد الناس بكرامته.[3]

ب. أعلام التصوف في المغرب الأوسط:

- **أبو مدين شعيب (ت594هـ/1197م):**

[1] عبد القادر جيلاني: أبو محمد عبد القادر جيلاني ولد سنة(471هـ/1077م) بجيلان وهو عارف زاهد عابد فقيه محب للعلم توفي 560هـ/1164م، لمزيد من المعلومات ينظر: الشيخ عبد القادر جيلاني، سر الأسرار ومظهر الأنوار، تح خالد عنان الزرعي، محمد غسان نصوح، دار السنابل، دمشق، ط3، 1994م، ص15.

[2] عبد السلام غرميني، المدارس الصوفية المغربية والأندلسة في القرن السادس للهجرة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 2000م، ص323.

[3] نفسه، ص323. الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص116.

هو شعيب بن الحسن الانصاري الاندلسي الغوثي،[1] ولد سنة (515هـ/1121م)[2]، قرب مدينة إشبيلية وهو من كبار متصوفة المغرب الأوسط وأعلامها، وقطب من أقطابه، وقد لقب بشيخ مشايخ الإسلام في عصره، إذا تخرج على يديه عدد كبير من التلاميذ وصار منهم علماء كثر،[3] اعتكف على طلب العلم منذ صغره، وفي سبيل تحصيل انتقال إلى فاس حيث تتلمذ على يد كبار المشايخ بها مثل «علي بن حرزهم[4]، و" أبي الحسن بن غالب، وأبي يعزي يلنور[5]"ارتحل بعدها إلى المشرق لأداء فريضة الحج، أين التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني الذي أثر في مسيرته الروحية، وعند عودته استقر في بجاية وقضى فيها 15 عام يدرس التصوف وينشر مذهبه القائم على الذكر والخلوة واخذ بالشدة على النفس،[6] مؤسسا بذلك الطريقة المدينية التي نشرها في بجاية وضواحيها وانتقلت إلى تلمسان والجهة الغرب للمغرب الأوسط ،[7] حيث تعد شخصية أبو مدين شعيب، بمثابة نقطة التقاء لتصوف السني والتصوف الفلسفي معا ،[8] وانتشر أمره حتى استدعاه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور

[1]مراد تجانت، التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي الأصول والنشأة والتطور (ق2هـ -7هـ/ 8-13م)، محاضرات، جامعة لونيسي علي، البليدة، 2022 _2023م، ص ص82-109. وصلاح الدين هدوش سليمة بن حسن، التصوف في المغرب الأوسط، المرجع السابق، 767- 780، 2022م، ص771. وأبي القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تح خيرالدين شترة، دار كردادة، الجزائر، ط1، 2012م، ج1، ص172.

[2]عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي، الجزائر، ط1، 2006م، ص167.

[3]مراد تجانت، التيارات الصوفية في المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص ص 82 . 109.

[4]أبو زكريا يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح عبد الحميد حاجيات، دار المعرفة، الجزائر، 2011م، ج1، ص164.وأحمد التنبكتي(ت1036هـ)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م، ج1، ص،147.

[5]ابي يعزي يلنور بن ميمون، قيل من هسكورة، وقيل من هزميرة، توفي 572هـ/1176م، للمعلومات أثر ينظر ابن الزيات التشوف، المصدر السابق ص . ص 213 -222.

[6]الحميد الجوهري، التصوف مشكاة الحيران، المصدر السابق، ص112.

[7]صلاح الدين هدوش، التصوف في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص768. ومراد تنجانت، التيارات الصوفية، المرجع السابق، صـ ص82-99.

[8]معزاوي مصطفي، التحولات المذهبية ، المرجع السابق، ص423.

(580هـ/1184م) إلى مراكش،[1] وفي طريقه توفي (594هـ/1197م)[2] عند واد يسر قرب تلمسان ودفن بالعباد. ترك هذا العلامة إرثا علميا هاما أبرزه" أنس الوحيد، ونزهة المريد"، وغيرها من المؤلفات التي تعد مصدرا أساسيا لتصوف.[3]

- **عبد الرحمان الثعالبي (ت875هـ/1470م):**

وهو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعلبي الجزائري.[4] ويكنى بأبي زياد، أحد أبرز علماء المغرب الاوسط وقطب التصوف الإسلامي، ولد سنة(785هـ/1383م) في واد يسر الواقع في الجنوب الشرقي المغرب الأوسط ،[5] نشأ في بيئة دينية وعلمية حيث تلقى تعليمه الأول على يد والده وشيوخ قريته ، ثم ارتحل إلى بجاية وتونس لمواصلة طلب العلم حيث استفاد من علماء كبار مثل عيسى الغبريني، و البرزلي[6] وآخرون ثم ارتحل إلى مصر ومنها توجه للمشرق لأداء فريضة الحج ، قبل أن يعود للمغرب الأوسط وبعد عودته تفرغ للعبادة ونشر علوم الدين،[7]تميز الثعالبي بعلمه الواسع وأخلاقه الرفيعة وزهده ، مما جعله من العلماء الأجلاء الذين اتفقت الأمة على علمهم وصلاحهم،[8]سلك منحى الغزالي، وآخرون من الزهاد والمتصوفة و أخذ بآراء المحاسبي وأبي مدين، حيث استقى الثعالبي أفكاره الصوفية من منابع

---

[1]عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص 167.

[2]ابن قنفذ القسنطيني810هـ/1307م، انس الفقير وعز الحقير، اعتنى به وصححه محمد الفاسي وأولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، (د س ن) ،104.

[3]. عبد المنعم القاسم، المرجع السابق، ص 168.-167.

[4]التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، اشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989م، ج2.1، ص257.

[5] محمد بن عمر قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح عبد المجيد جبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ج1، ص382. وأبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة الجزائرية، 2011م، ج1، ص91.

[6]هو من أعلام المالكية في العهد الحفصي، يلقب بشيخ الإسلام، تولى الامامة والخطابة بجامع الزيتونة بعد وفاة الامام عيسى الغبريني، وله مؤلف جتمع لمسائل الاحكام، توفي841هـ/1337م، بتونس. عادل نويهض، أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص201.

[7]عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر، المصدر السابق، ص194.

[8]نور الدين عبد القادر، صفاحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى نهاية العهد التركي، كلية الأدب، الجزائر، 1965م، ص171.

متنوعة، ونلمح في منهجه تقديم العلم على العبادة، والجمع بين التصوف والاجتهاد والجهاد،[1] ترك علما كبير من خلال تلاميذه ومؤلفاته، مثل: "إرشاد السالك" "رياض الصالحين"،" الأضواء المضيئة بين الحقيقة والشريعة"[2] توفي سنة (875هـ/1470م)، عن عمر يناهز التسعين عام ودفن في الجزائر تاركا فراغا كبير في قلوب معاصريه ومريديه.[3]

- **إبراهيم التازي ت866هـ/ 1461م:**

علم من أعلام الصلاح والعلم في القرن التاسع الهجري وولي[4] من أولياء الصالحين، وهو العالم الورع، الفقيه الاصولي، واسمه الكامل علي بن مالك بن عبد الملك بن أحمد عيسى بن المرتضى بن عبد الله بن علي زين العابدين بن عبد الله بن حمز بن ادريس ويكنى بأبي إسحاق[5]، الذي يرجع أصله إلى بني لنت، تلك القبيلة البربرية العريقة التي استوطنت بلاد تازا، فنسب إليها واشتهر بها، ولد ونشأ في ربوعها.[6]

تميز التازي بسعة علمه وغزارة فقهه، فكان إماما في علوم القرآن، متبحرا في تفسير آياته، كما برز في علوم اللسان، إلى جانب تبحره في أصول الدين، مما جعله مرجعا للطلاب والعلماء على حد سواء. لم يكتفي التازي بالعلم الذي حصله في موطنه، بل كان رحالة جوالا ساعيا وراء المعرفة وملاقاة الشيوخ، فزار مكة وأخذ عن كبار علمائها ثم اتجه إلى تونس، حيث تتلمذ على يد الشيخ الصوفي عبد الله

---

[1] الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص469.

[2] عبد الرحمان الثعالبي، الجوهر الحسان في تفسير القرآن، تح علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 1997م، ج1، ص93. والأنوار في آيات النبي المختار، تح محمد الشريف قاهر، أطروحة دكتوراه دولية، دارابن حزم، الجزائر، ط1، 2005م، ج1، ص12.

[3] الطاهر بونابي، الحركة الصوفية، المرجع السابق، ص469.

[4] من الولاية التي تعني المحبة والقرب وهي ضد العداوة أي أن الولي سمي وليا من موالاته للطاعات، أي متابعته لها وأفضل أولياء الله هم الأنبياء. ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، (د د ن)، (د ب ن)، (د س ن)، ص9-10.

[5] ابن صعد التلمساني ت901هـ/ 1495م، روض النسرين في تعرف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تح يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص21. محمد ابراهيم التازي ت866هـ/1461م، ديوان إبراهيم التازي، در المهدي لعرج، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د س ن)، ص90.

[6] ابن صعد التلمساني، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، مؤسسة الدار البيضاء، مكتبة الملك ابن عزوز، ص24

العبدوسي، أحد أإبرز أعلام التصوف في ذلك الزمان. وبعد رحلته العلمية التي شملت أيضا بجاية وتلمسان، استقر به المقام في وهران سنة 833هـ/1429م[1] إجابة لنداء شيخه الروحي سيدي الهواري[2].

وبعد انتقال شيخه إلى الرفيق الأعلى، أسس التازي زاويته الخاصة، التي أصبحت منارة للعلم، وملاذا للقلوب المتعطشة إلى الله ظل يربي المريدين، ويذكر بآداب الدين والسلوك القويم في الدنيا، ويرشد إلى طريق الحق، حتى وافته المنية سنة 866هـ، فدفن بالقرب من ضريح شيخه سيدي الهواري، لمدة خمسين عاما، ثم نقله تلاميذه المخلصون إلى قلعة هوارة المعروفة بقلعة بني رشد، و شيدوا فوق قبره قبة وضريحا مازال إلى اليوم مزارا للمحبين وطلاب البركة[3].

المبحث الثاني: كتب المناقب مصدر للخطاب الأخلاقي التصوفي

1. كتب المناقب وأهميتها في تاريخ التصوف في المغرب الأوسط:

تعتبر كتب المناقب[4] من أبرز المؤلفات التراثية التي توثق حياة الصلحاء والمتصوفة في المغرب الإسلامي عموما بما في ذلك المغرب الأوسط، حيث تركز على إبراز مناقبهم وكراماتهم وما حظوا به من تبجيل وتقدير من قبل العامة والحكام، تعكس هذه الكتب المكانة الروحية والاجتماعية للصوفية، وتبرز أدوارهم في خدمة المجتمع والدولة منذ العهود الماضية وحتى العهد الزياني، عادة ما

[1] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، ط2009م، ص138.

[2] سيدي الهواري هو محمد بن عمر الهواري بن عثمان بن عياشة المغراوي، ولد سنة 751هـ/ 1350م قرب قرية كليمتو، اغترب نحو المشرق من أجل تحصيل العلم وبعد عودته استقر بوهران اين أنشئ زاويته التي عمل فيها تلقي دروس في علوم الدين، ويلقي بها مواعظ والإرشاد والدعوة للزهد والتوبة الى أن توفي 834هـ/1430م بوهران عن عمر يناهز 91عاما. ابن صعد التلمساني، روض النسرين في تعرف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، المصدر السابق، ص، ص11، 35.

[3] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص189.

[4] المناقب: لغة: أي الأخلاق والنقيبة أي الخليقة في معناه اسم جامع لكل ما حسن من الأقوال والأفعال والخصال الحميدة والأخلق الكريمة. أما اصطلاحا: تشمل كل المؤلفات اعتنى واضعوها بإبراز الفضائل والمأثر ... إلخ واختصت بالأولياء، من المتصوفة والصالحين. بهدف تمجيدهم وذكر محاسنهم، رغبتا في التأسي بهم والاقتداء بسيرهم، للمزيد من التفاصيل. انظر أيوب بن حود وبالقاسم مالكية، أدب المنتقب: المفهوم والجذور (مجلة مقاليد)، ع 10 ،2016م، من 67-78 ص-ص، 67-69.

تتبنى كتب المناقب منهجا كاريزماتيا في تصوير مثالية الصوفي المترجم له، حيث تثني عليه بأوصاف ترفع من قدره و تبرز فضائله[1].و تتضمن هذه الكتب معلومات مستفيضة عن المترجم لهم بالإضافة إلى استطرادات حول قضايا اجتماعية اقتصادية وسياسية، مثل الأمن و علاقة المتصوفة بالسلطة، وقضايا متنوعة من الجوانب الحياتية وللعامة، إما بطريقة مباشرة أو يمكن الوصول إليها من خلال الاستنتاج[2]و تتركز هذه المؤلفات حول محورين رئيسيين: وهو التزكية بالمدح و تعداد الفضائل، والمحور الثاني التزكية بالإصلاح مع التركيز على الولاية والكرامة، كما تحكي عن تقديس الناس للصوفية سواء في حياتهم أو بعد وفاتهم و التبرك بهم.[3]

وبذلك تعد كتب المناقب مرآة تعكس جوانب متعددة من الحياة الدينية والاجتماعية في المغرب الإسلامي، وتقدم رؤية شاملة عن تأثير الصوفية في مختلف مناحي الحياة.

2. **أهم كتب المناقب في المغرب الأوسط:** من أهم مؤلفات مناقب الصوفية بالمغرب الأوسط نذكر مايلي:

أ- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان:

لأبي عبد الله محمد بن محمد أحمد المليتي المعروف بابن مريم التلمساني (ت1014هـ/1605م)، يعد هذا المؤلف من أهم الكتب التي أرخت لحياة العلماء والصالحين في مدينة تلمسان الجزائرية. جمع ابن مريم التلمساني سير ذاتية ل 182 عالما ووواليا سواء كانوا من سكان تلمسان أو ممن زاروها أو استقروا فيها، بما في ذلك مشاهير الفقهاء. رتب الكتاب التراجم حسب الأبجدية، وضم معلومات عن علوم هؤلاء الأعلام وأثارهم، مما يقدم لنا صورة واضحة عن النشاط العلمي والديني في المنطقة. كما اهتم

---

[1] محمد العمراني، كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية (أمل، أرشيف الشارخ للمجلات الأدبية والثقافية العربية) ع 35، 2009م، ص، ص،1-2

[2] محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1987م، ص 71. وعبيد بو داود، التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص ،7

[3] أحمد صبحي منصور، التعريف بكتب المناقب وأهميتها (العلمانية، الدينية، السياسية والنقد الفكري الديني) 2019م، تاريخ الدخول، 2025/2/6م على الساعة 15:13.

بتوثيق الجوانب الاجتماعية والسياسية المرتبطة بهم، مؤكدا أن الهدف من الكتاب كان الحفاظ على التراث العلمي، وتسهيل معرفة الفقهاء و مؤلفاتهم، وهو ما يجعل هذا العمل مصدرا قيما لفهم تاريخ تلمسان وحضارتها،[1] و على الرغم من تركيز الكاتب على الجانب الصوفية، فإنه يحمل معلومات تاريخية مهمة، انفرد بترجمة متصوفة أهملتهم المصادر الأخرى، مما جعله سدا لثغرة كان من الصعب تجاوزها لولاه. بفضل هذه الميزات يعتبر "البستان" من أهم المعاجم في التراجم، حيث جمع بين الأصالة التاريخية والروحانية الصوفية، مما يجعله مصدرا لا غنى عنه لكل باحث في تاريخ العلماء والأولياء خاصة في منطقة تلمسان.[2]

ب- كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية":

لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني البجائي، الذي اختلف في تاريخ وفاته بين عامي (704 و 714هـ/ 1304و1314م)يعتبر مصادرا أساسيا لدراسة الحياة الثقافية العلمية في مدينة بجاية و المغرب الأوسط في القرن السابع الهجري، تم تحقيقه من قبل الباحثين رابح بونار و محمد بن أبي شنب ، و عادل نويهض ، امتاز هذا المؤلف بأنه سجل حافل بتراجم عشرات العلماء و المؤرخين والأدباء والشعراء وغيرهم، ممن عرفتهم مدينة بجاية ، سواء كانوا من أبنائها أو من الوافدين عليها من سائر الأقطار، حيث قدم تراجم لأكثر من مائة و أربعين شخصية بارزة من القرن السابع الهجري ، مما جعله من أهم المصادر التي سلط الضوء على تاريخ بجاية والمغرب الأوسط والثراء المعلوماتي، وحفظ هذا التراث وإتاحته للباحثين.[3]

ج- كتاب "أنس الفقير وعز الحقير":

لابن قنفذ القسنطيني لأبي العباس أحمد بن الحسين علي بن الخطيب (ت 810هـ/1407م)، حققه محمد الفاسي وأدولف فور، من أهم الكتب التي توثق حياة العلماء والمتصوفة بالمغرب الإسلامي ، بما

[1] ابن مريم التلمساني ابي عبد الله محمد، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، المصدر السابق، ص 5 وما يليها. بتصرف

[2] عبيد داوود، التيارات الصوفية، المرجع السابق، ص9.

[3] الغبريني البجائي (704-714هـ/1303-1314م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، دار الأفاق الجديد، بيروت، ط2، 1979م، ص-ص 6-8 بتصرف.

فيهم متصوفة المغرب الأوسط، ما ميز المؤلف هو تركيزه على تتبع تلاميذ وأولياء الشيخ أبي مدين شعيب، مما أعطى للكتاب أهمية و سمة خاصة، و تكمن هذه الأهمية أن مؤلفه عاين بنفسه العديد من الشخصيات التي ترجم لها، سواء بزيارتهم في حياتهم أو بعد وفاتهم بزيارة قبورهم، هذا الجانب الميداني أعطى الكتاب مصداقية تاريخية و فائدة علمية كبيرة، كما وثق الكتاب الطرق الصوفية المنتشرة آنذاك ، وهو ما يساعد على فهم تطور الحركة الصوفية في المنطقة، مما جعله مصدرا أساسيا لا غنى عنه لكل باحث في التصوف الإسلامي خاصة بالمغرب الأوسط.[1]

د- كتاب "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المفاخر المناقب":

لمحمد بن أحمد بن فاضل المعروف بابن صعد التلمساني (ت901 هـ/1495م)، وهو الأخر اكتسى بالقيمة العلمية، حقق من قبل الدكتور أحمد الديباجي الذي اعتمد في عمله على مجموعة من النسخ إلا أن النسخة الأصلية المعتمدة هي النسخة المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1292، إلا أنها غير تامة إذ توجد ثلاثة أجزاء فقط من أصل ثمانية[2]

على الرغم من هذه التغيرات يظل" النجم الثاقب "مصدرا هاما وأساسيا في دراسة حياة الأولياء ومناقبهم، من خلال تقديمه صورة غنية عن مكانتهم الروحية والاجتماعية، كما أنه يعد شاهدا على الجهود العلمية التي بذلها المحققون لإحياء التراث الإسلامي رغم التحديات التي تواجههم في التعامل مع المخطوطات الناقصة.

هـ- "كتاب روضة النسرين في التعرف بالأشياخ الأربعة المتأخرين": لابن صعد التلمساني،

[1] لأبي العباس ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص (مقدمة) أ-ل. وعبيد أبوداود، التيارات الصوفية المرجع السابق ص ،8. بتصرف، الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين أطروحة دكتوراه، العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص ل

[2] محمد بن أبي الفضل بن سعيد صعد التلمساني، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب، المصدر السابق، ص ص 1 . 3. النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب لابن صعد التلمساني، تح طاهر منزل، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة قسنطينة 2، 2011 -2012م، ص 53. عبيد بوداود، التيارات الصوفية، المرجع السابق، ص8.

تحقيق يحي بو عزيز يقدم لنا هذا العمل" روضة النسرين" التعريف بأربعة شخصيات بارزة من متأخري صوفية المغرب الأوسط وهم:" محمد بن عمر الهواري، إبراهيم التازي، حسن أبركان، وأحمد بن الحسن الغماري"، وهذا الكتاب بمثابة مختصر لمؤلف "النجم الثاقب" حيث أبرز جوانب مهمة من حياة وإسهامات هذه الشخصيات الصوفية، مع التركيز على دورهم في نشر التصوف وتأثيرهم في المجتمع المغاربي[1].

و- "المناقب المرزوقية":

لأبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (ت781 هـ/1379م) دراسة وتحقيق الأستاذة سلوى الزاهري، سعى ابن مرزوق المعروف الخطيب في عمله هذا إلى تقديم ترجمة وافية لجده -أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر مرزوق، ووالده أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق -وقد جاءت ترجمتهما منفصلة وشاملة متضمنة سيرتهما جوانب حياتية وعلمية بارزة، وتخللت هذه الترجمات إشارة إلى مشايخهم وتلامذتهما، مما يبرز دورهما في الإرث العلمي والثقافي الذي تركاه.[2]

المبحث الثالث: التعريف بموسى بن عيسى المازوني وعصره:

1. التعريف بالمؤلف:

أ. اسمه ونسبه:

هو موسى بن عيسى بن يحي بن ادريس الناصر بن عبد الرحمان -صاحب مازونة القديمة_ بن محمد بن علي بن عمر بن أبي القاسم بن عبد الله بن حمزة بن عيسى بن موسى بن منصور بن أحمد بن محمد العسكري بن عيسى الرضي بن موسى المرتضي بن عبد الله بن أبي جعفر الصادق بن محمد بن

[1] ابن صعد التلمساني محمد بن أبي الفضل، روض النسرين في التعرف بالأشياخ الأربعة المتأخرين جي، مؤسسه الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، ج1. طاهر بونابي، الحركة الصوفية ، المرجع السابق، ص ن (مقدمة).

[2]. ابن مرزوق التلمساني أبي عبد الله التلمساني ت 781هـ/1379م ، المناقب المرزوقية ، دراسة وتح سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، المملكة العربية، ط1، 2008م، ص-ص139-149.

علي بن زين العابدين بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.[1]

هو عالم شامخ في الفقه و القضاء و عالم جليل ذو مكانة رفيعة في العلم و العمل، نشأ في مدينة مازونة،[2] حيث تلقى تعليمه و تربى في أحضانها ليصبح أحد أبرز أعلامها، تميز بكونه فقيها محققا و قاضيا عادلا ومدرسا بارعا ،حيث حمل راية الإسلام بجدارة واشتهر بغزارة علمه و دقته في التحقيق[3]، كان موسى المازوني صاحب تصانيف عديدة و مفتيا مفيدا، ومرشدا راسخا في كل مقام مما جعله مرجعا للعلماء وطلاب العلم ،و غيرها من الأوصاف التي أوردها المؤرخون في ذكره، كما عرف بمناضلته في سبيل الله و الدفاع عن الأولياء ، مما أكسبه مجدا باذخا و سمعة طيبة في الأوساط العلمية والدينية،[4] بالإضافة إلى أنه كان والد للعالم يحي المازوني ما دل على تأثيره العلمي والأخلاقي الذي امتد إلى اسرته وتلاميذه. وباختصار كان موسى المازوني نموذجا للعالم العامل، والقاضي العادل والمؤلف المبدع الذي ترك إرثا علميا وأخلاقيا لا ينسى[5].

ب. مولده ونشأته العلمية:

لا يعرف تاريخ ميلاده بدقة، ولكن يرجح أنه ولد في مدينة مازونة سنة (770هـ/1368م)، و إذ كان ذلك صحيحا فإنه يكون قد عاصر المرحلة الثانية من حياة الدولة الزيانية، التي تلت الحكم المريني لتلمسان بقيادة السلطان ابن عنان، وشهد أيضا انهيار الدولة الزيانية وإحيائها لاحقا على يد السلطان

[1] عبد القادر بوباية، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص 13.

[2] مدينة أزلية بناها الرومان بعيدة عن البحر بستة أميال عرفت بخيرات من الأنهار والبساتين وحصونها المتينة للمزيد من التفاصيل ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق ج1، 271 -272.

[3] أبي القاسم محمد الحفناوي الديسي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بير فونتانة الشرقية الجزائر، 1906م، ص،576-ص575.

[4] أحمد بابا التنبكتي نيل الإبتهاج بتطريز الدباج، المصدر السابق، ط 1، 1989م، ج1و،2، ص-ص605-606.

[5] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق ص 281. وأبو عمران موسى مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص-ص ،9-12.

الزياني أبو حمو موسى الثاني[1]، بينما وجدت افتراضات أن موسى المازوني من مواليد(757 هـ/1356م) أو بمعنى آخر هو من مواليد النصف الثاني من القرن الهجري الثامن و الخامس عشر ميلادي.[2]

إن المعلومات عن نشأة موسى بن عيسى المازوني العلمية تعد شحيحة ونادرة، إلا أن المؤكد هو انتمائه إلى أسرة عريقة تميزت بالعلم والفقه والمكانة الاجتماعية المرموقة، ويرجح أنه تلقى تعليمه الأول في الكتاتيب[3]، كما كان شائعا بين أقرانه في ذلك العصر، ثم واصل مسيرته التعليمية في المؤسسات الدينية والتعليمية المرموقة وقتها (المساجد، المدارس، الزوايا[4]).

نشأ المازوني في كنف أسرة علمية معروفة تنحدر من قبيلة مغيلة التي اشتهرت بمكانتها الاجتماعية الرفيعة وسعة نفوذها، وقد تميزت هذه الأسرة بالتقوى والصلاح والسيرة الحميدة، مما أثر بشكل كبير في توجهه نحوا طلب العلم منذ الصغر،[5] وقد أتاحت له هذه البيئة العلمية والدينية فرصة تنمية مواهبه وقدراته الذهنية، وتقلد عدت مناصب منها القضاء والشورى والتدريس في مازونة وضواحيها. كما يتضح من خلال كتابه صلحاء وادي الشلف أنه كانت له سفرات ورحلات خارج بلاد المغرب للاستزادة في العلم.[6]

---

[1] وهو أبو حمو موسى ابن يعقوب يوسف بن عبد الرحمان ، وينتهي نسبه إلى يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية ولد سنة (723هـ/1323م) السلطان زياني الذي أعاد مجد الدول (760هـ/1358م) ، اشتهر بحبه للعلم وقرضه الشعر، وكان وفاته سنة (790هـ/1388م). عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني ، الشركة الوطنية للنشر، 1974م، ص 67 وما يليها.

[2]عبد القادر بوباية، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص14. موسى بن عيسى المازوني، صلحاء وادي الشلف، تح غرداوي نور الدين، دار الخادونية، الجزائر 2017م، ص60-63. وعادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص،281.

[3]الكتاتيب هي ملحق بالزاوية أو المساجد يم فيها تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدين. للمزيد من المعلومات ينظر طيب جاب الله، دور الطرق والزوايا في المجتمع الجزائري، (مجلة علمية محكمة)، ع14، الجزائر، من ص 134-150، 2013م، ص138.

[4]الزوايا: هي مؤسسة دينية، ظهرت في الجزائر مع القرن 5هـ وعرفت انتشار واسع خاصة في الأرياف وعلى قمم الجبال والصحراء، كان لها دور جلي في مختلف الميادين، سياسيا اقتصاديا اجتماعيا دينيا. طيب جاب الله نفسه، ص138.

[5] غرداوي، صلحاء وادي الشلف، المصدر السابق، ص64، 65.

[6] بلقاسم فيلالي ولمين ملاك، قضايا القضاء والتوثيق بمازونة وناحيتها، (مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية)، المجلد 34، ع2، 2020م، الصفحات، 801-834، ص802.

ج. رحلاته العلمية وشيوخه:

د. رحلاته العلمية: لقد ارتحل كغيره من أعلام عصره في طلب العلم خارج بلده، وهو ما يؤكده بقوله:" ...وقد جربت ذلك في نفسي فإني لما رجعت من وجهتي لبلاد المغرب، اعتل مركوبي وضاق صدري فاستشفعت إلى الله تعالى به في إنفاذ رحلتي وتفريجي كربتي، فأذاقني الله برد الإجابة لوقتي وقد بينت ذلك على وجهه في الأصل[1]..." غير أنه لم يورد تفاصيل عما عايشه خلال فترة إقامته ولم يذكر من التقى بهم من علماء ذلك البلد.[2]

هـ. شيوخه: نظرا لشح المصادر وقلتها التي ترجمة لموسى بن عيسى المازوني لم تقدم معلومات وافية عن الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم وأخذ عنهم العلوم، والذين أجازوه بتدريسها والاستفادة منها في مؤلفاته، فما توصل إليه الباحثين في هذا السياق أذكر منهم بعض الشيوخ الذين تتلمذ على يديهم وأخذ عنهم العلم بالمجالسة والمصاحبة والمراسلة هم:

الشيح عيسى بن يحي المازوني، الذي كان من رواة موسى المازوني في مؤلفاته حيث يقول: "وأخبرني به والدي رحمه الله " وكان والده قاضيا وفقيها في مازونة ومتقنا لعلم التوثيق الذي جعل ابنه موسى يعرض عليه كتابه في هذا الفن طالبا رأيه في منهجيته وماديته، التي قد استحسنه الأب. توفي الشيخ عيسى بعد (791 هـ/ 1389م)،[3]

- وأبو زكريا يحي بن عمر: "أحد علماء مازونة خلال القرن الثامن الهجري، وقد اعتمد عليه عيسى المازوني كثيرا في مؤلفاته، حيث يروي عنه العديد من المناقب وكرامات أولياء وصلحاء منطقة واد شلف، ويظهر ذلك بوضوح في قوله: "حدثنا شيخنا الأستاذ العدل أبو زكريا عن عمر" وقوله أيضا "فمما ذكر الأستاذ أبو زكريا عن الشيخ سيدي أبي يعقوب..."[4].

---

[1] موسى بن عيسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف ، المصدر السابق ، ص18، وغرداوي، صلحاء وادي الشلف، المصدر السابق، ص65-70.

[2] نفسه.

[3] غرداوي نور الدين، نفسه، ص67

[4] غرداوي نور الدين، نفسه. عبد القادر بوباية، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص14 - 16

- الأستاذ أبو زكريا يحي بن علي: الذي يذكره موسى المازوني في مواضع عدة مثل قوله: " لكن الشيخ سيدي يحي بن علي " أو " أخبرني الأستاذ أبو زكريا يحي بن علي" وفي أحيان أخرى يذكر أبو زكريا دون التميز بين يحي بن علي ويحي بن عمر كما في قوله: "وأخبرني به والدي رحمه الله وشيخنا أبو زكريا يحي غير مرة" كما يذكر أحيانا أبو زكريا دون تحديد مثل قوله:" ومن مناقب الشيخ أبي زكريا المغيلي ما حدثنيه شيخنا الأستاذ أبو زكريا عمن يثنى به".[1]
- ويذكر المؤرخون شيوخا وآخرين للمازوني أمثال: سعيد بن محمد العقابي التلمساني: المتوفي سنة (811 هـ/1408م)[2]. وأبو عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي الحفيد المتوفي سنة (842 هـ/1338م).[3] وهؤلاء الشيوخ كانوا بمثابة أعمدة العلم التي استند إليها موسى المازوني في مسيرته حيث أخذ عنهم العلوم ونقلها بكل أمانة، مما جعل مؤلفاته مصدرا قيما يحفظ تراث منطقة واد شلف وأعلامها[4]

و. **مذهبه:**

كان موسى المازوني كان عالما سنيا مالكي المذهب، وأحد أبرز الأئمة الذين ساهموا في نشر مذهب الإمام مالك وتثبيت قواعده في المغرب الأوسط، تميز بدفاعه القوي عن عقيدة أهل السنة في مواجهة المعتزلة وأهل البدع الضالة والخارجة عن منهج السنة والجماعة، التي انتشرت خاصة في أواخر العصر الموحدي، وبداية العصر الزياني، كان يتمتع بحجج وبراهين قوية في المواجهة، كما تجلى

[1] عبد القادر بوباية ، المصدر السابق، ص15.

[2] عبد الواحد بن أحمد بن القاسم بن سعيد العقباني التلمساني والعقباني نسبة لعقبان قرية بالأندلس أصله منها، قاض من فقهاء المالكية ولد ونشأ وتعلم بتلمسان ثم ولي قضاء الجماعة بها. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص237.و التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 125.

[3] هو محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، كنيته أبو عبد الله ولقبه شمس الدين عرف بالخطيب الكبير ولد بتلمسان وترعرع فيها. ينظر عبد الرزاق علا، وقفة مع رحلات الرحالة الجزائري محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني، WWW.old;univ- eloued.dz ص 2.

[4] عبد القادر بوباية، المصدر السابق، ص . ص16-17. وغرداوي، المصدر السابق، ص . ص68-71.

ذلك في مؤلفه الذي نحن بصدد دراسته، والذي دافع فيه عن مناقب وكرامات الأولياء والصالحين. أي أن المازوني كان سنيا في مذهبه – مالكيا في اجتهاده، أشعريا في عقيدته وسلك طريق الجنيد[1].

ز. **تلاميذه:**

اتفقت المصادر التي تناولت سيرة موسى بن عيسى المازوني على أنه اشتغل بالتعليم، حيث وصفه التنبكتي بأنه: "موسى ...المغيلي المازوني قاضي مازونة "[2] "وصفه بعضهم بالفقيه الأجل المدرس..." وقد أكد ابنه يحي في إحدى نوازله دور أبيه التعليمي، حيث ذكر "مسألة وقعت بين مولاي الوالد وبعض الفقهاء المدرسين في مجلس تدريسه ".[3] غير أن المصادر التي ترجمت له لم تذكر أسماء تلامذته إلا أننا من خلال بعض المراجع الأخرى استطعنا التعرف على أحدهم وهو ابنه يحي[4]صاحب كتاب " الدرر المكنونة في نوازل مازونة[5] الذي استند في جمعه للفتاوى إلى ما تركه والده ويشير إلى ذلك بقوله:" وقد كان اتفق لمولاي الوالد في مدة قضائه ما اتفق من الالتجاء إلى كتب الأسئلة للأئمة المعاصرين له.[6] حتى اجتمع له من أجوبتهم جملة وافرة كان عزم على ترتيبها على أبواب الفقه فاخترمته المنية قبل ذلك فضممت ما كنت جمعت وما جمع الوالد..." ويؤيد أحد الباحثين هذا الرأي قائلا عن ابنه يحي: "ولم يذكر من مشايخ مازونة أحدا إلا والده وجده ".[7]

---

[1] غرداوي نور الدين، المصدر السابق، ص75-76.

[2] التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص 215.

[3] عبد القادر بوباية ، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص 16.

[4]يحي: بن أبي عمران موسى بن عيسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني، يكنى بأبو زكريا لم تذكر المصادر تاريخ مولده، ولم يعرف للشيخ أبو زكريا يحي المازوني، حسب مصادر التي ترجمته، غير مصنفة الدرر المكنونة في نوازل مازونة ينتمي لأسرة عريقة ذات علم ودين، وعرف بعلمه وأخلاقه الحميدة توفي هذا الأخير، بتلمسان، 883 هـ وقبره مشهور بحارة الرحيبة قرب بابا الحياد. للمزيد من العلومات ينظر إلى إسماعيل بركات، الدرر المكنونة المرجع السابق، ص-ص 129-139

[5]عبد القادر بوباية، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص-ص 16-17. وغرداوي نور الدين، صلحاء وادي الشلف، المصدر السابق، ص-ص، 68-71.

[6]بركات إسماعيل، الدرر المكنونة، المصدر السابق، ص،147.

[7] موسى بن عيسى المازوني، صلحاء وادي الشلف، ، المصدر السابق، ص 74.

ح. مؤلفاته: وقفت دراسات الباحثين على جملة من كتب للقاضي موسى المازوني، والتي ما تزال منها مخطوطة ولم تعرف انتشار بعد هذه الكتب هي:

- **"المذهب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق":**

يعتبر هذا المؤلف مرجعا قيما للناشئين من القضاة و المهتمين بالوثائق،[1] حيث جمع فيه أحكام الفقه المالكي في مجالات القضاء من اقتصاد واجتماع وحتى الشؤون العسكرية ، ودافعه لتأليف هذا الكتاب هو واقعه الذي تسلط فيه الجهلاء و تقلدهم لمناصب القضاء و الوثائق خاصة من أهل البوادي، و ذلك في عصر ضعف الدولة الزيانية ،[2] تكمن أهمية المؤلف في احتوائه على معلومات فريدة لا تتوفر في مصادر أخرى، ما جعله مصدرا أساسيا لدراسة الوظائف الدينية والإدارية خلال تلك الفترة، و شاهدًا على عصر الاضطراب حاملا في طياته محاولة جادة لإصلاح ما أفسده الضعف والجهل.[3]

- **"حيلة المسافر وأدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه:"**

يعكس الكتاب رؤية متوازنة بين الجانب الروحي والقيم الاجتماعية، حيث تناول المؤلف عدة نقاط رئيسة تمثلت في:

التأكيد على أهمية القدوة الصالحة من خلال تسليط الضوء على الشيخ سيدي أبي يعقوب. ويتضمن فصلا مفيدا يهدف إلى تنبيه خواطر طالب الطريقة وزيادة رغبتهم بسلوكه، وتعظيم الفقراء ذلك بالحث على احترامهم ويحذر من احتقارهم مع الترغيب في حضور مجالسهم والامتثال بالتواضع، ويذكر فضل الإنفاق على الفقراء وغيرها من القيم[4]. أي أن موسى المازوني

---

[1] عادل نويهض، أعلام الجزائر، المصدر السابق، 281.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المصدر السابق،ج 1 و2، ص605 – 606.

[3] بركات إسماعيل، المرجع السابق، ص 148، والحفناوي، الخلف، المصدر السابق، ص 573. وغنية عباسي، مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط – دراسة مونوغرافية، مذكرة لنيل درجة الماجستير – قسم التاريخ –كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2011-2012 م، ص 169.

[4] بوباية، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص 23. وغرداوي، صلحاء وادي الشلف، المصدر السابق ص74.

يسلط الضوء من خلال مؤلفه هذا على الدعوة إلى التمسك بالطريقة والاقتداء بالصلحاء واحترام الفقراء، والالتزام بآداب الذكر والدعاء وإبرازه لأهمية التواضع وحسن الصحبة في طريق التقرب إلى الله[1].

- **"قلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاني والشهود:"**

تتميز وثائق "قلادة التسجيلات " بتنوعها وثرائها مما يعكس سعة إطلاع صاحبها وانفتاحه على علوم الفقه والتوثيق، ويعكس هذا التنوع تعدد القضايا والمسائل المتعلقة بحياة الناس ومعاملاتهم اليومية، حيث كانت الحاجة إلى التوثيق ضرورية لحفظ حقوقهم[2]. فالدافع لتأليفه أنه طلب منه أن يضع لهم دليلا أو مرجعا يرشدهم إلى كيفية صناعة التوثيق وفقا لممارسات أهل عصره، وقد أنهى تأليفه في ربيع الأول عام (791هـ/1388م)، وراجعه والده الذي استحسنه أي أن مخطوطة "قلادة التسجيلات " تصنف ضمن كتب الأحكام والوثائق، التي نشأت نتيجة التطورات الاجتماعية[3] والسياسية والاقتصادية والثقافية في المجتمع المغربي خاصة في أواخر العصر الوسيط. [4]

- **"فريدة الاقتباس في كيفية النظر في الأحباس":**

يذكر المازوني هذا المؤلف في كتاب "قلادة التسجيلات " أنه وضع مجموعة من الأوراق أطلق عليها اسم "فريدة الاقتباس"، تناول فيها كيفية النظر في أحكام الأوقاف بعد أن لاحظ تغيرات سلبية في إدارة الأحباس في بلده، وإهمال القاضي في الإشراف عليها كما أشار إلى عجزه عن إصلاح ما فسد من هذه الأوقاف، وعدم قدرته على تنظيمها، بسبب استلاء زعماء ذلك الوقت على الكثير

[1] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص 281. وحناش فهيمة، حقوق الطفل في أسرة المغرب الأوسط من خلال مخطوط قلائد التسجيلات، (مجلة جامعة الأمير عبد القادر العلوم الإسلامية)، مج 33، ع2، 2019م، ص 564-520، ص 524.

[2] فهيمة حناش، المرجع السابق، ص-ص، 530-526.

[3] غرداوي نور الدين، المصدر السابق، ص 74. وغنية عباسي، المرجع السابق، ص219.

[4] فهيمة حناش، نفسه، ص 528-530. عبد القادر بوباية، المصدر السابق، ص20-21.

من مواردها وتمسكهم بجزء كبير من أصولها دون محاسبة أو مراقبة من أحد وختم بقوله أن الله تعالى هو الذي سيحاسبهم على أفعالهم[1].

- **"تحلية الذهب في علم القضاء والأدب"**:

وهو كتاب في النوازل وكانت نسخة منه موجودة بخزانة الشيخ بلقاسم خمار الليباني حي قداشة بسكرة القديمة – إلى سنة (1293هـ/ 1876 م) ثم بعث إلى زاوية علي بن عمر بطولقة – بسكرة – وهي الأن محفوظة هناك[2].

- **"فضل الفقر والفقراء"**:

"يذكر محمد فؤاد الخليل القياسي في فهرسة المكتبة القاسمية وجد مخطوط بعنوان " فضل الفقر والفقراء " لموسى المازوني وقد نسخه إبراهيم بن محمد الأندلسي سنة (1024 هـ/1615م) وعدد أوراقه 145 ورقة وهو ضمن مخطوطات الشيخ سيدي المكي ويؤكد الشيخ بشير ضيف صحة ذلك حيث يقول رأيت مخطوطا في مكتبة بن عزوز القاسمي الحسني الهاملي بعين وسارة".[3]

- **"دباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار"**:

يتناول هذا الكتاب موضوعا قيما يتمحور حول مناقب الصالحين وما وصلوا إليه من مراتب روحية عالية، مع ذكر الأسباب التي دفعتهم إلى بلوغ تلك المقامات، ويشمل الكتاب مواعظ حكيمة وأشعار عميقة تلامس القلوب وتثير المشاعر[4]، فضلا عن ذكر العجائب المأثورة عن هؤلاء الصالحين وبعض أسرار أهل التصوف والأحاديث النبوية، التي استندوا إليها في مجاهدتهم

[1] فهيمة حناش، المرجع السابق، ص 528-530. عبد القادر بوباية، المصدر السابق، ص20-21.

[2] بوباية، المصدر نفسه، ص23-24. وغنية عباس، المرجع السابق ص168. وغرداوي، صلحاء وادي الشلف، المصدر السابق، ص 74،75.

[3] غنية عباس، المرجع السابق، ص528.

[4] موسى ابن عيسى المازوني، مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، تح عبيد بوداود، مكتبة الرشاد، الجزائر، ط1، 2015م، ص 526

لأنفسهم وتحسين أحوالهم[1]. ويهدف الكتاب إلى تحفيز القارئ على مصاحبة أهل الفضل و الرغبة في زيارة الصلحاء و الإخوان مما يبعث النشاط الروحي و الرغبة في الاقتداء بهم، و يذكر أحد الباحثين أن هناك نسخة من هذا المخطوط محفوظ في خزانة الشيخ المهدي بو عبدلي إلا أن الباحثين لم يتمكنوا من الاطلاع عليها أو الحصول على نسخة مصورة حيث رفض الشيخ السماح لهم حتى بدخول القاعة التي بها المخطوطات.[2]

- **مناقب صلحاء الشلف:** وهو عمدة دراستي هذه، نتعرف من خلاله على محتواه القيم، وما يتضمنه من خطاب أخلاقي، وتوجيهات سلوكية، غرضها الإصلاح والتربية للنفس والمجتمع

ط. وفاته: على الرغم من أن كتب التراجم التي تناولت سيرة موسى المازوني لم تذكر تاريخ وفاته أو مقدار عمره بشكل صريح، إلا ما ذكره أبو يحي في مؤلفه –الدرر المكنونة في نوازل مازونى–أنه توفي عام ثلاثة وثلاثين وثمان مائة بتلمسان.[3]

و أشار العلامة عبد الحي الكتاني في تقيده على النسخة الفريدة لصلحاء واد الشلف أنه دفن في منطقة مغيلة، القريبة من مازونة، و التي تجاور قبيلة صبيح[4]، و من خلال الزيارات المتكررة لدكتور غرداوي نور دين إلى مازونة، و تواصله مع الباحث الصادق بلحميسي، الذي ينتسب إلى الفقيه

---

[1] الحفناوي، الخلف، المصدر السابق ص 576.

[2] بوباية، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص–ص ،24–25.غرداوي، صلحاء وادي الشلف، المصدر السابق، ص74وذكره. وعبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، المصدر السابق، 314. وعبيد بو داود، تقديم مخطوطات كتاب في صلحاء وادي شلف (حولية المؤرخ) ع 13، 14، صفحات من 189–200 2011م، ص 189–190. وعادل نويهض، أعلام التصوف، المصدر السابق 281. ومحمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح المهدي أبو عبدلي، عالم المعارف، الجزائر، ط1، 2013م، ص 83.

[3]أبو يحي بن موسى المغيلي المازوني ت883هـ/1478م، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح بركات إسماعيل، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، 2010 م، ص–ص148.149.

[4] الطاهر بونابي، أهمية المخطوطات المناقبية في التاريخ الاجتماعي والثقافي والفكري للمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، (المجلة الجزائرية للمخطوطات)، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف ميسلة، الجزائر من 110.87، (د س ن)، ص ص94 . 95.

القاضي موسى المازوني ، تأكد له أن قبره موجود بمقبرة مغيلة بالقرب من مازونة القديمة، وهذا التأكيد أضفى مصداقية على الروايات التاريخية التي تتحدث عن مكان دفنه. [1]

2. عصر موسى بن عيسى المازوني:

عاش أبو عمران المازوني في النصف الثاني من القرن الثامن هجري إلى غاية القرن التاسع هجري، وقد شهد هذا القرن تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية كبيرة، حيث يعتبر هذا القرن من أكثر الفترات تأثيرا على العالم الإسلامي بشكل عام والمغرب الإسلامي بشكل خاص خلال العصر الوسيط[2].

عانت بلاد المغرب من الناحية السياسية في هذه الفترة صرعات حادة بين ثلاث دول رئيسية هي: الدولة الحفصية، الزيانية، المرينية[3]، كانت كل واحدة من هذه الدول تعتبر نفسها الوريث الشرعي للدولة الموحدية التي حكمت المغرب سابقا، مما أدى إلى تنافس شديد على بسط النفوذ السلطة على المنطقة، هذا الصراع المستمر تسبب في إضعاف المنطقة وتمزقها مما أتاح الفرصة للدول الأوروبية الطموحة للتدخل والتوسع مستغلةً بذلك حالة الضعف والانقسام[4]. وهكذا كان القرن الثامن الهجري فترة تحولات عميقة أثرت بشكل كبير على مسار التاريخ في المغرب والعالم الإسلامي[5].

وفي الفترة نفسها كان المغرب الأوسط تحت حكم بني عبد الواد، وعاصمته تلمسان التي ينتمي إليها الفقيه العلامة موسى بن عيسى المازوني، إلا أن الدولة كانت تعاني من اضطرابات شديدة نتيجة الصراعات الداخلية والخارجية التي مزقت أوصالها، فمن جهة واجهت نزاعات شرسة مع جارتيها الدولة

---

[1] بركات إسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، المرجع السابق، ص 148. طاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص147، وبوباية، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص 25، الطاهر بونابي، أهمية المخطوطات المناقبية في التاريخ الاجتماعي والثقافي والفكري للمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، المرجع السابق، ص ص94 .95.

[2] بركات إسماعيل، المرجع، نفسه، ص147.

[3] يحي بو عزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص61.

[4] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، 2009م، ج1، ص. ص 9 . 30

[5] غرداوي نور الدين، صلحاء واد الشلف، المصدر السابق، ص. ص12.11.

الحفصية شرقا والدولة المرينية غربا ومن جهة أخرى النزعات القبلية التي شكلت تحديا كبيرا، خاصة بين قبلتي مغراوة وبنو توجين، مما زاد من تكفك وتأزم الوضع الداخلي.[1]

ولم تقتصر التحديات على الصراعات الداخلية والإقليمية، بل امتدت إلى تهديدات خارجية خطيرة تمثلت في القوى الأوروبية الصاعدة خاصة إسبانيا والبرتغال ورغبتها في توسيع نفذهما في المنطقة، وهذه العوامل مجتمعة جعلت الدولة في حالة ضعف وهشاشة وعرضة للأخطار.[2]

كما عرف مجتمع المغرب الأوسط خلال عصر موسى المازوني _القرنين الثامن والتاسع هجري_ تركيبة سكانية متعددت الأعراق والطبقات المعيشية، الذي ترك أثرا عميقا في تكوينه الاجتماعي فقد ضم هذا المجتمع مزيجا من الامازيغ السكان الأصلين، والعرب الوافدة مع الفتح الإسلامي، بالإضافة إلى الزنوج وأهل الذمة، مما انتج نسيجا ثقافيا غنيا بالتنوع ولكنه أيضا مليء بالتوترات، نتيجة التقسيم الاجتماعي غير المتوازن [3]و المتجسد في:

سكان الأرياف وهم مزارعون مستقرون ورعاة رحال ، بينما شكل سكان الحواضر انصهار للعلاقات من خلال تعايش الامازيغ والعرب والزنوج [4]، لكن تحت هيمنة طبقات نخبوية كالفقهاء والأشراف الذين تمتعوا بمكانة اجتماعية ودينية رفيعة[5]، وقد أفرز هذا التقسيم انتشار مظاهر الفوضى مثل قطع الطرق، والنهب ،كما تفشت في الأوساط الشعبية التبرك المفرط بالأولياء و بعض الممارسات الدخيلة كالشعوذة والمجون ، مما يدل على تدهور البنية الأخلاقية الناتج عن غياب الأمن وضعف السلطة

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1830م، ج1، ص. 4639.

[2] غرداوي، صلحاء واد الشلف، ص. ص11-12. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص،39-46.

[3] الوزان الفاسي الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983م، ج1 ص 36 -70.

[4] نفسه، ص 36 - 40.

[5] أبو يحي بن موسى المازوني (ت883هـ/1478م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، المرجع السابق، ص ص61. 102.

الزيانية، وكون موسى بن عيسى المازوني ابن بيئته بكل ما حملته من تنوع وصراعات فقد أثر ذلك في تشكل وعيه الاجتماعي الإصلاحي[1].

وفي خضم التدهور السياسي والاقتصادي المنعكس على الجانب الاجتماعي، إلا ن الحركة العلمية ظلت نابضة بالحياة، فقد أشار أبو الحسن القلصادي[2] خلال رحلته سنة (840هـ/1436م) إلى ازدهار سوق العلم وإقبال العلماء والصلحاء على تحصيله، وتعد كتب النوازل الفقهية _مثل تلك التي ألفها المازوني يحي، و البرزلي، و الونشريسي_ شاهدا حيا على هذا النشاط العلمي الذي استمر رغم الأزمات[3].

مثلت هذه الحقبة ذروة التفاعل الثقافي بين حواضر المغرب الأوسط تلمسان ، بجاية ،فاس و امتدت إلى المشرق والأندلس، حيث تنقل العلماء مثل أبي عبد الله الشريف التلمساني[4] ومحمد بن أبي مرزوق بين هذه المراكز العلمية، حاملين معهم علوم متنوعة من فقه وأصول ...الخ، كما برزت شخصيات متعددة العلوم كسعيد العقباني[5]، الذي أتقن علوما متنوعة من الهندسة إلى المنطق، و غيره مما يدل على تنوع المناهج الفكرية رغم التحديات، كما كان للمؤسسات التعلمية من مساجد ومدارس دورا محوريا في حفظ المعرفة، حيث حرصت الأسر المغاربية على تعليم أبنائها، وظهرت بذلك طبقة من الفقهاء

[1] غرداوي نور الدين، صلحاء وادي الشلف، المصدر السابق، ص ص25 . 26.

[2] علي بن محمد القرشي الأندلسي، من اهل العلم سطع شعاعه أثر الاضطرابات التي عرفتها غرناطة، وله العديد من المؤلفات ولعل أبرزها، كتاب "الرحلة" توفي سنة 891هـ افريقية. ينظر القلصادي الاندلسي أبي الحسن علي، رحلة القلصادي، تح محمد أبو الاجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د س ن)، ص 7 .

[3] يحي بن موسى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، المصدر السابق، ص ص64 -102.

[4] أبو يحي عبد الرحمان بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني، من أهل العلم برز في التفسير والنحو والمنطق وجاب الأقطار في سبيل تحصيل العلم وتتلمذ على يد عدد هائل من الأساتذة، 250 أستاذ من المشرق والمغرب والاندلس توفي 842هـ. ينظر إلى عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية، موفم للنشر، الجزائر،2002م، ج1، ص335.

[5] قاسم بن سعيد العقباني درس بمدينة تلمسان، ثم رتحل الى مصر اين حصل على إجازة من قبل البساطي، وانتفع بيه الكثير ثم عاد إلى بلده توفي854هـ/1450م، ينظر إلى، عبد العزيز فيلالي، نفسه، ص335.

الذين جمعوا بين التدريس والإفتاء، كالمازوني الذي أسهمت مؤلفاته في تنظيم المجتمع عبر الخطاب الفقهي المالكي.[1]

ومن السمات الجلية في هذا العصر هو سيادة العلوم الدينية خاصة علوم الفقه ومؤلفاتهم من جهة وتمكن التصوف من التوغل في جميع الأواسط العامة وحتى الخاصة سواء علماء وفقهاء أو سلاطين،[2] واتخذ هذا التصوف شكل جديد بانتقاله من طابعه المعتدل الذي غذته مؤلفات الغزالي، إلى نشاط جماعي تنظمه الطرق ومن أشهرها الطريقة الشاذلية[3]، واشتهر خلال هذه الفترة الكثير من العباد وصلحاء والزهاد أمثال المصمودي (ت804هـ/1401م) إبراهيم التازي (ت866هـ/1461م)، أحمد زروق البرنسي (ت899هـ/1393م) وغيرهم[4]

وهكذا، بينما كانت الخريطة السياسية تتشكل وتتغير، ظلت الخارطة الثقافية تحتفظ بوحدتها واتساقها، مؤكدة أن الأمة الإسلامية رغم كل التحديات تحمل في داخلها مقومات التجدد والحياة، لقد صنع المازوني وعصره نموذجا ملهما لانتصار الفكر على تقلبات الزمن، وانتشار النور رغم ظلام الظروف.

لكن هذا الازدهار والتطور سرعان ما تدهور وعرف الانحطاط في القرن التاسع والقرون التي تليها نتيجة تراجع الحركة الثقافية وتوقف الابتكار والاجتهاد[5].

---

[1] بن ساحة بن عبد الله، تاريخ تلمسان الثقافي من خلال علماء وشعراء الفترة الزيانية، (مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية في شمال افريقيا)، مج 05، ع1، الجزائر، من ص ص 345 -360، 2022م، ص ص349 -355.

[2] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص ص 330 . 335.

[3] هي طريقة صوفية تنتسب لأبي الحسن علي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي ولد بالمغرب الأقصى 593هـ/1390م أحد اتباع ابي مدين تم تأسيس الطريقة ق13م تعتبر من أقدم الطرق بالمغرب أساسها الاخلاق والفضائل والتوحيد. ينظر عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، كنوز اشبيليا، الرياض، ط1، 2002م، ص 88.

[4] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق ، ص ص 330 . 335. و غرداوي نور الدين، صلحاء واد الشلف، المصدر السابق، ص50.

[5] غرداوي نور الدين، نفسه، ص ص 50 51.

ختاما يصنف مؤلف مناقب صلحاء الشلف، ضمن كتب المناقب، اكتسى بأهمية كبيرة متجلية في التمازج بين التاريخ والوعظ الروحي، من خلال تتبع السياق الجغرافي والتاريخي للمنطقة، ودراسة المدارس الصوفية بإضافة إلى تحليل مضامين الكتاب، لقد مثل موسى بن عيسى معلما قيما حيث شكل جسرا بين الماضي والحاضر، من خلال مؤلفاته التي وصلتنا وعلى رأسها كتاب مناقب صلحاء الشلف، داعيا إلى التمسك بالقيم النبيلة في زمن الاضطرابات. وهكذا لا تبقى هذه الدراسة مجرد سرد تاريخي، بل إضاءة تعيد ربط الحاضر بتراث أخلاقي عريق، يلهم دروب الإصلاح اليومي.

الفصل الثاني: تحليل الخطاب الأخلاقي في كتاب صلحاء الشلف

المبحث الأول: المفاهيم الأخلاقية في الخطاب الصوفي.

1. تعريف الخطاب الأخلاقي في التصوف.
2. الخطاب الأخلاقي في" مناقب صلحاء الشلف"
3. القيمة التاريخية والأدبية للكتاب.

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية الأساسية في كتاب صلحاء الشلف.

1. الصبر والتواضع والتوكل.
2. الزهد والرضا.
3. الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايثار.

المبحث الثالث: تجليات الخطاب الأخلاقي في كتاب " صلحاء الشلف."

1. الخطاب القصصي للصالحين وسيرهم الأخلاقية.
2. خطاب الكرامة، الماهية والأبعاد.

يعد الخطاب الأخلاقي في التصوف الإسلامي، جسرا بين القيم الروحية والممارسة العملية، لصناعة وعي أخلاقي متكامل، باتخاذ أقوال الصالحين وأفعالهم نهجا تربويا، ويأتي "كتاب صلحاء الشلف" ليكون مرآة عاكسة لهذا الخطاب، من خلال سير أولئك الصالحين الذين يمثلون نموذجا حيا للفضائل الأخلاقية في مواقفهم، كما يبرز دور الكرامات كأحد تجليات هذا الخطاب بتقديم شواهد حية على صدق التزام الصالحين بأخلاق الإسلام، وترسيخ المبادئ الأخلاقية في المجتمع.

المبحث الأول: المفاهيم الأخلاقية في الخطاب الصوفي

1. تعريف الخطاب الأخلاقي في التصوف:

أ. تعريف الخطاب:

لغة:

جاء في لسان العرب بشأن المعنى اللغوي للخطاب "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان "[1]، واتفق معه في ذلك ابن فارس وصاحب معجم الوسيط، باستثناء ثلاثة إضافات وردت في معجم الوسيط، فهو يشير إلى أن الخطاب موجه إلى أشخاص محدودين ويرمي إلى الإقناع، وقد يكون كلام الشخص المتحدث نيابة عن أشخاص آخرين.[2]

والخطابة مصدر الخطيب، وخطب الخطاب على المنبر، والخطاب هو الأمر والشأن وجمعه خطوب،[3] قال الله تعالى: { فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ }[4].

---

[1] ابن منظور (ت711هـ/1311م)، لسان العرب دار صادر، بيروت، ط1، 1997م، مج1، ص . ص 1145- .1194. مجهول المعجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4،2، (د س ن)، ص 421.

[2] منال عبد القادر، مصطلح الخطاب بين الدراسات العربية والغربية، (مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث)، مج2، ع4، 2022م، ص 87.49، ص 76.

[3] وئام مساعد الأحمدي، الخطاب بوصفه ممارسة أخلاقية، [Arab journal, For scientific publishing]، ع 37، 142 . 141، 2021، ص144. وينظر إلى الفيروز أبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1986م، ص103. وأيضا راغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرءان، تح صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1992م، 286.

[4] سورة الذاريات، الآية 31.

وفي تعريف آخر للخطاب في المعاجم اللغوية الغربية: كلمة الخطاب هي تعريب لكلمة ((DISCOURSE التي تعبر عن صنع خطاب رسمي طويل حول شيء ما، أو أن تناقش شيئا ما بشكل جدي.[1] ويعرف أندريه لالاند "الخطاب" في معجمه الفلسفي بأنه:

- عملية فكرية تجري من خلال سلسلة عمليات أولية جزئية ومتتابعة.
- بنحو خاص تعبير عن الفكر وتطوره، بسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة[2].

اصطلاحا:

اختلف مفهوم الخطاب ليتعدد بذلك تعاريفه نذكر منها:

عرفه سيف الدين الأمدي بأنه "اللفظ المتواضع عليه، والمقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه".[3]

ويعرفه سعيد إسماعيل علي بقوله: "الخطاب رسالة ذات هدف ودلالة، وهو كلام منطوق أو مكتوب...ويفترض فيه التأثير في السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والملابسات التي صيغ فيها الخطاب بصيغة المكان والزمان ".[4]

أما حضور المصطلح في القرآن الكريم فجاء بصيغة المصدر والفعل في الآيات التالية: لقوله تعالى: { وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ }[5].

وقال سبحانه وتعالى: { رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا }،[6] "فالخطاب سلسلة من الملفوظات التي يمكن تحليلها باعتبارها وحدات أعلى من الجمل تكون خاضعة لنظام يضبط العلاقات بين الجمل –السياقية والنصية – وذلك عن طريق تحديد النظام المعجمي،

---

[1] منال عبد القادر، مصطلح الخطاب، المرجع السابق، ص76.

[2] نفسه، ص76.

[3] سيف الدين الأمدي، الاحكام في أصول الإحكام، مكتبة عاطف، القاهرة، ط1، 1978م، ص136.

[4] سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي، (سلسلة كتب الأمة 100، مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية)، قطر، ط1، (د س ن)، ص9.

[5] سورة المؤمن: الآية 27.

[6] سورة النبأ: الآية 37.

الدلالي، أو التركيبي ...ضمن ظروف محددة".[1] ومن شروط الخطاب أن يكون المتكلم به نافع للمستمع نفعا دنيويا وأخريا، فكل كلام لا يحمل نفعا للمستمع لا يعد خطابا بل يعد لغوا[2].

ب.تعريف الأخلاق:

. لغة:

الأخلاق جمع خلق، والخُلق: يعني صورة الإنسان الباطنية والتي هي نفسه أوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.[3] وقال راغب:" والخَلْق والخُلْقُ، في الأصل واحد ... لكن خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلْق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة".[4]

اصطلاحا:

هو كل ما يصل بعمل الإنسان ونشاطه وما يتعلق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد.[5] ويعرف الجرجاني الخلق: بأنه "عبارة عن هيئة نفسية راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت هيئة خلقا حسنا، وإن كانت صادرة منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئا".[6]

---

[1] صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص192.

[2] الجرجاني بن علي، التعريفات، تح إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، (د، س ن)، ج1، ص134.

[3] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، المصدر السابق، ص881. ووئام مساعد الأحمدي، المرجع السابق، ص144.

[4] راغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، المصدر السابق، ص157.

[5] خالد جمعة بن عثمان الخراز، موسوعة الاخلاق، مكتبة أهل الأثر، (د ب ن)، ط1، 2009م، ص22.

[6] الجرجاني، المصدر السابق، ص101. وابن مسكويه (ت421هـ/1030م)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الحسينية المصرية، مصر، ط1، 1908م، ص41.

وقد عرف بعض الباحثين الأخلاق في نظر الإسلام بأنها عبارة عن مجموعة المبادئ والقواعد، المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه.[1]

ج. الخطاب الأخلاقي لدى المتصوفة:

يعد الخطاب الصوفي من أهم الخطابات في الثقافة العربية الإسلامية لما يحمله من خصائص فنية جمالية، يحمل في طياتها دلالات فكرية ورموز عميقة،[2] تجاوزت مرتبة اللغة عند المتصوفة اللغة العادية، فالمتصوفة يريد من خلال لغته أن ينسلخ عن الوجود، وينفذ إلى ما هو مألوف والمعتاد، إذ أنه ينطلق من لغة ومصطلحات موجودة إلى المفاهيم ودلالات متعالية تمنح لتصوف المتحرر الوصل إلى مرتبة الوجود الفعلي، فالصوفي يأخذ ألفاظا لغوية من العلم الحسي ويرتقي بها إلى العالم الروحي ليصنع عالم جديد لا يسمح الخوض فيه، إلا لمن كان منهم أو قريبا منهم، من خلال تبطين المتصوفة لخطابهم بنوع من الرمز الذي يخفي المعاني الحقيقية لا يظفر بها غير أهلها.[3] من أمثلة ذلك:

فَتًى لَوْ يُنَادِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا أَوِ الْقَمَرَ السَّارِي لَأَلْقَى الْمَقَالِدَا

يَرَى الْبُخْلَ مُرًّا وَالْعَطَاءَ كَأَنَّمَا يَلَذُّ بِهِ عَذْبًا مِنَ الْمَاءِ بَارِدَا[4]

الأبيات هنا تصور أتحاد العطاء بالوجود الأسمى فالبيت الأول يمجد الصوفي الذي تجاوز روحه حدود الطبيعية، ويشير البيت الثاني إلى عطاء الروح والمعرفة.

وقد استعمل لفظ الخطاب إلى العديد من المعاني والدلالات المتباينة ، وظفها متصوفة المغرب الأوسط لتمرير أفكارهم، التي تجاوزت لديهم حدود التعبير الخطابي إلى صلب الممارسة الروحية ، ويتجلى بوضوح في تجربتهم الإصلاحية والممارسة الفعلية السلوكية، وذلك عن طريق أسلوب غير مباشر، من خلال إصلاح المجتمع عن طريق سلوكاتهم الأخلاقية ، فكان للخطاب الصوفي الأخلاقي أثر كبير في

[1] المقداد ياجين، التربية الأخلاقية الاسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، (د س ن)،ص ص14 – 25.

[2] سوهيلة بن عتسو، الخطاب الصوفي بين الماهية والمرجع، المرجع السابق، ص ص163. 174، ص163.

[3] نفسه، ص178.

[4] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص235.

التأثير على أخلاق المجتمع حتى مع امتناع عن الخطاب والتزام الصمت ، فإن سلوكه وحياته كافيان لإنكار الخطاب السلطوي وما تتضمنه حياة السياسة من مفاسد و مؤامرات.[1]

ويؤكد على ذلك أبو مدين شعيب بقوله: "الشيخ من هذبك بأخلاقه وأدبك بأطرافه وأنار باطنك بإشراقه".[2]

وتحلى الصوفية بالأخلاق المثلى حتى يتسنى لهم التأثير في الغير[3]، كما جسد الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الأوسط الطريق المختصرة للاحتكاك بكافة أطياف المجتمع وذلك بالتحلي بحسن الخلق، كالتواضع وهو في الوقت ذاته عامل استقطاب البسطاء نحو الصوفي للأخذ عنه، فقد كان أبو يعزي يقبل على الفقراء ويأكل معهم.[4]ومن الوسائل الغير مباشرة كذلك التي مرر من خلالها متصوفة المغرب الأوسط أفكارهم، تحلي المتصوفة بخلق الكرم وسلوك الإثار الذي كان عاملا مؤثر في الاقتداء بالصوفي في أخلاقه وسلوكاته[5]. كما يذكر أن أبي مدين شعيب أكرام ضيفه بأن ذبح له كبشا.[6]

يمكن القول من خلال ما سبق ذكره أن المتصوفة في طريقهم الإصلاحي ركزوا على الجانب التأثيري العملي، أي أنهم مثلوا الأخلاق في سلوكاتهم ليؤثروا في مجتمعهم، وذلك بتقديم أنفسهم كقدوة حسنة لمجتمعهم. إلى جانب الأسلوب الغير مباشر استعان الصوفية بالخطاب المباشر لتمرير خطابهم الأخلاقي الذي تضمن الوعظ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح والإرشاد ... بواسطة الشكر الذي

[1] محمد حلمي عبد الوهاب، ولاة أولياء السلطة المتصوفة في الإسلام العصر الوسيط، الشركة العربية للأبحاث، بيروت، ط1، 2009م، ص151.

[2] عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تح عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الازهرية للتراث، 1994م، ج1 ص669.

[3] أبو زكريا ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، مطبعة بيرفونطا الشرقية، المصدر السابق ج1، ص37.

[4] بركات كمال، خوله عمامرة، الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الأوسط وأثره في المجتمع خلال قرنين 7و8هـ، (مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية)، ع1، مج2، 2018م، ص200.

[5] بركات كمال، خوله عمامرة، الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص207.

[6] ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص91.

وجدوا فيه إطار تبليغي ولم يكن الشعر هدفا بحد ذاته، بقدر ما كان أدبا رسالي ينطوي على سر لا يدركه إلا العارفون.[1]

يعد الوعظ من أهم الركائز التي استند إليها متصوفة المغرب الأوسط في تمرير خطابهم وبرز الكثير فيه، إذ ساهم خطابهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برتقاء أخلاق المجتمع وسببا في توبة كثير من الناس.[2] كما يملك الخطاب الصوفي أثر نفسيا مباشرا، حتى يشعر كل مستمع أنه المقصود من كلام الولي، مهما يكن الأمر فإنه لا شك أن سلطة الخطاب الصوفي أحدثت إضافة فيما يخص تقويم وإصلاح الأخلاق على مستوى العامة كما على مستوى الخاص، وأثمر الخطاب في الحد من الانحراف الأخلاقي على مستويين العام والخاص، ودخلت فئات إلى عالم التصوف.[3]

2. الخطاب الأخلاقي في "مناقب صلحاء الشلف":

هو مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، توجد نسخة منه في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 2343 [4]، وقد عمل الدكتور عبيد بو داود من جامعة ابن خلدون– تيارت– الجزائر، على تحقيقه و نشره ضمن كتاب التصوف في المغرب الأوسط –الجزائر – مكتبة الرشاد [5]، كما ووجدت دراسة أخرى للغرداوي نور الدين من جامعة الجزائر 2، تحت اسم "صلحاء وادي الشلف"، دار الخلدونية، الجزائر ،فضلا عن الدراسة و التحقيق الذي أنجزه الدكتور عبد القادر بوباية من جامعة أحمد بن بلة – وهران 1 ، تحت مسمى "مناقب صلحاء الشلف "مكتبة الرشاد ، سيدي بلعباس – الجزائر[6]، و اشتهر بهذه التسمية لأن كل من قدمه أو عرفه أو استخدمه في بحوثه ذكره بذلك العنوان[7]،مع

[1] حلمي عبد الوهاب، ولاة وأولياء، المرجع او المصدر السابق، ص164.

[2] بركات كمال، الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الأوسط، المرجع السابق، 210.

[3] نفسه، ص. ص213 .215.

[4] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص ص 27 . 26.

[5] عبيد بوداود، مختصر ديباجة الافتخار، المصدر السابق، ص 525 .530.

[6] عبد القادر بوباية، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص ص26 .27.

[7] فهيمة حناش، المرجع السابق، ص. ص ،529 . 523.

اتفاق الجميع بعد دراسة محتوى الكتاب و جمع الأراء ليكون عنوانا يعكس مضمون الكتاب بشكل شامل. ومن خلال ما أورده المازوني في مقدمة مؤلفه أن الدافع لتأليف مختصر الديباجة هو بطلب من أحد أصدقائه نسخة من كتابه الكبير "ديباجة الافتخار"، لهذا أقدم موسى بن عيسى على تقديم نسخة مختصرة من كتابه[1]. فيذكر المؤلف في مقدمته "ووعدته أن ألخص له شيئا من فضل شيخنا وسيدنا الوالي أبو البيان الواضح ...من مناقب غيره من صلحاء الشلف المشهورين..." وخاتمته بقوله: " وهذا آخر ما قصدنا إليه من مناقب المشيخة الشلفية، وبه أيضا رجال فضلاء لكنهم دون مقام ..."[2]

أ. مصادر الخطاب في "صلحاء الشلف":

1. المصادر المكتوبة:

ومن المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في نذكر على سبيل المثال مع التذكير أن المؤلف نادرا ما يذكر عنوان المصدر المعتمد عليه بل يكتفي في غالب الأحيان بذكر المؤلف فقط، ومن المصادر والمؤلفين الذين اعتمد عليهم نذكر:

الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر[3]، أبو حامد الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين. ذكر صاحب الزهر الأنيق، معروف الكرخي، القشيري، قال الشيخ الصالح أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي في كتاب التشوف إلى رجال التصوف، سيد عبد القادر الجيلاني، سيدي أحمد الرفاعي[4]، الإمام المحقق أبو بكر بن العربي، الجنيد مربي المحاسبي، مالك بن دينار وأحمد بن مالك، سيدي أبو مدين وأورد الكثير من حكمه، وذكر مؤلف عنوان الدراية، وحكى أبو الفرج الجوزي ونقل عنه كثيرا من

[1] عبيد بوداود، تصوف المجتمع في بلاد المغرب، (أعمال الندوة الدولة الثانية لقسم تاريخ)، تقديم لطفي عيسى، تنسيق محمد الناصر صديقي، وعبد الكريم الشبلي، مجمع الأطوش للكتاب، تونس، ط1، 2024م، ص40.

[2] موسى المازوني، صلحاء وادي الشلف، المصدر السابق، ص77 . 79.

[3] عبد القادر بوباية، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص ص 28، 29.

[4] هو أحمد بن علي الرفاعي المغربي ، المتوفي سنة 578هـ/1182م، بالعراق، وهو إمام صوفي شيخ الطريقة الرفاعية نسبة إليه ، اشتهر عنه العديد من الكرامات مثل أكل الحيات، ملامسة النار ، وغيرها من الخوارق. ينظر عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، المرجع السابق، ص ص 89 . 90.

كرامات الأولياء، قال الصقلي في تآلفه الموسوم بكتاب أنوار القلوب من العلم الموهوب وقال أبو يزيد البسطامي[1] وأورد كثيرا من مناقبه وأقواله.[2]

ابن عطاء الله الإسكندري وذكر عددا كبيرا من حكمه وغيرهم من المصادر، مما يكشف عن سعة اطلاعه وغزارة معلوماته. ومن أهم المصادر المكتوبة التي وظفها في ترجمة الشيخ أبو البيان[3] واضح القصيدة التي نظمها حفيده أبو محمد عبد الله بن يوسف، والتي تعتبر في عداد المصادر المفقودة حاليا[4].

2 . الرواية الشفوية:

اعتمد الكاتب في ترجمة أولياء وادي الشلف وصلحائه بشكل رئيسي على الرواية الشفوية، حيث استند إلى مصادر متنوعة تشمل شيوخه وعلماء منطقته؛ بالإضافة إلى أحفاد الصالحين المترجمين في كتابه، و يؤكد ذلك قوله على سبيل المثال:" أخبرني شيوخ الحوز عن آبائهم حفدة الشيخ" ، "وقال لي بعض فضلاء حفدة الشيخ"، "وأما الحاج يعقوب فقال لي"[5] والحاج يعقوب هذا من علماء و أفاضل مازونة، وقد اعتمد على هؤلاء الرواة في ذكر مناقب وكرامات صلحاء وادي شلف، الذين ذكرهم في مختصر دباجة الافتخار، كما استشهدت بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة أو الضعيفة، بل وحتى تلك التي لا أصل لها في كتب الحديث، مما يكشف عن طبيعة ثقافته الدينية،

---

[1] أبو يزيد البسطامي: هو أبو يزيد بن عيسى بن آدم بن عيسى بن على البسطامي، الزاهد المشهور توفي (261هـ/874م أو 262هـ/875م) لتفاصيل أكثر ينظر ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت681هـ/1282م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د س ن) ، ج2، ص 436.

[2] عبيد بوداود، مختصر دباجة افتخار، المصدر السابق، ص ص 538 . 539.

[3]أبو البيان واضح بن عاصم المكناسي دفين خندق ارهيو، الذي كان بنواحي شلف وقبره ووطنه وخلفه معروف بتلك البلاد للمزيد ينظر ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، در وتح سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 2008م، ص273. ومحمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المصدر السابق، ج1، ص . ص 568 .570. ابن صعد التلمساني (ت 901هـ/1495م)، المصدر السابق، ص . ص 402 . 405.

[4] غرداوي، صلحاء وادي الشلف، المصدر السابق، ص95.

[5] عبد القادر بوباية، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص 30.

بالإضافة إلى ذلك أورد العديد من الأبيات الشعرية التي ترتبط في غالبيتها بالتصوف والمتصوفة سواء من المشرق أو المغرب.[1]

ب.**منهج الخطاب في الكتاب ومنهجه:**

المؤلف في موضوعه يركز على سيرة ومناقب صلحاء وأولياء وادي الشلف،[2] وتوسع ليشمل صلحاء من مناطق أخرى مثل: المغرب الأقصى، افريقية وبلاد المشرق. اعتمد المؤلف على روايات شفوية ومصادر دينية وأدبية مستشهدا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحكم العطائية وغيرها من أقوال كبار المتصوفة مثل: أبي مدين شعيب، وأبي يزيد البسطامي[3].كما أن الكتاب يهدف إلى ترغيب القراء في صحبة الفضلاء وزيارة الصلحاء مع تقديم مواعظ وأشعار تلامس القلوب وتثير المشاعر رغم أن العنوان يوحي بالتركيز على صلحاء وادي شلف، إلا أن المؤلف تجاوز ذلك ليشمل شخصيات صوفية من مناطق جغرافية واسعة، مما يجعل الكتاب نسخة طبق الأصل من" ديباجة الافتخار[4]".

وقد سلك المؤلف أسلوبا خطابيا يقوم على:

"الدفاع عن كرامات الأولياء وشرعيتها من خلال ثبوت حدوثها لكبار الصحابة والتابعين والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على ذلك، والرد على معترضي كرامات الأولياء. موظفا في خطابه عبارة "يا أخي" و استغرق منه ذلك الصفحات 49 الأولى ثم يباشر بعد ذلك الترجمة لأولياء وادي الشلف، ويبدأ بأبي البيان واضح، ومم جاء في ترجمته:"كان الشيخ أبو البيان فيما حدث عنه الثقات قاهرا لأحواله، مجتهد دائم التوبة إلى الله قامعا لشهوته، فكان يقتات ببقول الفحوص

[1] عبيد بوداود، مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الاخيار، المصدر السابق، ص539.

[2]طاهر بونابي، أهمية المخطوطات المناقبية المرجع السابق ص 95-94.

[3] بوباية، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص.ص30 . 31.

[4]عبيد بوداود، مختصر دباجة الافتخار، المصدر السابق، ص545.

ومباحث الأرض، لم يكن عالما وإنما كان أميا كشيبان الراعي[1] ،عاملا ،صواما ،قواما ..."[2]،ثم يورد بعد ذلك عدد من كرماته، ويطنب في ذلك ثم يختتم بذكر وفاته الذي كان في أواخر ق7هـ...ولقد استغرقت ترجمة الشيخ أبي البيان واضح ما بين صفحات 50 . 116 ويبدو أنه ركز عليه أكثر من غيره لكبير وقع هذا الولي في نفسه، غير أن الترجمة تخللتها الكثر من الاستطرادات، فالمؤلف يبدو أنه كان واسع الثقافة، ولم يكن يتقيد بالموضوع أو الشخص الذي يترجم له، فنجده أكثر من مرة يتعرض إلى قضايا عديدة في غالبها ذات علاقة بالتصوف والكرامات، والخلوة و كان في كل مرة يعود فيها إلى الموضوع، وبعد انقطاع موظفا عبارة "ومن مناقب الشيخ"[3].

ثم ترجم للولي أبي يعقوب بن أبي عبد الله بن محيو الهواري[4] ما بين ص 117 . 250، ومما جاء فيها "أنه كان رضي الله عنه جليل المقدار، عالما صالحا زاهدا، تؤثر عنه غرائب وعجائب"[5]، ثم أتى على ذكر كرماته ومناقبه، وقد تضمنت ترجمة هذا الولي معلومات تاريخية في غاية الأهمية تتعلق ببني غانية، ويذكر أن قبره ببني حلوان بساحل مازونة مشهور بتبرك، يفزع لحماه في أوقات النهب والسلب، ثم ترجم للولي أبي عبد الله محمد بن محيو الهواري الشهير بالأبرش[6] بين صفحتي ً250 . 291، ويذكر أن قبره بخارج باب البحر من تنس"[7].

---

[1] شيبان الراعي: هو أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرميسيني، إمام أهل الحقائق في عصره توفي 330هـ، لمزيد من المعلومات ينظر عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تح عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، 1994م، ج2، ص . ص 11.9.

[2] موسى بن عيسى المازوني، مختصر ديباجة الافتخار، عبيد بوداود، لمصدر السابق، ص ص530- 531.

[3] نفسه، ص ص531 . 532.

[4] محيو الهواري: من أهل تونس كبير الشأن من أهل العلم والعمل، اجتهد في نسخ كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، واعتكف عليه حتى حفظه. ينظر إلى ابن الزيات، التشوف، المصدر السابق، ص179.

[5] موسى بن عيسى المازوني، مختصر ديباجة الافتخار، عبيد بوداود لمصدر السابق، ص ص 532 – 533.

[6] الابرش: هو أبو عبد الله محمد بن محيو الهواري، كان وليا صالحا حسن الخلقة وخوفا على نفسه من افتتان الغير دعا الله فستجاب له الله ونثر طائر الماء عليه فأصبح أبرش، موسى المازوني مناقب صلحاء شلف، نفسه، ص336.

[7] موسى بن عيسى المازوني، مختصر ديباجة الافتخار، عبيد بوداود لمصدر السابق، ص ص 533 – 534.

كما يترجم لعدد من الصالحين ولكن بشكل مختصر مقارنة مع الذين سبق ذكرهم، منهم: أبو الربيع المديوني[1]، الذي وأرده بشأنه "لم أحفظ منه شيئا من المناقب لأنها أهملت أخبار وجهلت عند هذا الجبل آثاره إلا أنه على جمل على فضله " ثم سيدي فاتح بن يوسف يقول عنه أنه كان عابدا ناسكا فاضلا ذاكرا داعيا مجتهدا، ولقد ترجم له ما بين صفحتي 291 .297، وسيدي أبو يحي –لم يذكر من هو- كبير الشأن جليل المقدار ويقول عنه نقلا عن أستاذه أبي زكريا وبعض حفدته، أنه شريف من شرفاء ساحل تدلس، إلا أن حفدته أخفوا ذلك[2].

ثم يأتي على ذكر أبي عبد الله محمد بن يحي وسيدي يحي بن (فراغ) الشهير بالبهلول، وسيدي سعيد بن عريف، وإن هذه الأسماء لا يعدو عن ذكرها دون أن يقدم عنها معلومات ذات قيمة. والذي لاحظه عبيد داوود أن التراجم التي أوردها صاحب المخطوط كثيرة الاستطردات. وهو لم يجهد نفسه في تحديد تاريخ من يترجم لهم، لكنه شديد الحرص على ذكر مواضع قبورهم، وإن روح التصوف تبدو بارزة على طريقة تأليفه وعلى أفكاره، لكنه من المتصوفة الذين يجمعون بين الفقه والتصوف.[3]

كما كان شديد الانتقاد لسلوكيات بعض مدعي التصوف، وصور بدقة ما كانوا يفعلونه بقوله: " يتداولون الأذكار يلوون بها ألسنتهم إتباعا منهم بزعيمهم لسنة شيخهم، وينزعجون واحدا بعد واحد من غير سبب فيتجنون ويظهرون أمورا غريبة ويركلون الأرض ركلا ويتواجدون تكلفا ويتباكون استنادا لما روى ... ويعرفوا بالطريقة المثلى في ذلك ...".[4]

إن كتاب " مناقب صلحاء الشلف " من المؤلفات المناقبية التي تجمع بين التاريخ الروحي و الاجتماعي، حيث يبرز هذا المؤلف سير عدد من الصلحاء و العلماء، الذين تركوا بصمة عميقة في

---

[1] أبو مدين الربيع المديوني، شيخ فقيه، من تلامذة ابي مدين شعيب حسب ما أورده ابن الزيات و بتغير قلبه سلب المكاشفة وصار كعامة الناس ويذكر المازوني أن قبره خارج مدينة تنس بأكثر من 12كلم. ينظر ابن الزيات، التشوف، المصدر السابق، ص 180. وموسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر نفسه، ص 326 ، 348. وابن قنفذ القسنطيني، انس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص60.

[2] موسى بن عيسى المازوني، مختصر ديباجة الافتخار، عبيد بوداود لمصدر السابق، ص ص534 – 535.

[3] عبيد بوداود، مختصر دباجة الافتخار، المصدر السابق، ص 536.

[4] الغرداوي نور الدين، صلحاء وادي شلف، المصدر السابق، ص 100.

منطقة وادي الشلف[1]، وقد جعل أبو عمران موسى المازوني، مقدمة مخطوطه تسجيل لخصال صوفية وادي الشلف، و أحاطهم بهالة من القداسة و شدد على المنتقدين لأحوالهم في خطاباته العديد منها قوله: "فالواجب على كل متدين أن لا يعترض لأهل الطريق في طريقهم بل يسلم لهم و لا ينازعهم و لا ينكر أحوالهم ..."، أما المتن فيضم البعد الحكائي الذي يتخذ شكل الرواية النثرية أو التراجم الطولية أو القصيرة ، تناول الوالي من حيث أصله ونشأته ورحلاته و كرماته ونشاطاته ، مستشهدا بذلك بالشعر والحكايات والأمثال المؤثرة في النفوس وتهيج الموحد.[2]

3 . القيمة التاريخية والأدبية للكتاب:

يمثل كتاب مناقب صلحاء الشلف، إرثا نادرا ومفقودا في تاريخ التصوف المناقبي إلى جانب كتاب ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، بالمغرب الأوسط، حيث يجسد نقلة نوعية في توثيق حياة الأولياء والعلماء الصالحين، بعيدا عن الشطحات الصوفية التي طغت على كثير من المؤلفات المشابهة، فمادته تمتزج بين الزهد والتصوف السليم، مع تركيز واضح على سير تبرز القيم الروحية والأخلاقية، رغم ما قد يلاحظ من مبالغات في سرد بعض الكرامات، كما هو شائع في أدبيات المناقب[3].

وصف المؤرخ الحفناوي هذا الكتاب بأنه " تأليف عظيم القدر كبير الفائدة"[4] حيث أشار إلى أنه ملخص من مؤلف أكبر بعنوان "ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الاخيار " لكن اقتصر على تراجم مشايخة منطقة الشلف، ممن اشتهروا بالصلاح والعلم النافع، ممن يقال إنهم " يغسلون أدران القلوب" بعلومهم وأخلاقهم. من أبرز الأسماء التي تناولها: سيدي واضح الشلفي، سيدي يعقوب، سيدي عبد الله الهواري التنسي، سيدي يحيى، وسيدي يحي بن بهلول، وآخرون.

اسهاماته التاريخية: لا يقتصر هذا الكتاب على كونه سجلا صوفيا فحسب، هو موسوعة متعددة الابعاد تقدم رؤية شاملة للمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، حيث يكشف

---

[1] عبيد بو داود، تقديم مخطوطات كتاب في صلحاء وادي شلف، المرجع السابق، ص ص 189 . 190.

[2] عبيد داود، مختصر دباجة الافتخار، نفسه، ص536.

[3] غرداوي نورالدين، صلحاء وادي الشلف، المصدر السابق، ص 101.

[4] بركات إسماعيل، المرجع السابق ،ص ، المرجع السابق 148

عن الأحداث السياسية: مثل الصراعات القبلية (كنزاع بين بني توجين ومغراوة) وعلاقة القبائل بالسلطة الزيانية.[1]

الواقع الديني والاجتماعي: من خلال دور المتصوفة في المجتمع وموقف الفقهاء من ظاهرة الولاية.

المعطيات الجغرافية: بتحديد دقيق لأسماء القبائل والمساجد والزوايا، مما يجعله مرجعا لا غنى عنه في الدراسات التاريخية. كما يعد نافذة نادرة على التاريخ الثقافي والديني للمغرب الأوسط، حيث يقدم صورة حية عن الحياة اليومية والمكانة الروحية للصالحين وتفاعلهم مع محيطهم، كما يساهم في كشف غموض العديد من الجوانب الاجتماعية التي غابت عن المصادر الرسمية، مما يجعله ذا قيمة استثنائية للباحثين.

باختصار فإن كتاب مناقب صلحاء الشلف، الذي يصنف ضمن كتب المناقب، تتجلى قيمته كمصدر لا يستغنى عنه في فهم التصوف الأخلاقي، فهو ليس مجرد كتاب تراجم بل هو إرث حضاري جمع بين العمق الروحي والدقة التاريخية، ليرسم لنا لوحة زاخرة بعطاءات المغرب الأوسط في عصر كان التصوف السليم فيه شاهدا على نقاء القلب وسمو الروح.

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية الأساسية في كتاب صلحاء الشلف:

في عالم تتصارع فيه القيم وتتزعزع فيه المبادئ، تظل سيرة الصالحين نبراسا يضيء دروب الفضيلة، ويذكرنا بأن الأخلاق ليست كلمات تقال بل أفعال تعاش، ويأتي كتاب " مناقب صلحاء الشلف للمازوني" ليرسم لنا لوحة أخلاقية نابضة بالحياة يجسد فيها أولئك الأولياء والعباد قيما إسلامية أصيلة مثل: الصبر والزهد، والتوكل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والكثير من القيم الأخلاقية التي هي خير زاد للإنسان في رحلته نحو الله والأخرة.

1. **الصبر والتواضع والتوكل:**

أ. الصبر: أورد المازوني في كتابه الكثير من العبر عن الصبر والدعوة إلى التحلي به في العديد من الصيغ ولعلى أبرزها:

[1]. غرداوي نور الدين، صلحاء الشلف، نفسه، ص101.

أنه سئل الخواص [1]عن أعجب ما رأى في تردده لمكة قال: رأيت رجلا أقطع اليدين والرجلين وعليه من البلاء أمر عظيم وهو يزحف زحفا؛ فتحيرت منه وسلمت عليه فقال: وعليك السلام إبراهيم؛ فقلت: وبم عرفتني؟ قال لي: الذي جاء بك عرف بيني وبينك؛ فقلت له: أين تريد؟ قال: لمكة؛ فبقيت متعجبا أنظر إليه؛ فنظر إلى شزرا[2]؛ فقال: أتعجب من قوي يحمل ضعيف ويرفق به، ثم دمعت عيناه؛ فتركه على حاله؛ فلما وصلت مكة رأيته في المطاف يزحف[3].

ويقول القشيري في كيفية أحوال المردين في العمل: قال:" على سبيل الكد والاجتهاد والانكماش والمبادرة والمكابدة؛ وحمل النفس على احتمال التواني ومعالجة الصبر ومفارقة الراحة ومجانبة الرفاهة".[4]

والصبر

لغة: هو الحبس[5] والكف، يقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر أي: حبستها،[6] وقال تعالى: { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}[7].

اصطلاحا: هو حبس النفس ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسهما عنه، وهو أحد الأركان الأساسية التي يقوم عليها الخلق الحسن.[8] ومقام من مقامات التي يصل إليها الصوفي بجهده وجلده من ناحية، وبتوفيق الله إياه من ناحية أخرى، لأن الصبر يتطلب من الإنسان تضحيات كثيرة،

---

[1] هو أبو إسحاق الخواص إبراهيم بن أحمد الخواص، من أقران الجنيد والنوري، مات بالري سنة291هـ/333م، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص64، 65.

[2] شزر فلانا أي نظر اليه بمؤخرة عينيه، وأكثر ما يكون في حال الإعراض أو الغضب، المعجم الوسيط، تح إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، ط3، القاهرة، 1972م، ص481.

[3] موسى المازني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص316.

[4] نفسه، ص342.

[5] عبد الله بن أحمد بن عجيبة(1224هـ/1809م)، معارج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كشف النقاب عن سر لب الألباب، تح عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء، (د س ن)، ص28.

[6] خالد جمعة بن عثمان الخراز، موسوعة الاخلاق، المرجع السابق، ص75.

[7] سورة الكهف، الآية 28.

[8] خالد بن جمعة، نفسه، ص76.

منها ما هو نفسي ومنها ما هو بدني،[1] فهو يربي المرء على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم، والاناة والرفق، وترك الطيش والعجلة.[2]

وثمة آيات قرآنية كثيرة تمدح الصبر، والصابرين وتدعوا المؤمنين إلى الصبر، موضحة أنه صفة حميدة ينبغي على كل مسلم أن يتصف بها، قال تعالى: {وَاصْبِرْ ۖ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} وقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } وقال أيضا: { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} وقال سبحانه وتعالى: { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} وغيرها من الآيات التي تشد بالصبر والصابرين، كما أشادت به أيضا الأحاديث النبوية فقال صلى الله عليه وسلمك"ما أعطى أحد عطاء خيرا أوسع من الصبر" وغيره.[3]بينما تباينت تعاريفه لدى المتصوفة، فقال أبو عثمان عن الصبر: هو الثبات مع الله تعالى وتلقي بلائه بالرحب...، وقيل الصبر هو " هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة". وقال رويم: "الصبر ترك الشكوى". أما جنيد فقال: "الصبر حمل المؤمن لله تعالى حتى تنقبض أوقات المكروه".[4]

وفي نظر ابن القيم الجوزية، أن الصبر ينقسم إلى ثلاثة أنواع: صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله، فالأول: صبر الاستعانة به، ورئتيه أنه هو المِصَبْر، والثاني: الصبر لله، وهو أن يكون الدافع على صبره محبة لله والتقرب إليه. أما ثالثا: الصبر مع الله وهو أن يكون العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابرا نفسه معها، ساترا بسيرها ...[5]

---

[1] فيصل بربرعون، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، 1983م، ص ص115 .116.

[2] خالد بن جمعة، المرجع نفسه، ص76.

[3] فيصل بربرعون، المرجع السابق، ص116.

[4] خالد بن جمعة، المرجع السابق ، ص117.

[5] أبو عبد الله محمد ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين في منازل السائرين، تح محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، ج2، (د، ت، ن)، ص 156.

هنيئا للصابرين ما أرفع درجتهم وأعلى هناك منازلهم، فيقول في ذلك محمد بن صبيح العجلي[1]:"أعطي الصابرون الصلاة من الله عليهم، ورحمة منه لهم، فمن ذا الذي يدرك فضلهم إلا من كان منهم".[2]

ب. التواضع:

مما جرا به قلم المازوني في دعوته إلى التواضع في أعطر العبارات "منابت الأجرين تلوح في ظلام الدجى فترصدها بالسهر، وضع عليها رماد التواضع؛ فإذا أصبحت فخذ معول الكدّ واحفر"[3]. ومن أعذب القصص التي ساقها لنا في ذلك:

إذ يحكي عبد السلام التونسي،[4] أن جاءه مرة أمير من أمراء تلمسان فقاله: ما تطلب عندي وأنا فقير وأنت أمير؟، قال: جئت لأتبرك بك وآكل من طعامك؛ فقال له: وما تصنع بطعام وهو خبز شعير ولحم سلحفاة، فقدمه إليه فأكله.[5]

وعليه فالتواضع

لغة: مصدر تواضع أي ظهر الضعة، وهو مأخوذ من مادة (و ض ع) التي تدل على الخفض والتواضع: التذلل[6].

---

[1] محمد بن صبيح العجلي ابن السماك، هو الزاهد القدوة، سيد الوعاظ، روى عنه أحمد بن حنبل وآخرون وعدة من التابعين، وهو كوفي، قدم بغداد فمكث فيها مدة ثم عاد إلى الكوفة فتوفي بها سنة 183هـ/799م، ابن أبي دنيا (ت281هـ/893م)، الصبر والثواب عليه، تح محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت لبان، ط1، 1997، ص101.

[2] نفسه، ص101.

[3] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص335.

[4] هو أبو محمد عبد السلام التونسي، أصله من تونس، وصحب عمه عبد العزيز التونسي بأغمات فلما مات بها عمه رحل الى تلمسان وبها توفي، كان عالما زاهدا من أكابر أولياء الله تعالى، يلبس الصوف ويأكل الشعير من حرث يده والسلاحف البرية، ابن الزيات، التشوف، المصدر السابق، ص ص 110. 111.

[5] موسى المازوني المصدر السابق، ص305. وابن الزيات التشوف، المصدر السابق، ص110 . 111.

[6] خالد بن جمعة، المرجع السابق، ص300.

اصطلاحا: أي رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومكانته، وذلك تفضلا منه بين ذوي فضل يعرفون قدره، وإلا كان منتقص، وأكبر ظن المرء بنفسه أنه متميز عن غيره، والمتكبر من ظهر ذلك، فقد روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر". قيل: أن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسن، ونعله حسنة، قال: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس." بطر الحق: عدم قبوله ورده أما لأنه يخالف هواه أو لأن القائل به مختلف معه، وغمط الناس: احتقارهم واستصغارهم. وعليه فالتواضع ألا تشعر أنك متواضع، فإن احساسك أنك متميز عمن حولك وأنك تتنازل عن بعض ما تستحقه من منزلة لكي تتواضع للناس، لا يعد هذا تواضعا، بل إنه عين الكبر في داخلك.[1]

وقيل في فضل التواضع، إذا ثبت التواضع في القلب ثبت فيه جميع الخير من رأفة ورقة والرحمة واستكانة، والقنوع، والرضا، والتوكل، وحسن الظن وشدة الحياء وحسن الخلق، ونفي الطمع وجهاد النفس وبذل المعروف وسلامة الصدر، والتشاغل عن النفس، والمبادرة في العمل بالخير، البعيد عن الشر وكل أمري على قدر ما فيه من البر يكون فعله.[2]

ج. التوكل:

تضمن المؤلف القيم الذي بين أيدينا قصصا كثيرة في التوكل على الله وآثار ذلك في حياة العبد، فجاء على ذكر العديد من الأولياء الذين أحسنوا التوكل على الله وحماهم سبحانه حتى في طعامهم وملبسهم من الحرام[3].

لغة: التوكل مشتق من الوكالة، وهو عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل الوحيد.[4]

---

[1] يحي بن معاذ الرازي (ت657هـ/1258م)، جواهر التصوف، جمع وتعليق سعيد هارون عاشور، مكتبة الآداب، (د، ب، ن)، ط1 ،2002م، ص151.

[2] محمد الغزالي (ت505هـ/1111م)، احياء علوم الدين، المصدر السابق، مج4، ص259.

[3] . موسى المازوني، صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص317،309.

[4] محمد الغزالي، احياء علوم الدين، المصدر السابق، ص259. ينظر أيضا ابن عجيبة معراج التشوف، المصدر السابق، ص30

اصطلاحا: هو حال القلب ينشأ عن معرفته بالله عز وجل والإيمان بتفرده بالخلق والتدبر والضر والنفع والعطاء والمنع وإنه ما شاء الله كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس[1]، ويعد التوكل مبدأ إسلامي عظيم ورفع من شأن المتوكلين، وهناك الكثير من الآيات الكريمة ولأحاديث النبوية تشير إلى ذلك:[2] قال تعالى: { وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.[3]

وفي الحديث الشريف عن ابن العباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون".[4] وفي بيان منزلة المتوكلين عند الله قل تعالى: { فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} وغيرها من الآيات التي تحث على التوكل والإشادة بمن صدق من المتوكلين.[5]وعلى إثر ذلك قسم بعضهم التوكل إلى ثلاثة درجات: التوكل ثم التسليم، ثم التفويض، فالتوكل يسكن إلى وعده لقوله تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه، ويقول عز وجل: { وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}، وصاحب التفويض يرضى بحكمه لقوله: { أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}[6].

وقد بين بعض أئمة التصوف أن التوكل مقام يضم ثلاثة أشياء: علم، وحال، وعمل. فالعلم: هو الأصل، والعمل: هو الثمرة، والحال: هو المراد باسم المتوكل، وإن كان بعضهم يعارضهم في ذلك. فمن أقوالهم: "التوكل أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغسال يقلبه كيف يشاء لا يكون له حركة ولا تدبير".[7]

---

[1] ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، المصدر السابق، ج1، ص82.

[2] أحمد بن محمد البناني، موقف ابن تيمية من التصوف والمتصوفة، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط3، 2005م، ص125. وإبراهيم بسيوني، نشأت التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص147.

[3] المائدة: الآية 23.

[4] محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مر محمد على القطب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ج4، 2003م، ص135.

[5] البناني، المرجع السابق، ص125.

[6] معاذ الرازي، جواهر التصوف، المصدر السابق، ص99.

[7] أحمد البناني، المرجع السابق، ص126.

فمن اعتمد على كسبه دون النظر إلى الله رازقه ظل فقيرا يجري وراء الكسب ولو حاز منها الكثير، ومن كان يقينه بالله رازقه كان غنيا، فالغني غني النفس، من قصد الناس بحوائجه دون ربهم لم يزل محروما.[1] آلا ترى أن من يملك أرضا ويريد أن يحصل منها على نتاج زراعي يحتاج إلى العمل على حرثها وسقيتها، وهكذا مختلف وسائر الأعمال، فلو جلس في بيته دون عمل ودعا الله أن يأته بالنتاج والمحاصيل إلى بيته فهذا لم يفهم التوكل على الوجه الصحيح، فلا بد للحصول على الناتج أن يذهب للعمل ويكد كما يفعل الناس، ويتوكل على الله في النتائج فهذا الذي يقره الشرع والعقل وهذا هو التوكل الحق.[2]

وعليه فالتوكل اعتقاد وعمل، فالاعتقاد هو أن الله عز وجل هو المالك والمتصرف الحقيقي في الكون وحده، وأنه الرزاق والمسير لمخلوقاته وهذا الاعتقاد يحث صاحبه على العمل وهو واثق من أن الأمر بيد الله وأن لا أحد يستطيع أن يمسه بسوء ولا ينفعه إلا بأذن الله والتوكل يعطي المؤمن الجرأة على العمل بلا تردد.

2. الزهد والرضا:

أ. الزهد: يعتبر الزهد من أهم المسائل في التصوف على الاطلاق إذا يعد بمثابة الأب الشرعي للتصوف، فمن غير الممكن أن يوجد التصوف إلا إذا سبقته حركة الزهد.

يروي موسى المازوني في إحدى صفحاته أنه كان هناك عبدا صالحا زاهدا في الدنيا وأهلها، جاءه رجل في فترة المجاعة بمائة دينار وفأسه بيده يحفر به؛ فرمى إليه بالمائة دينار فقال له: أتيتني بأوساخك لتنجسني بها، خذها إليك؛ فرماها إليه بفأسه وأقبل على حفره؛ فانصرف عنه الرجل منكسرا. وفي قصص أخرى عن إنفاق الأولياء لأموالهم كلها على الفقراء والمحتاجين ولم يتركوا لأنفسهم ولا لأولادهم شيء.[3]

---

[1] يحي بن معاذ الرازي، المصدر السابق، ص103.وابراهيم بسيوني، المرجع نفسه، ص147.

[2] البناني، المرجع السابق، ص126.

[3] موسى المازوني المصدر السابق، ص 176،281 325.

لغة: زَهَد في شيء وزهد عنه أيضا زُهدًا وزهادة، بمعنى تركه وأعرض عنه فهو زاهد وجمعه زهاد.[1] بمعنى خلو القلب من التعلق بغير الرب أو برود الدنيا من القلب، وعزوف النفس عنها.

اصطلاحا: انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وترك ما يشغل عن التقرب الله فبي كل حال[2]، وفي حديث عن سهل بن سعيد قال: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما أيدي الناس يحبك الناس"[3] والزهد بمعني حسن هو عدم اشتغال القلب بالدنيا والتكلف بها وترك مالا ينفع في الدار الأخرة. لقوله تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ}[4]، ويقول ابن الجلاء[5] في الزهد: هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك، فيسهل الإعراض عنها، أما الجنيد فقال: "الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد"[6].

وقال الإمام أحمد ابن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه:

- **الوجه الأول:** ترك الحرام، وهو زهد العلوم.
- **الوجه الثاني:** ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.
- **الوجه الثالث:** ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين.[7]

وقال الشيخ يحي بن معاذ[8] الزهد في ثلاثة أشياء: "القلة، الجوع، والخلوة،"

---

[1] خالد عثمان الخراز، موسوعة الاخلاق، المرجع السابق، ص311.

[2] ابن عجيبة، معارج التشوف، المصدر السابق، ص30.

[3] نفسه، ص311 . 312. إبراهيم بسيوني، نشأة التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص147.

[4] محمد بناني، موقف ابن تيمية، المرجع السابق، صص119 . 121.

[5] هو أبو عبد الله أحمد بن يحي الجلاَّء، من عظماء مشايخ الصوفية بغداد الأصل وسكن الرملة ودمشق، وأخذ عن ذي النون، توفي سنة 306هـ/918م، ينظر لمزيد من المعلومات: السلمي أبو عبد الرحمان، طبقات الصوفية، تح أحمد الشرباصي، مؤسسة دار الشعب، ط2، 1998م، ص55- 57. نقلا عن موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، ص174.

[6] فيصل بربرعون، التصوف الإسلامي، المرجع السابق، صص109 . 111.

[7] ابن القيم الجوزية، مدارك السالكين، المصدر السابق، ج2، ص14. وفيصل بربرعون، التصوف السلامي، المرجع السابق، ص110.

[8] هو أبو زكريا يحي بن معاذ الرازي الواعظ، كان آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، توفي بنيسبور سنة 258هـ/871م، ينظر إلى طبقات الصوفية المصدر السابق، ص35-36.وموسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص188.

القلة: وذلك بالاقتصار على القليل من متاعا الدنيا، الجوع: يربي النفس على قمع الشهوات، أما الخلوة: تزيد من قرابة العبد بربه، وصلته به. والبعد عن آفات الخلطة وما ينجم عنها من غيبة ونميمة.[1]

وعلى ضوء ذلك، فإن الزهد ركن أساسي لتصوف وأجمع المتصوفة عليه لكنهم اختلفوا حول الموضوعات التي توجب الزهد فيها، وفي مجمل معانيه هو انقطاع النفس وعزوفها عما لا يفيد في الأخرة.

ب. الرضا: أما عن الرضا فلا أميز قصة عن الآخرة، فكلها تستحق الاهتمام، فهذا الولي رضيا بالوحدة والهجران ووحشة الغران، وهذا رضيا بهزله وجوعه وفقره للقرب من الرحمان، وذاك في بلاء الصحة قابله بالشكر والعرفان، والأخر أكرمه الله بفضله فسخرها للإحسان، لكنهم في حبهم للخالق ونيل رضاه لا يختلف اثنان.

لغة: الرضا، رضى به مصدر رضى، يرضى، وهو مأخوذ من مادة (ر ض و) التي تدل على خلاف السخط وفي حديث الدعاء "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك".[2] ويقول الحسن الشرقاوي في معجمه: يقال رضى به أي اختاره، أو طابت نفسه به أو قنع به ورضى عن أخيه وأقبل عليه بوده، ورضا الله عن العبد بأن يجزل العطاء له كثمرة وثواب لما عمل ورضي العبد عن الله أي طابت نفسه بما جوزيا منه منن ونعم وعطايا. كما عرفه الجنيد ترك الاختيار، وعند الحارث المحاسبي[3]: هو سكون القلب تحت القلب تحت جريان الحكم، وعند ابن عطاء: نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد، فإنه اختار له الأفضل.[4]

اصطلاحا: هو موافقة العبد على قضاء الله وقدره بسهوله من غير تكلف أو استياء أو قنوط ذلك إن الصوفي يدرك حينئذ أن كل ما يحدث بقضاء الله وقدره.[5]

---

[1] يحي بن معاذ الرازي، جواهر التصوف، المصدر السابق، ص137 .139.

[2] محمود المصري أبو عمار، الرضا، دار الوطن، الكتيبات الإسلامية،www.ktibt.comK ، ص13.

[3] هو أبو عبد الله البصري، علم العارفين في زمانه، إمام في الفقه والتصوف والحديث والكلام، توفي سنة 243. المازوني المصدر السابق، ص180.

[4] يحي بن معاذ الرازي، المصدر السابق، ص105. وإبراهيم بسيوني، المرجع السابق، ص147.

[5] فيصل بربرعون، المرجع السابق، ص122.

قال يحي بن معاذ في بلوغ العبد مقام الرضا إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه: "إن اعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت.[1] والرضا من أعمال القوب نظير الجهاد من أعمال وقد مدح الله ورسوله أهل الرضا وأثنى عليهم ونادى بهم إليه[2]، قال تعالى: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}،[3]وقال صلى الله عليه وسلم "اتق المحارم، تكن أعبد الناس وارضى بما قسم الله لك، تكن أغنى الناس"، وقال أيضا: "ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا، وبإسلامي دينا، وبمحمد رسولا."[4]

وأدلى الصوفية بأراء كثيرة في الرضا منهم: أبو الحسن النوري قال أنه: "سرور القلب بمر القضاء"، وقالت رابعة:" إن العبد يكون راضيا إذا أسرته المصيبة كما أسرته النعمة". وغيرها من الأقوال التي تشير إلى أن الرضا يعني قبول العطاء الإلهي،[5] أيا كانت صورته وقبوله، ويرضي بقضائه وقدره خيره وشره وبهذا يتحقق فيه مقام الرضا.[6] وهو يختلف عن الصبر: فالصبر حبس النفس عن السخط، بينما الرضاء هو انشراح الصدر بالقضاء.[7]

3. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والايثار:

أ. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لغة: عرفه القشيري بقوله:" الأمر بالمعروف: هو حفظ الحواس عن مخالفة أمر، ومراعاة الأنفاس معه إجلال لقدره، ويقال: الأمر بالمعروف على نفسك، ثم إذا فرغت من ذلك تأخذ في نهيها عن المنكر،

---

[1] يحي بن معاذ الرازي، لمصدر السابق، ص107.

[2] محمود المصري، الرضا، المرجع السابق، ص12.

[3] سورة البينة: الآية 8.

[4] محمود المصري، المرجع السابق، ص12.

[5] فيصل بربرعون، المرجع السابق،123 . 124.

[6] محمود بن أحمد الدوسري، الرضا في حياة المسلم، المكتبة الناطقة، شبكة الالوكة،www.alucah net ، تاريخ الإضافة 2019م، تاريخ الزيارة 8/ 4/2025م.

[7] محمد بيومي البربري، الأحوال والمقامات الصوفية عند فخر الدين الرازي، (مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالنوافل)، (د ب ن)، (د س ن)، ص188.

ومن وجوه المنكر. الرياء، الإعجاب...، وعرفه ابن عجيبة (ت1224هـ/1809م) [1]أن المعروف عند الصوفية هو ما يستحسنه الطبع ويرتضيه الشرع، والمنكر هو كل ما ينكره الطبع السليم والشرع المستقيم.[2]

اصطلاحا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عظيم المقامات لدى الصوفية، إذ يجب على أولي الأمر من العلماء والمشايخ أن يقوموا على عامتهم ويأمرهم بالمعروف فيأمرونهم بما أمر الله ورسوله، مثل شرائع الإسلام: وهي الصلوات الخمس في مواقيتها، الصدقات المشروعة، الصوم والحج المشروعين، وغيرها من العبادات الظاهرة أو الباطنة. والنهي عن المنكر: هو المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فأعظمه الشرك بالله، وكل ما حرم الله على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، مثل: عقوق الوالدين، قطع صلة الرحم، البدع وغيرها من المحرمات. وذلك يكون تارة بالقلب، وتارة بالسان، وتارة باليد، وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الناس إذا رأو المنكر فلم يغيروه، وأوشك أن يعمهم الله بعقاب منه.[3]

ومن الأمثلة الكثيرة التي ساقها المازوني في كتابه حول ذلك: قصة يغمراسن عندما عاتبه الشيخ أبو البيان ونهاه في عتابه عن عجيبه قائلا: يا يغمراسن أما تعلم وقوف الضعفاء والمساكين ذوي الحجات ببابك، وما يجدونه في قلوبهم من الانكسار ومدافعة حراس الأبواب بطول احتجابك عنهم، وإنما فعلت ذلك بك لتتيقظ من سنة غفلتك – لم يرغب الشيخ في مقابلته وجعله ينتظر حتى نال اليأس منه – وتتذكر أحوال القاصدين إليك. وفي قصة أخرى دعا الجنيد المحاسبي لتناول الطعام لما بدى عليه من أثر الجوع، فقدم إليه طعام حُمل إليه من عرس قوم، فحمل المحاسبي لقمة ووضعها في فمه لكن لم يستطع بلعها، وذلك لحماية الله له من أكل طعام فيه شبهة، فأخبره الجنيد مصدر ذلك الطعام، ثم قدم له كسراً من بيته فأكل وقال: إذا قدمت إلى فقير شيئا فقدم مثل هذا. وهنا يتجلى الأمر بالمعروف والنهي

---

[1]هو أبو عبد الله أحمد ابن عجيبة توفي 1224هـ صاحب كتاب معارج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كشف النقاب عن سر لب الألباب. ابن عجيبة، معارج التشوف، المصدر السابق، ص87

[2] عبد الرحمان بن عطية بن محمد العيسى، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الصوفية، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الحسبة، جامعة أم القرى، السعودية ،1436 -1437 ص68.

[3] صلاح الدين مقبول، دعوة الشيخ ابن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية، دار ابن الاثير، الكويت، ط1، 1996م،ج1، ص ص15 . 18.

عن المنكر في نهي المحاسبي عن تقديم شيئا للغير مشبوه فيه أو مجهول المصدر وأمره في المقابل إن كان سيقدم شيء فليكن حلال يعرف أصله[1].

ب. الإيثار:

يعتبر الإثار من محاسن الأخلاق الإسلامية، فله منزلة عظيمة من منازل العطاء، قال عز وجل: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. ويقول ابن الكثير: " يقدمون المحاوج على حاجة أنفسهم، ويبدئون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك ".[2]

الإثار لوحة فنية تعكس جمالية الغيرة على الدين ، وقد عرض أولياء الحق الذين عملوا على التخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم أمثلة كثيرة معبرة عن الإثار، فمن قصص الإثار الواردة في صلحاء الشلف[3]:أن أحد الصالحين ممن حبب إليه الحج عزم مرة على الخروج إليه ؛ فرفع في كمه خمسمائة دينار للسوق ليشتري ما يحتاج إليه ؛ فعارضته امرأة فقالت له: يا سيدي أنا شريفة ولي بنات عُراة ، واليوم الرابع ما أكلنا شيئا ؛ فوقع كلامه في قلبه فطرح لها جميع ماله، لتستعين به على وقتها ونزع الله من قلبه حلاوة الخروج للحج تلك السنة ؛ فلما كان وقت قدوم الناس من الحج خرج للالتقاء بالأصدقاء والتماس دعوة الحجاج فقال: كلما لقيت أحد سلمت عليه وقلت: تقبل الله حجك يقول لي: وانت قبل الله حجك ، فطال علي ذلك ...فرأيت في منام بشير أخبرني أنه قد صور الله ملك في صورتي حج بلا عنه[4].

وقد جمع المازوني في أحد خطاباته جملة من القيم ومنها ما سبق ذكره إذ يقول في ذكره لأولياء الله وصفاتهم: " هموم المحبين في الجد والطلب، وأرواحهم في المناجاة والقرب، يستقلون الكثير من أعمالهم ويستكثرون القليل من نعم الله عليهم، إن أنعم عليهم شكروا وإن منعوا صبروا، يكاد يهيج منهم صراخ

---

[1] . موسى بن عيسى المازوني، صلحاء الشلف، المصدر السابق. ص، ص135، 181.

[2] . محمد سليمان داود، التصوف والأخلاق، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الانبار، محاضرة للمرحلة الأولى، (د س ن) ص25.

[3]. عثمان نوري طوباش، الاخلاق المثلى، لأولياء الله، دار الأرقم، إسطنبول، 2016م، ص ص 264 . 267.

[4] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص315.

الأحزان إلى مواطن الخلوات ومعادن العبرة، والآيات الحسرات في قلوبهم تتردد ، وخوف الفراق في قلوبهم يتوقد ، أذاقهم الله طعم محبته، ونعمهم بدوام العذوبة في مناجاته ؛ فقطعهم ذلك عن الشهوات وجانبوا اللذات ، وداموا في خدمة مللك الأرض والسموات ، وقد اعتقدوا الرضا قبل وقوع القضاء ، طاب والله عيشهم ودام نعيمهم ؛ فعيشهم سليم وغناهم في قلوبهم مقيم كأنهم نظروا بأبصار القلوب إلى صحة الغيوب ؛ فقطعوا كل محبوب ، وصار المولى جل جلاله هو المنى المطلوب، دعاهم اليه فأجابوه بالجد ودوام السير"[1].

المبحث الثالث: تجليات الخطاب الأخلاقي في كتاب صلحاء الشلف

باعتبار أن كتاب "صلحاء الشلف" من الأعمال التي تترجم لسير الأولياء الصالحين في منطقة الشلف، فقد حمل في طياته خطابا أخلاقيا عميقا، من خلال سرد قصصهم وكراماتهم فإن حكايات الأولياء تختزل في جوهره قيم إسلامية سامية، كالإخلاص، الكرم، الصبر، والجود وغيرها من القيم، التي تجعل هذه السير بمثابة دروس عملية في التربية الروحية والأخلاقية وفي إطار ذلك أسوق لكم بعض من قصص الصالحين الجوهرية التي ألهمتني:

1. الخطاب القصصي للصالحين وسيرهم الأخلاقية:

أورد كتاب صلحاء الشلف قصصا عديدة ومتنوعة للصلحاء التي تعكس قيما أخلاقية عالية: كان لها أثر جلي على سلوكات متصوفة المغرب الأوسط، من بين هذه القصص نذكر:

من قصص بشر الحافي[2]إذ سئل عن الشيء الذي كان سبب في وصوله لمنزلة الأولياء والمكانة التي حضي بها، فكانت اجابته أنه سئل الله أن يخفي أمره، فمثل هذا القلب يرجى له أن يستنشق

[1] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق ص 335.

[2] بشر بن الحافي: هو أبو نصر بشر بن الحارث، المعروف بابن الحافي، كان من كبار رجال الزهد والصلاح، توفي في بغداد سنة 226هـ أو 227هـ.انظر أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح يوسف علي الطويل ومريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2012م، ص.ص267 . 269. والكوكب الدرية، المصدر السابق، ج، 1ص ص557 . 566.

مبادئ الروائح، فإن فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذه الروح فلا ينبغي لنا أن نطرح الإيمان، بإمكان ذلك لأهله فمن لم يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لهم موقنا بهم، فعسى أن يحشر مع من أحب[1].

يبرز هذا الخطاب العديد من القيم الأخلاقية الخفية منها:

- التواضع والزهد: الذي يتضح في بلوغ بشر الحافي منزلته بكتمانه لحاله وعدم إظهار للناس مما يدل على تواضعه وزهده في الشهرة والمدح.
- الإخلاص: من خلال إخفاء الحال وعدم التظاهر بالتقوى أو الورع أمام الناس يدل على إخلاص العبادة لله وحده دون رياء.
- اليقين بالله: ثقته بالله في تدبير أموره وإخفاء أمره.
- حب الأولياء والاعتراف بفضلهم: فالنص يحث على محبة الصالحين والاعتراف بمنزلتهم والاقتداء بهم، حتى لو لم نصل إلى مستواهم.
- كما تدل على قوة الإيمان بقدرة الله، التي تتضح من خلال الإيمان بأن الله قادر على أن يمنح هذه المنزلة لأهلها.

وهذه القيم مجتمعة تظهر عمق الروح الأخلاقية والدينية في القصة، وتدعوا إلى التحلي بالكتمان، والتحلي بالصفات النبيلة في التعامل مع الله والناس.

قصة الشيخ أبو البيان: كان الشيخ أبو البيان رجلا زاهدا متقشفا مجتهدا في العبادة، دائم التوجه إلى الله، يقمع شهوته ويبتعد عن الملذات الدنيوية، في بداية أمره، ترك الأطعمة المعتادة واعتمد على أكل البقول والحشائش المباحة، ولم يكن عالما بل كان أميا لكنه كثير الصيام والقيام حتى ضعف جسده من شدة العبادة، وذكر حفدته أن حاله تطور حتى أصبح من الروحانيين الذين لا يهتمون بأمور الطعام

[1] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص96.

والشراب، واستشهد بكلام عيسى عليه السلام الذي حث فيه بني إسرائيل على التخلق بأخلاق الروحيين والأنبياء، مؤكدا أن العلم ينبع من القلب.[1]

قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ فَضَائِلُهُم وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ

واصل الشيخ اجتهاده في العبادة حتى عجز عن الحركة بنفسه، وكان يخرج من مكان عبادته متكئا على رجلين بسبب ضعفه الجسدي من كثرة العبادة.[2]

القيم الأخلاقية التي نخرج بها من هذه القصة هي:

- الزهد والتقشف: وذلك من خلال تجنب الملذات الدنيوية والاكتفاء بالقليل.
- الاجتهاد في العبادة: بالمداومة عليها كالصيام، والقيام، والذكر.
- التوكل على الله: وذلك بالاعتماد على الله وعدم الاهتمام للطعام والشراب.
- الصبر وقوة التحمل: بتحمل المشاق في سبيل العبادة حتى أثر على صحته.
- الإخلاص: بابتغاء وجه الله في كل الأعمال.
- القدوة: التخلق بأخلاق الأنبياء والروحانيين في الزهد والورع.

وفي قصة أخرى للشيخ واضح أنه اشتكى لشيخه سيدي عزوز[3] من كثرة الفقراء والواردين الذين يزورونهم، بينما لا يملكون ما يطعمونهم به، كما أن جيرانهم لا يتسامحون في بذل ما لديهم، فاقترح الشيخ الصعود إلى كهوف جبل وافرشان[4] للعزلة، لكن الشيخ عزوز تساءل عن كيفية العيش هناك دون ماء أو مرعي، خاصة أنهم يحتاجون الماء للوضوء والشراب، خاصة في زمان —حر الصيف وندرة الموارد صعب، فعاتبه الشيخ على ضيق يقينه قائلا: "سبحان الله ما أضعفك يقين".[5]

---

[1] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص ص 101. 103.

[2] نفسه 103.

[3] سيدي عزوز: فاضل، من الزهاد الصالح من بيت الصلاح للمزيد من المعلومات ينظر عادل نويهض، أعلام الجزائر، ص231.

[4] وافرشان: جبل يقع في الجهة الشمالية لسد قرقر بالقرب من مدينة واد رهيو غرب العاصمة الجزائر، وتسكنه قبائل الواضحة والقرايرية، والعرايس، وبه كهف ينسب إلى اسم الجبل الذي كان يقيم به عرش ولاد بوعلام. مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص107.

[5] . نفسه، ص112.

ثم قرر الذهاب إلى المكان المعروف اليوم "بالعباد" إلى موضع تعبد الشيخ، رغم قسوة الظروف، وحملا معهما سجاداتهما وأباريقهما وزادا قليلا، ورافقهما بعض الفقراء، عندما حل اليل، وصلى كل منهم ما شاء الله، قام سيدي عزوز، وإذا بالمطر يهطل بغزارة، فسر المرابط عزوز بذلك وأدهش الجميع وعزز إيمانهم بقدرة الله وتأييده لأوليائه الصالحين.[1]

ومما حملته هذه القصة في طياتها من قيم أخلاقية أذكر:

- التوكل على الله: ويظهر في الذهاب إلى مكان لا يوجد فيه ماء أو طعام مع الثقة برزق الله.
- الإيثار وحب الخير: وذلك بالانشغال بضيافة الفقراء والواردين رغم ضيق الحال.
- قوة اليقين: الواضح في الشيخ، الظاهر في توبيخه لطرف الثاني على تردده، مؤكدا أن الإيمان القوي يجعل المستحيل ممكنا.

في ومضة من خطاب المازوني، في الحث على التوكل والزهد يقول " يا أخي من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونته ورزقه[2] ومن يتوكل على الله فهو حسبه"[3].

وبعد استقرار الشيخ واضح وأصحابه في مكان العباد ونزول المطر ببركتهم، انتفع الناس بالماء والمرعى، فجاء الرعاة وأخبروا أهلهم عن مكان الشيخ، ففرحوا وقرروا زيارته للتبرك به وطلب دعائه، وكان هناك أخوان لديهما خروف توأم أراد أحدهما ذبحه ولكن الثاني اقترح الاحتفاظ به بسم الشيخ واضح، على أمل تقديمه له عندما يكبر.[4]

عندما كبر الخروف وأصبح كبشا، تذكر الأخ وعده، فقال لأخيه: "هذه الليلة هذا الكبش نحمله للشيخ"، فكبره ابليس في عينه، فتراجع عن ذبحه بحجة تأجيله، وعندما زارا الشيخ مع الناس، فاجأهما الشيخ بكشف نيتهما قائلا: "يا فلان كبرت فينا الكبش وبخلت على به علينا". فاندهش الرجل واعتذر، ووعده بإحضاره، لكن الشيخ رفض قائلا: "لا أقبل، والله ولله وكرر له ذلك وقال له:

---

[1] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص112.

[2] نفسه، ص112.

[3] سورت الطلاق: الآية 3

[4] موسى المازوني، نفسه، ص114.

لو سمحت نفسك به وأوفيت بوعدك، لكانت غنمكما كغنم شعيب في البرك"، ثم طمأن الأخ الأخر بأن نيته صادقة ستقبل.[1]

القيم الأخلاقية التي تحملها هذه القصة في طياتها:

- الوفاء بالوعد وأهمية الالتزام بالعهد وعدم نكثه من خلال تذكير الشيخ للأخ بوعده.
- الصدق وإخلاص النية: تظهر في ثناء الشيخ على نية الأخ الثاني رغم عدم تنفيذ الوعد.
- الإعجاز الإلهي: التي حصها الله لبعض الصلحاء التي تقوم على كشف الشيخ لخبايا النفوس.
- الاعتراف بالخطاء: فلم يتمادى الأخ في تبرير بل اعتذر بعد مواجهته مما يدل على التوبة والندم على تردده ومطاوعته لنفسه.
- البركة في الصدق والصدقة: حيث أشار الشيخ إلى أن الوفاء بالوعد كان سيجلب الرزق والازدهار.

يقول المزوني: "يا أخي من صدق في باطنه رأى ما أحب في ظاهره، وإذا صفت القلوب والخواطر أعربت الألسنة عن مخابآت الضمائر.[2]"

القصة تؤكد أن النوايا الطيبة والوفاء بالعهود تجلب البركات، بينما البخل والتردد يفوتان الخير، كما تظهر دور الاولياء في تربية النفوس وتوجيهها نحو الحق.

مع قصة أخرى: في رحلة بحث عن العباد في جبل لبنان، انفصل أحمد بن مالك [3]عن رفاقه بعد أيام من البحث دون جدوى، في اليوم الرابع من البحث، مضوا جماعته وتركوه ليكملوا بحثهم فلما حل الليل طلع على شجرة، فلما أصبح نزل إلى الوادي فألف ماءا قبل أن يصل إلى الوادي فتوضأ وقام للصلاة ، فسمع صوت قراءة القرآن، فتبع الأثر فوجد كهفا فدخله ،فأذ به يجد ضريرا فسلم عليه فقال له الرجل: "أجنيٌ انت أم إنسي؟ قال أحمد: إنسي، فقال له الضرير: منذ ثلاثين عام ما رأيت غيرك ،

[1] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص115.

[2] نفسه، ص143.

[3] أبو عبد الله أحمد بن مالك السجستاني. ينظر إلى ابن زيات، التشوف، المصدر السابق، ص121.

ثم قال: لعل أصابك البارحة تعبٌ فاطرح نفسك دخل الكهف، فإذا به ثلاثة قبور، وعند الزوال ناداه الرجل للصلاة فتوضأ وصليا، فلم يزل يركع إلى العصر، ثم أذن وصليا العصر، ثم أخذ يدعوا إلى أن غربت الشمس، فأذن فأعجب مالك بالرجل لعلمه بأوقات الصلوات، فلما صليا العشاء قال له أتأكل ؟ قال أحمد : نعم فقال له: أدخل، فدخل فوجد صخرة عظيمة كبيرة عليها جوز ناحية وفستق ناحية، وزبيب ناحية، فأكل ما أراد فلما كان عند السحر جاء هو وأكل شيئا يسيرا، ثم أوتر فسمعه يدعوا في سجوده: " اللهم منَ علي بأقبالي عليك وإصغائي إليك، وإنصاتي لك والفهم عنك، وبصيرة في أمرك ،ونفاذ في خدمتك، وحسن الأدب في معاملتك." فلما فرغ سأله أحمد بن مالك: من أين لك هذا الدعاء؟ فأجاب: أنه ألْهِمَ به، وأنه في أوقات كان يدعوا به فيسمع هاتف يهتف به: إذا دعوت به ففخمه فإنه مستجاب.[1] ثم سأله عن أن له هذه الفواكه؟، فقال له: ستري معاينة، فيذكر أنه بعد ساعة دخل الكهف طائر، له جناحان أبيضان وصدره أخضر، وفي منقاره حبة زبيب، وبين رجليه جوز، فوضع كل واحدة في مكانها، فسئله إن رأه، فأجابه: بنعم، فقال له: أنه منذ ثلاثين سنة يأتيه به، ويأتي له كذلك بقميص بلا كمين ومئزر شبه لون الورس.[2] واطلعه الرجل إلى أنه بالجبل أربعون سنة نصفها بصيرا، فمكث أحمد بن مالك عنده أربعة وعشرين يوما في أطيب عيش، إلى أن غادر الكهف راجعا الى أهله وجماعته، واستدله على الطريق أسد الشيخ الضرير بعد أن خاطبه الشيخ بالعبرية، على حد ظن أحمد، فإذا به على عقبة دمشق، فمض مع جماعته وحدثهم بحديثه بعد أن اعتبروه من المفقودين.[3] قال في ذلك أبو عمران " يا أخي من صحح عزيمته في وجته إلى مولاه استغنى به عمن سواه".

تحمل هذه القصة جملة من القيم الأخلاقية السامية التي تتلخص في:

- الكرم الإلهي: وذلك بتسخير الله تعالى الطائر ليأتيه بالطعام والملبس كرامة للعبد الصالح دليل على أن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

---

[1] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص ص 122. 121.

[2] الورس: نبت من الفصيلة القرنية (الفراشية)، ينبت في بلاد العرب والحبشة والهند، وثمرها قرن مغطى عند نضجه بغداد حمراء، كما يوجد زغب قليل، يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لاحتوائها على مادة حمراء وعلى راتينج، المعجم الوسيط، المصدر السابق ،1025.

[3] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، نفسه ،ص ص ،122 . 123.

- الصبر على البلاء: فقد تحمل الرجل فقدان بصره ووحشة الكهف دون شكوى.
- الإيمان بالغيب: فنجد أن أحمد تقبل الغرائب من حوله كقصة الطائر والاسد وغيرها دون تشكيك، إيمانا بقدرة الله عز وجل.
- الحكمة الإلهية: المتمثلة في أن هذه الرحلة العجيبة الغريب التي لا يكاد يتقبلها العقل، ساهمت في التعزيز من إيمان أحمد بن مالك.

القصة تظهر أن التقوى والإخلاص يفتح لهما أبواب الغيب، وإن العبد إذا انقطع لله كفاه كل شيء، كما تؤكد أن الدعاء للأمة خير عمل يقرب إلى الله وأن الصالحين قد يختم لهم بخوارق العادات.

وفي قصة أخرى لها صدى أخلاقي جلي: أنه في عهد يغمراسن بن زيان، شك بعض المقربين منه في نوايا أحد الصالحين-أبو يحي-فأرسل السلطان فقيهين لاستكشاف حقيقة أمره، عند وصولهما، تفاجآ بهيبة الشيخ وحسن ضوئه، فاقتنعا بأنه ولي من أولياء الله، فاعتقدا أن لا يعود للخدمة ولا يتشبثا في الدنيا، ويتوجهان إلى الله لما كاشفهما به، واطلع عليه من كامن سرهما، لكنه حرص على عودتهما، فأخبر الفقيهين السلطان بما رأياه، فقرر زيارة الشيخ بنفسه للتبرك به.[1] لكن الشيخ قبل وصول السلطان أغلق مغارته بالحجارة، رفضا للقاء، مما زاد إصرار السلطان على الانتظار إلى أن خرج الشيخ وعاتبه على غفلته عن معاناة الضعفاء مؤكدا أن الهدف كان تذكيره بواجباته نحو رعيته.[2]

القيم الأخلاقية المستخلصة من القصة هي:

- التواضع: تجلى في سلوك الشيخ ابي يحي رغم هيبته، ورفضه استقبال السلطان إلا بعد تذكيره بمسؤولية.
- الحكمة: استخدم الشيخ موقف اللقاء لتعليم السلطان درسا أخلاقيا دون المواجهة مباشرة.
- العدل والمسؤولية: تذكير السلطان بمعاناة الضعفاء وضرورة الاهتمام بهم.

[1] موسى ابن عيسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص ص133 . 135.

[2] نفسه، ص135.

- الصبر والإصرار: فقد أصر السلطان على انتظار الشيخ رغم رفض الشيخ للقائه في البداية، مما يدل على تعلقه بالقيم الروحية.
- التوبة والانكسار: حيث تغير موقف الفقيهين والسلطان من الشك إلى الخضوع والرغبة في التبرك مقران بخطئهما، بعد اقتناعهما بصلاح الشيخ.

تؤكد القصة أن الحكام مطالبون بالعدل والتواضع، وأن النقد البناء وسيلة للإصلاح، كما تظهر أن التقوى الحقيقي يكسب المرء هيبة تخضع حتى السلاطين.

وفي قصة قد تذهل العقول وتعجب: أن رجل تتبع أثر إبل شردت حتى حل بوادي به أشجار كثيرة، قال أنه رأى رجلا نحيل فتخفى عنه، فلمح أسد جاء الرجل النحيل وفي فمه جَدْيٌ ويتبعه أسد أخر، فقدم الأسد الأول الجدي، على أساس أنه هومن اصطده له، لكن بعد الحوار الذي دار بين الرجل والأسدين بين الجدي الحقيقة، التي هي أن الأسد الأول ليس إلا سارقا لصيد الأسد الثاني بعد أن نازعه فيه، فأطلق الولي سراح الجدي، وطرد الأسد الظالم من خدمته؛ فاستعظم الرجل ما رأى. وبعد حين نزل بين يديه قطاتان[1] وسلمتا عليه، وقالت إحداهما: اختر منا واحدة لفطرك، فأردهما، إحداهما له والثانية لضيفه ، فذبحهما، وتوضأ وصلى ركعتين طويلتين، ثم رفع رأسه للرجل المتخفي وقال: يا عبد الله أُدنُ مني وكل معي فقد حللت بهذا الوادي ووجبت علي ضيافتك؛ فتعجب الرجل أنا رأه رغم تستره، فسلم عليه ومد يده للقطاتين فوضعهما مشويتين، وهو ما زاد عن ذبحهما شيء، فوضع أحسنهما أمام الضيف فأكلا وشربا، وشكرا الله وتوضأ وصليا ، فلما رفع رأسه صعق الرجل من رأيت القطاتين حيتين، فطلب الرجل من الولي أن يعوا له ،فرد الولي أنه هو من يلتمس منه الدعاء فقد تكون كرامته هذه حظه في الدنيا. وغادره متباكيا.[2]

تعكس القصة القيم الأخلاقية التالية:

[1] القطاتان: جمعها القطاة، ومفردها قطا، وهو نوع من اليمام بيئته الصحراء، ويطير ضمن مجموعات، ويمكنه قطع مسافات طويلة، يتخذ أفحوصه في الأرض، وبيضه مرقط. معجم الوسيط، المصدر السابق، ص748.

[2] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص330

- العدل والإنصاف: ويظهر في تحري الولي عن الحقيقة وتحقيق العدل ومعاقبة الظالم.
- الصدق والصراحة: رغم وضع الجدي الحرج إلا أنه أثبت الحقيقة مما يدل على أهمية قول الحق.
- الكرم والضيافة: حيث دعا الولي الرجل للطعام وضيفه بأحسن ما لديه، مما يعكس قيمة الضيافة وحسن المعاملة.
- الامتنان الله والشكر: بحمد الله وشكره قبل النعم وبعدها.
- الزهد والخوف: انفراد الولي بالوادي وخوفه من الكرامة أن تكون حظه في الدنيا.
- التواضع: يظهر في تناول الولي الطعام مع الرجل ولتماس الشيخ الدعاء من الرجل رغم كرامته.
- الكرامة: للشيخ كرامة ترويض الحيوانات وسخرها الله لخدمته.
- الحكمة في التعامل: أظهر الولي حكمة في تعامله سواء في فض نزاع أو في التعامل مع الضيف.

2. خطاب الكرامة: الماهية والأبعاد:

يعد خطاب الكرامية من الخطابات العميقة التي تركت أثر كبير في المجتمعات الغربية والإسلامية، خاصة في ظل التحولات السياسية والاجتماعية في سياق الثورات، يركز الخطاب على قيم أخلاقية إسلامية عالية مثل: العدل، احترام حقوق الإنسان مما يجعله ذا أبعاد وتأثيرات كبيرة:

أ. الكرامة

– مفهوم الكرامة: مشتقة في اللغة من التكريم، أو الإكرام وتعني عزازة، والتفضيل والإكرام، أي الإفضال؛[1] وفي القرآن الكريم أصل الكرم لم يرد بصيغة اسم كرامة قال الله تعالى: {إن أكرمكم عند الله اتقاكم}.[2] وبصيغة أخرى الكرامة: هي ذلك الفعل الخارق والسلوك المميز، الذي يناقض العادة يجريه الله تعالى ويخص به عباده الاتقياء المستقيمين،[3] تأييدا له، أو إعانة، أو تثبيتا أو نصر للدين، مثل طي

[1] أحمد فريد المزيدي، جمع المقال في اثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال، دار الأثار الإسلامية بريلي سريلانكا، القاهرة، ط1، 2006م، ص39

[2] أسماء خوالدية، الفكة في قصص كرامات الصوفية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015م، ص ص25 – 28.

[3] أحمد بن محمد بناني، موقف ابن تيمية، المرجع السابق، ص227.و خالد بن محمد بن عبد الكريم الزهراني، أدلة إثبات الكرامة في الكتاب والسنة، (مجلة الدراسات العربية)، دار العلوم، جامعة ألمينا، مصر، (د س ن)، ص ص36 _ 55.

الأرض، المشي على الماء، الطيران في الهواء، وغيرها من الكرامات،[1] غير مقرونة بدعوى النبوية،[2] وهي بذلك مدلول ديني صوفي.[3]

– **الكرامة بين النفي والاثبات:** وتم الخوض في مسألة الكرامات التي كانت محل اختلاف بين الفقهاء والعلماء فيما يخص جوازها ونفيها، فالاتجاه الأول: ينكرون وجود الكرامات عند الاولياء، من بينهم المعتزلة ومن تأثير بهم، حيث زعموا أنه لا يجوز ظهور خارجة إلا عند النبي، بينما نجد اتجاه آخر: يمثله بعض المتصوفة الذين بالغوا في الإشادة بالكرامات، فادعوا باسم الكرامة للأولياء، خصهم الله بها، واتجاه الثالث: يأخذ بما جاء في الصحيحين أنه من الثابت ظهور الكرامات على يد الاولياء والصحابة والصالحين والتابعين وأورد القرآن كرامات على يد صالحين ليسوا بأنبياء أهمها:

كرامة السيدة مريم: إذا كان يأتيها رزقها من الطعام فيه اعجاز نوعه ووقته –فاكهة الصيف تأتيها في الشتاء والعكس وكذلك حملها بعيسى عليه السلام، وكرامة أهل الكهف، وكرامة العزيز الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه. وكرامة "آصف"[4] رجل سليمان عليه السلام الذي تمكن بفضل الله من احضار عرش الملكة بلقيس من اليمن إلى الشام في طرفة عين.[5] وغيرها.

وممن اجمعوا على إثبات كرامات الأولياء الكلاباذي من خلال قوله: أثبتت كرامات الأولياء، وإن كانت تدخل في باب المعجزات، كالمشي على الماء، الطيران في الهواء، وطي الأرض ...[6]

---

[1] أبو الحسن علي بن محمد المطري، كرامات الاولياء بين الاثبات والنفي، www.alekah.nat، ص ص 1 – 28.

[2] نفسه، ص4.

[3] أسماء خوالدية، المرجع السابق_، ص ص25 – 28.

[4] آصف: بن برخيا هو أحد علماء بني إسرائيل، ومن المقربين من الملك سليمان وكان يملك علما كبيرا، ويعلم باسم الله الأعظم، ويجمع العلماء على أنه من أحضر عرش ملكة سبأ الى الملك سليمان بطرفة عين، وذكر البعض بأنه كاتب الملك، وابن أخته. عبيد بوداود، التصوف في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص568.

[5] عاشور الزهري، نماذج من الأولياء الصالحين وكراماتهم في مجتمع الجزائر، (د د ن)، البليدة 2، (د س ن)، ص ص62.

[6] حكيم ميلود، الكرامة الصوفية في منطقة تلمسان من خلال مدونة ابن مريم " البستان "، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1997–1998م، ص . ص44 – 50.

ويصرح المازوني لإثباتها في قوله لا يرتاب في كرامات الأولياء إلا زائغ عن طريق الحق سبحانه، ولا يكذب بها إلا خارجي ملحد مارق من الدين ...[1]

واقر ابن تيمية بكرامة الأولياء بعد الخوض في الموضوع وتبحره في الدين، فيقر أنها عطاء من الله لبعض الناس، فتجري على أيديهم خوارق العادات والله يعطي من يشاء، وهناك من الأولياء لا يحصل على أي أمور خارقة للعادة كغيره. وكثيرا ممن تبنى فكرة إثباتها انطلاقا من قول الله تعالى: [2]{ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[3]. لا تشتمل الكرامة على ترك شيء من الواجبات أو فعل شيء من العبادات لم يرد فيه نص شرعي ولا يستعين بالكرامة على معصية الله.[4]

- **الفرق بين الكرامات والمعجزات والسحر:**

اختلفت كرامات الأولياء وتباينت عن معجزات الأنبياء، وإن كانت من جنس واحد ومصدرها الله، إلا أن كرامات الصالحين لا تبلغ مثل معجزات الأنبياء والمرسلين كما أنهم لا يبلغون في فضيلة والثواب إلى درجاتهم ،ولكن قد يشاركونهم في بعض أعمالهم وميز ابن تيمية بين المعجزة والكرامة ، بأن المعجزة شيء عظيم لا يد إلا للأشياء ودلالة على صدقهم ،أما الكرامات فإنها من جنس المعجزات لأنها خارقة حقيقية للكون بقدرة الله إلا أن الكرامة من التوابع والنوافل التي لا تصل إلى حد المعجزات الكبرى،[5]والمعجزة مقرونة بالدعوة والتحدي بينما الكرامة غير مقرونة بذلك والأنبياء مطالبون بإظهار معجزاتهم للخلق والاحتجاج بها بينما الأولياء مطالبون بالكتمان وغيرها من الفوارق.[6]

---

[1] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص56.

[2] ابن تيمية، المعجزة وكرامات الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د س ن)، ص ص12-13.

[3] سورة يونس: الآية 62.

[4] ابن القيم الجوزي، تلبيس ابليس، المصدر السابق، ص275.

[5] البناني، موقف ابن تيمية، المرجع السابق، ص233.وابي يعقوب التادلي، التشوف الى رجال التصوف، المصدر السابق، ص ص54 - 60.،

[6] حكيم ميلود، الكرامة الصوفية، المرجع السابق، ص47.

وفي إطار التميز بين الكرامات والسحر أن خوارق الكهنة لا تصل إلى ذلك الحد فهي ما تصرف في لإعراض الحي بالحركة أو الموت أو المرض، أو الخبر غائبة عمن أخبر بها بينما هي ليس بغائبة لمن حضرها من الجن الذين ينقلونها مع الكذب فيها، أي أنها أمور مقدورة لدى بعض المخلوقات دون الأخرى.[1]

ب. خطاب الكرامة: يعد شكلا من أشكال التعبير عن تجارب وجدانية، تجعل التخيل أمرا قائم،[2] باعتبارها لا تقوم على مبدأ العقل والمعقول،[3] لكونها تضفي نوعا من الحكي الأسطوري الذي يتجاوز الواقع، لا يتعدى الخروج عن العلاقة القائمة بين الإنسان وربه فإنها أساس الخطاب[4]. وقد اختلف خطاب الكرامة في بنيته العامة عن بنيات الخطابات الأخرى، فهي تشمل على السند المتين، وهذا يعود إلى المنهجية الثقافية العربية المروية، التي تتحر الإيهام بالوثوقية حتى في القصص الأكثر عجائبية، بحيث تقدم من الروي على أنها قد وقعت تحقيقا من سلسلة الشهود قد يكون الراوي فردا أو جماعة، والراوي الغالب حضوره هو الفقيه العالم رجل الدين المصاحب لصاحب الحكاية أو المروي له.[5]

- مساعي خطاب الكرامة:

برز خطاب الكرامة كرد فعل لاستفحال الأزمات الأخلاقية، لذلك استهدفت الكرامات الانحلال الأخلاقي بدرجة الأولى بهدف الوصول إلى المجتمع خال من السلوكيات المنحرفة[6] عن طريق ما يعرف

---

[1] البناني، موقف ابن تيمية، المرجع نفسه، ص233. وأبوا الحسن علي بن محمد المطري، كرامات الأولياء بين الاثبات والنفي، المرجع السابق، ص11.

[2] البناني، موقف ابن تيمية، المرجع السابق ص233. وأبو الحسن علي بن محمد المطري، كرامات الأولياء، نفسه، ص11.

[3] أحمد بوزيان، بلاغت الصمت في الخطاب الصوفي (مجلة الأثر)، ع18، 2013م، ص85

[4] شحاته صيام، الطهر والكرامات قداسة الأولياء، روافد، القاهرة، ط1، 2011م، صص112 . 110.

[5] مالك مغشيش، الخطاب السردي والسياق المرجعي (مجلة إشكالات)، ع12، 2017م، ص145.

[6] نفسه، ص145.

"بالمكاشفة"[1] التي اعتمدها الصوفية للاطلاع على ما يبطنه المنحرفين، من أجل تربيتهم واصلاحهم[2]، وقد أمدتنا المصادر المناقبية بنماذج حية ومما ذكر من مكاشفات في كتاب "صلحاء الشلف" نذكر: "أحد الأيام قال أبو عقال ابن الحسن،[3] قال له يوما صاحب له: لي إليك حاجة؛ فقال له مقضية بعد الجهر بها، قال: إن كانت لك شهوة فأخبرني بها، فقال: نعم، اشتهي أكل رأس، قال: صاحبه: فاشتريت رأسين ولففتهما في رقاق وجئته بهما، ثم سألته بعد أيام: هل طابا لك؟ فقال: ما هو إلا أن فتحتهما فإذا هما محشوان دودا ليس فيهما لحم إلا الدود، قال: فأتيت الرواس فأخبرته فأطرق متعجبا، قال: ما ظننت أن في زماننا أحد يحمى عن الحرام هذه الحماية، تلك الرؤوس كانت من غنم انتهبها بعض العمال، ثم أعطاني رأسين من غير تلك الغنم، فأتيت بهما أبا عقال فأكلهما، واخبرته بما قال الرواس؛ فبكى وقال: يا رب ما كان يستحق عبدك أبو عقال عندك هذه الحماية لكنه فضلك وكرمك؛ فلك علي يا رب أن لا آكل طعاما لشهوة اشتهيتها حتى ألقاك".[4]

فالقصة هنا تجاوزت مجرد كشف الحقيقة أو إظهار كرامة الشيخ أبي عقال إلى دروس أخلاقية يمكن تلخيصه في: التأكيد على أهمية طهارة الطعام وحلاله، وحماية الله لعباده الصالحين من الخفيات، وإظهار أن النعم قد تكون اختبارا، والاشارة إلى أن الحق يظهر ولو بعد حين والمغزى من القصة: أن الله يرعاك حتى فيما لا تراه، فاحذر أن تخدعك الظواهر، وثق بأنه سيحميه إذا كنت مخلصا.

ومن مكاشفات السيد واضح أبو البيان: (مكاشفته لآل يغمراسن):

---

[1] المكاشفة: يقول أبوحامد الغزالي: هي عين النظر إلى المحبوب ولكن تفاوت على قدر درجات المحبين وأعظم المنزلتين هو الجمع بين النظر والقلب. مجهول، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان مجلد 18، ص20 https:// ketabnline.com

[2] طاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص182.

[3] ابوعقال علوان بن الحسين: سماه الدباغ أبو عقال غلبون بن الحسن بن غلبون، ولقبه في رياض النفوس ابن علوان، كان من الحفاظ النبلاء والفصحاء الأدباء الشعراء، خرج من القيروان وأوطن بالحرم المكي إلى أن توفي سنة 291 هـ/903م، لمزيد من التفاصيل انظر أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تح بشير بكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ص ص327 . 545. وأبو زياد عبد الرحمان الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،2005م، ج2، ص ص 116 . 117.

[4] موسى المازوني، المصدر السابق، ص191.

بعد لقاء يغمراسن للشيخ في دياره، واشارة الشيخ للسلطان الذي يخلفه من بعده، فلما هموا بالانصراف تأهبوا لوداعه، قال لأحد أولاده:" لم تكُ أمك أوصتك أن تأتيها بحجاب؟ قال: نعم يا سيدي نسيت، وأخذ يمناه فقبلها؛ فقال: يا عزوز ناوله إياه من مكان أشار إليه فناوله".[1]

هذه القصة جمعت بين الكشف الغيبي (طلب الأم من ابنها أن يحضر لها حجابا وقد نسيها لكن الله أطلعه الشيخ عليه)، والعطاء المادي (قدم للابن الحجاب) والتوجه الأخلاقي (تأكيد على بر الوالدين) في موقف واحد. والخلاصة أن الله يكشف لأوليائه ما خفي، وييسر لهم العطاء، فلا تستصغر بر الوالدين، ولا تستهن بكرامات الصالحين.

كما وظفت الكرامة كسلاح لرع المجرمين، وسبيل لهداية المنحرفين، ومن ذلك أن سارق دخل بستان الشيخ أبي عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق، فلصقت يده في الشجرة حتى مجيء الشيخ قال له: لا تدخل قبلي البستان فلما انتهى من عمله قاله: تائب ؟، فقال: اللص نعم يا سيدي، فقال له انطلق فذهب بعد أن قبل يد الشيخ وصار من الصالحين[2].

- **أبعاد الخطاب الكرامي:**

كما ساهمت الكرامة والمكاشفة في الحفاظ على التماسك الأسري، الذي هو أساس الإصلاح الأخلاقي فكانت المكاشفة بمثابة خطاب إصلاحي موجه، ويكفي أن نورد في هذا الصدد أن رجلا من تلاميذ أبي مدين شعيب أحجم عن تطليق زوجته، بعد أن كاشفه الشيخ بنيته ونصحه، بأن لا يفعل وقد ذكر ابن خلدون كلام الشيخ وأبي مدين هذه القصة، قائلا:" فمن مكاشفاته ومناقبه العليا مسألة تلميذه الذي غاظته زوجته ليلا فكسر أواني داره، ونوى فراقها ثم غدا إلى مجلس الشيخ فلما انصرف الناس لزمه وقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله".[3]

---

[1] موسى المازوني، المصدر السابق ، ص141.

[2] ابن مرزوق التلمساني ابي عبد الله محمد، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 163. بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص183.

[3] ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ج1، ص63. بركات كمال، الخطاب الأخلاقي، المرجع السابق، ص112.

وكذلك من خطابات الكرامة التي تحمل في طياتها الدعوة للتحلي بالجود والكرم وحماية الفقراء ، إذ جاء مرة لشيخ سيدي أبي يعقوب جماعة من الفقراء، فلم يكن لديه ما يطعمهم، فرحب بهم بكل سرور وفرح وأخذ الفأس والحبل ومشى لمكان فحفر منه ترابا أو رملا، وحمله في وعاء ، واقتلع شيء من البصل العنصل[1]، وجاء بذلك إلى أهله فقال لها: "قومي بخدمة الفقراء لتنالي منهم دعوة طيبة، فأنهم عند الله بمكان"، فنشطت قائمة وحزمت، وشمرت، وقالت له: "يا سيدي لقد عملت أنه ليس عندنا شيء نطعمهم"، فأومأ إلى الحمل ، فكشفت عنه فإذا بالرمل استحال دقيقا وبالعنصل لحما سمينا، ففرحت وزاد نشاطها، وحمدت الله وشكرته على تمام النعمة، وباشرت بعملها واعدت لهم منه طعاما كثيرا فأكلوا من طعام البركات حتي شبعوا[2].

وفي كرامة أخرى لنفس الشيخ ، أنه لما غار جيش ابن غانية [3] على زاوية الشيخ وكانت كثيرة العمارة لانضمام الناس إليه سلبوا الأموال، والاثاث، ونهبوا المواشي جاء الشيخ كان نازلا بظاهر مازونة بالموضع المعروف الأن "بتيزي"،"وكان رضي الله عنه جسيما تام الصورة، فلما رآه ،قال: ما لهذا الحبر السمين في كلام خفي فألقاها الله في قلب الشيخ ، فلما قرب منه أشار إليه أن يجلس بإزائه، فقال له: ليس ذلك محل الحبر السمين، فانتقع لونه واقشعر جلده وأخذته هيبة الصالحين حتى لم يتمالك من نفسه شيئا، فقال الشيخ مخاطبا له: كيف يغير جيشك على زاويتي؟ فاتق الله في حبس أموال المسلمين، فقال له: يا شيخ، ما يبقى لهم شيء حتى الحبل، فأمر برد جميع ما سلبوه، فرد".[4]

---

[1] العنصل: نبات معمر من الفصلية الزنبقية، له اوراق، ويظهر شراخه الزهري بعد الشتاء قبل الأوراق، وهو طري غض يسمو الى نحو متر، وينتهي بنورة عنقودية مكتظة بأزهار بيض وللجزء الأرضي من هذا النبات بصله كبيرة تستعمل في أغراض طبية، المعجم الوسيط، ص631.

[2] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص207.

[3] ابن غانية: وهو علي بن محمد بن غانية، ويؤكد ذلك ابن خلدون ويقول:" انه استولوا عليها –بجاية –... وكان علي بن محمد ابن غانية في الأموال وفرقها ورحل الى الجزائر فافتتحها ...ثم فتح مازونة، وانتهى الى مليانة فافتتحها". انظر ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، ج1 ص، ص88،18.

[4] المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص ص 197.196.

كل هذه النصوص ذات البعد الكرامي، تعبر عن الوظيفة الإصلاحية للكرامة، فكانت بحق خطابات أخلاقيا أثمرت في توبة الكثير من المنحرفين والتوجيه، من جانب خفي على المثل العليا والأخلاق الفاضلة، فوظف المتصوفة كراماتهم كآلية من آليات مشروعهم الإصلاحي.[1]

بلغ مفاد الخطاب الكرامي الصوفي نفاذ وسلطة على سلوكيات مجتمع المغرب الأوسط خاصة، إذا علمنا أن صميم الخطاب الصوفي هو في الحقيقة ثورة باطنية على الانحراف الأخلاقي تدفع إلى التغير[2].

[1] ابن الزيات، التشوف، المصدر السابق، ص323. وينظر بركات كمال، الخطاب الأخلاقي، المرجع السابق، ص214.

[2] حلمي، الولاة وأولياء، المرجع السابق، ص169.

في الختام، يمكن تلخيص أبرز النتائج المتوصل إليها:

- لخطاب الأخلاقي في التصوف هو بمثابة أداة تربوية، تجمع بين الإقناع العقلي والإرشاد الروحي، سواء بأسلوب مباشر –الخطب والوعظ–أو غير مباشر–القدوة والكرامة–بهدف ترسيخ القيم وتهذيب السلوك.
- يعد كتاب مناقب صلحاء الشلف وثيقة تاريخية توثق حياة المتصوفة لجمع مؤلفها بين السير الذاتية والمناقب الصوفية، يحمل في طياته قيما أخلاقية متعددة.
- مثلت القيم الجوهرية في كتاب "صلحاء الشلف" ثمرة التجربة الصوفية، التي تحولت من مجرد مفاهيم إلى ممارسات يومية، كان لها أثار إيجابية على الفرد والمجتمع.
- كما أن قصص الصالحين لم تكن سردا تاريخيا بل كانت وسيلة لتعزيز الثقة في طريق الحق.
- كما يظهر الكتاب كيف استطاعت الكرامة إثبات الالتزام الأخلاقي وتكون منارة الإلهام لتحلي بالفضائل.

الفصل الثالث: أثر الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الاوسط

المبحث الأول: الوظيفة الاجتماعية للخطاب الأخلاقي الصوفي

1. تعزيز التضامن الاجتماعي.
2. تقويم السلوكات الفردية والجماعية.
3. أثر الخطاب الكرامي في أواسط مجتمع المغرب الأوسط.

المبحث الثاني: الوظيفة السياسية للخطاب الأخلاقي الصوفي في المغرب الأوسط

1. الولي وسيط بين المجتمع والسلطة (رؤية إصلاحية، سياسية).
2. خطاب الكرامة وتأثيره في القرارات السياسية.
3. الخطاب الأخلاقي كمنهج حكم.

المبحث الثالث: الخطاب الأخلاقي الصوفي وتأثيراته الدينية والتعليمية

1. الخطاب الأخلاقي الصوفي وتأثيراته على الحياة الدينية.
2. الخطاب الأخلاقي الصوفي وتأثيراته العلمية والتربوية.

يعتبر الخطاب الأخلاقي الصوفي ركيزة أساسية في إقامة وتصويب القيم في المجتمعات الإسلامية، مما يجعله أداة فاعلة في إصلاح النفوس وتعزيز تماسك المجتمع، كان لهذا الخطاب وظائف رئيسية: الوظيفة الاجتماعية، الوظيفة السياسية، كما شملت الجانب الديني والتعليمي، مما يعكس عمق ارتباط المتصوفة بالواقع المعاش، ولهذا فإن الأسطر الموالية تكشف عن أثر الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الأوسط على مجتمعهم.

المبحث الأول: الوظيفة الاجتماعية للخطاب الأخلاقي الصوفي

شكل الخطاب الأخلاقي للمتصوفة في المغرب الأوسط نسيجا حيويا جمع بين الروحانية والواقع الاجتماعي، فكانوا – الأولياء – بحق أطباء القلوب وحكماء المجتمع، ومن أبرز النصوص التي تعكس هذا الدور كتاب " صلحاء الشلف " لموسى بن عيسى المازوني، الذي يعد مرآة لتجربة صوفية متكاملة، جمعت بين الوعي والعمل الاجتماعي، ويبرز ذلك من خلال:

1. تعزيز التضامن الاجتماعي

أدت مخالطة صلحاء المغرب الأوسط لأفراد مجتمعهم ومعاملتهم، إلى اطلاعهم على أحوالهم ومعرفة مشاكلهم وحاجتهم، فتباينت أدوارهم تجاه شريحة الفقراء والمحتاجين التي نالت اهتماما كبيرا لدى الأولياء الزيانيين على وجه الخصوص، فسعوا إلى تحسين أوضاعهم سواء ماديا أو معنويا، ولم يبخلوا عليهم بل بذلوا من أجل ذلك أعز ما يملكون ومثال ذلك:

أ. تقليص الفوارق الاجتماعية:

عمل شيوخ التصوف على إذابة الفروق بين فئات المجتمع وشرائحه من خلال التقريب بين الفقراء والأغنياء، والعالم والأمي، والشريف وغيره ويألف بينهم جميعا في إطار قوله تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[1]، يقدم موسي المازوني في كتابه نموذجا للخطاب الأخلاقي الصوفي حول ذلك:

[1] سورة الحجرات: الآية 13.

- **التراحم:**

تشجيع الأغنياء أو أصحاب الحال الميسور على حب الفقراء ومصاحبتهم والإنفاق عليهم دون انتظار مقابل.[1]فيقول:" يا أخي{ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ}،فاتبع مناهج الفقراء الصدقيين واتخذهم أخلاء؛ فإن الخليل الصالح ينفع في الدارين.[2]

- **التعارف:**

حث المازوني على التواضع وتعزيز الحوار بين الأغنياء والفقراء والعالم والأمي فيقول " يا أخي، من تواضع لله رفعه الله ... وكم بين أموات زمان حياتهم ..."[3] عبر مجالس الذكر والوعظ التي جمعت أطياف المجتمع.[4]

كما مثل الأولياء نموذجا قضائيا وأمنيا، لسعيهم في فض النزعات وإنهاء الخلافات، وتقليل المشاكل بين السكان أفرادا وجماعات[5]، بعيدا عن تعقيدات القضاء الرسمي، وذلك بفضل المكانة والثقة التي حظي بها الشيوخ[6]، وازداد لجوء الناس إليهم في ظل فترة الاضطرابات، التي حلت بالمنطقة نتيجة لضعف الحكام، وأمام هذا الوضع أصبح الشيوخ وزواياهم ملجأ للأفراد والقبائل، وحددوا لكل نوع من الانحرافات والمشاجرات والاعتداءات وغيرها عقوبات.[7]

[1] موسى بن عيسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص، ص205 ،272.

[2] نفسه، ص300.

[3]نفسه، ص 306 . 307.

[4] نفسه ص274.

[5] الأمير بوغداد، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني، مطبوعات الكتاب والحكمة، باتنة، الجزائر، 2009م، ص141. و، التيارات الدينية في الجزائر خلال القرن 13ه "التصوف انموذجا"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، كلية العلوم إنسانية، جامعة باتنة 1 ،2020 . 2021م، ص250.

[6]يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، المعلومات ناقصة، صص237 -238

[7] الأمير بوغداد، التيارات الدينية، المرجع السابق، ص254.

ب.**دور الأولياء في مساعدة الفقراء والمحتاجين:**

عرف المغرب الأوسط اضطرابات سياسية وكوارث طبيعية، مما أدى إلى معاناة السكان من الفقر المدقع والمجاعات[1]، فبرز الأولياء والصالحين كقوة منقذة للمجتمع من الانهيار عبر آليات ذكية، فمن خلال ما أوردته كتب المناقب والتراجم قال المازوني في ذلك:

"عِبَادُ اللَّهِ سَادَتْ كَرَمٌ لَهُمْ فِي الْخَيْرِ إِنْ لَاحَ انْبَعَثَ

فَهُمْ لِلناسِ فِي الدُّنْيَا أَمَانٌ مِنَ الأَمْرِ الْمَخْلُوفِ وَهُمْ غِيَاثُ" [2]

- **مساعدة الفقراء بالصدقات:**

من بين أعمال الصدقات التي قام بها الصلحاء، تقديم المساعدة للذين يعانون الفقر والحاجة، سلطت كتب المناقب والتراجم الضوء على جملة من الأمثلة منها:

"أن جاء رجل لأحد السلف وقال له: أني أريد الحج، قال: كم معك؟ قال: ألف درهم، قال: أنا أدلك على ما هو أفضل، اقض دين مديان، فرج عن مكروب. وذكر أبو الفرج في باب الأفاضل على الإخوان والرفقاء في السفر عن ابن المبارك أنه كان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم".[3]

ومن أمثلة ذلك أيضا أن" أبو زكريا يحي التادلي[4] كان عبدا صالحا ذا مال، فرق جميع ماله في المحنة التي حلت بمراكش على الفقراء، حتى لم يبق له منه شيء له ولا لي أولاده".[5]

---

[1] عرف المغرب الاوسط في تاريخه العديد من المجاعات، نذكر منها مجاعة588هـ، ومجاعة 610هـ التي اصابت بجاية، كما اصاب المغرب الأوسط ككل مجاعة776هـ/1374م ، كما عرف أيضا مجاعة أخرى في القرن التاسع الهجري، ينظر الغبريني، عنوان الدراية،ص135 ، ينظر يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1ص325-326. وكذا ق9هـ/15م ينظر أيضا المازوني، الدرر المكنونة، ج1، 275-276.نقلا عن سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588 -972هـ، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتور، قسنطينة 2008 -2009م، ص 135.

[2] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص260.

[3] نفسه، ص ص260 .261.

[4] أبو زكريا يحي التادلي ابن الزيات: هو أبو زكريا يحي بن محمد بن عبد الرحمان بن الزيات، من أهل تادلا، كان عبدا صالحا ورعا مجاب الدعوة، مات بفاس سنة 576هـ، للمزيد من التفاصيل ينظر إلى التشوف ص ص245 . 248.

[5] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص311.

وفي قصة أخرى أن "رجلا له مقثأة[1] أخذ بيد أحد الصالحين وجده في مقثأة لجوعه فأخذ بيده لمنزله أكرمه، وجعل مقثأته لله وأخرج جميع ماله وأنفقه على الفقراء فمن رحمة الله أن جعل رؤية هذا الشاب الصالح لهذا الرجل سببا لتخليه من ماله ورجوعه إلى الله"[2].

كما برزت الأسرة المرزوقية بحبهم وعطفهم على الفقراء فكان أبو عبد الله بن أبي بكر مرزوق: "يهب المال لمن أراد التجارة، وكان يكتال من زرعه للضعفاء طوال السنة، ويمنحهم مقدارا من المال، كما كان مجاب الدعاء لمن حل به فقرا أو مرضا فتتيسر حاله، مثلما دعا أحدهم كان ضعيفا فقيرا كثير العائلة فدعا له الشيخ فأصبح ذو مال كثير".[3] كما عرف والده أبو العباس ابن مرزوق بكثرة الصدقات وأعمال البر له، وأورد ابن مرزوق الابن أنه كان له مطامير من القمح والفحم فإذا كان اليوم مثلجا فتح مطمورة من القمح والثانية من الفحم، ويتصدق بالزرع والفحم طول يومه وغيرها من الصدقات".[4]

ومما جاء عن العالم الفقيه أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1369م) وهو آخر عرف بكرمه الواسع في إعانة الناس والانفاق عليهم،[5] ومما أورده التنبكتي في شأنه أن قال: "...كان مشفقا رحيما بالناس يعينهم ... ويعطيهم عدة نفقات...ويواسي رحمه بكثير من ماله ...ويطعمهم الأطعمة".[6]

- **مساعدة الفقراء في أزمنة الجوع:**

شهد المغرب الأوسط في ظل الحصار المتكرر من قبل الدويلات المجاورة، العديد من أزمات الجوع، وهنا برز الأولياء وذلك من خلال محاولاتهم في تصدي للأزمة، فمن المعروف أن الجوع عند الأولياء

[1] يقصد به موضع يزرع فيه القثاء وينبت، والمقثأة الأرض كثير القثاء، والقثاء نوع من البطيخ نباتي قريب من الخيار لكنه أطول، معجم الوسيط، المصدر السابق، ص715.

[2] المازوني، المصدر السابق، ص282.

[3] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 151.

[4] نفسه ص ص 190-191.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص 169.

[6] التنبكتي، المصدر السابق، ص ص 339- 340.

ليس بالأمر المهم عندهم، عكس عامة الناس،[1]ومن أمثلة ذلك ما يذكره يحي التادلي في كتابه التشوف إلى رجال التصوف قصة الولي أبي زكريا الزواوي (ت611هـ/1214م) الذي كان له دور كبير خلال المجاعة التي أصابت بجاية حيث "اكترى فندقا كبيرا ومر على أعيان بجاية ، فدفع كل منهم ما يطيقه لمعونة المساكين والفقراء، وأخذ يمشي في طرقات بجاية فكلما مر بمسكين دله على الفندق الفلاني، واشترى لهم ملابس والطعام وأغناهم عن السؤال".[2]

اتخذ الصلحاء من الزواية ملجأ للفقراء والمحتاجين خاصة أيام الشدائد كتزويدهم ببعض الأطعمة والألبسة والصدقات التي تصل إليهم فعظم دورها من خلال عمليات التضامن والتكفل بالمحتاجين والمساكين،[3] وكان لهم دور أيضا في التوعية بخطابهم ومواعظهم المؤثرة في المساجد، كحثهم على الصبر أيام المجاعات التي اجتاحت تلمسان.[4]

وأورد المازوني في كتابه:" أن عمر بن معاد[5]عاملا يصطاد النحل في البرية والحوت في البحر يقتات به، وأضاف جماعة كبيرة لنفسه في المجاعة فصار يمونهم بما يصطاده من الحوت حتى أخصب الناس". [6] ومن أمثلة ذلك أيضا أنه في زمن الحصار المريني الطويل على تلمسان، عانى أهلها من مجاعة عظيمة، وفرج الله عليهم بطعام من عرس ابن مرزوق الحفيد (ت781هـ/1379م) الذي أعد بمناسبة اليوم السابع من زواجه، فأكل أهل تلمسان وكان ذلك رزقهم كتبه الله لهم.[7]

---

[1] خليلي بختة، دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط، (الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية)، ع15، جامعة بسكرة، 2016م، ص 22-33، ص23-24. والطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، ص161.

[2] يوسف بن يحي التادلي، المصدر السابق، ص429. والغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص135.

[3] سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588 -972هـ، المرجع السبق، ص 162.

[4] أبو يحي المازوني، المصدر السابق، ج1، ص 337.

أصاب تلمسان خلال ق 9هـ/15م بشكل واضح غلاء شديد ومجاعة، ينظر المازوني الدرر المكنونة،ج2،ص72.

[5] . عمر بن معاد: هو أبو حفص عمر بن معاد الصنهاجي، من أهل إفيغل من بلد أزمور، من أصحاب ابي عبد الله بن أمغار وابي شعيب، مات عام561هـ/1165م، لمزيد من التفاصيل انظر ابن الزيات، التشوف، ص183.

[6] موسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص310.

[7] ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص99، 33.

كما ورد عن أحد أولياء تلمسان تصدقه بكل ماله الذي ورثه والمقدر ب 400 دينار على المساكين زمن المجاعة بالرغم من حاجة أولاده إلى هذا المال.[1]

وأقدم بعض الصلحاء على منع احتكار التجارة للسلع وبيعها للأعراب زمن الشدائد، فقاموا بحثهم على إخراج الطعام وبيعه في الأسواق لحاجة الناس إليه وبسعر معقول، وشددوا النكير على متلقي السلع في الفنادق وألزموهم بإنزالها الأسواق لتكون متاحة للقوي والضعيف.[2]

ويذكر ابن مريم،" أن الشيخ الصالح محمد بن عبد العزيز[3]، في الفترة التي عانت فيها تلمسان من أزمة الغلاء، بعث السلطان لأهل البلد لشراء الزرع فأمده يحي بكل ما يحتاجه فبيته كان لا يخلوا من الزرع، وذلك لبركته وصلاحه"[4]. وفي إطار غلاء الأسعار تحكي رواية عن أحد الأولياء خرج فرأى الناس بسوق وسأل وعن ذلك فقيل له أنه يوم سوقهم فدعا لهم بالربح في تجارتهم فمن ذلك اليوم لا يشتري أحد من تلك السوق تجارة إلا ربح فيها[5].

هذا النص يبرز لنا وقوف الأولياء إلى جانب الفقراء والمحتاجين كان في عدة أوجه حيث كان دعائهم مفرجا للأزمات وصلاحهم مؤثرا على فئات المجتمع الميسور بالصدقات وكراماتهم ملجأ للمحتاجين.

- **المغارم والمكوس:**

كان للمتصوفة دورا بارزا في التخفيف من المغارم والمكوس أو إلغائها، في محاولة منهم لوضع حد لبعض تجاوزات السلاطين، حيث شكلت هذه الضرائب عبئا ثقيلا على معدومي وضعفي الدخل مما اضطرهم

---

[1] سمية مزدور، المرجع السابق، ص153.

[2] العقباني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد(ت871هـ/1367م)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح علي الشنوفي، (د د ن)، (د ب ن) ، (دس ن) ص127-131.

[3] هو محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج عزوز، عرف بالذكاء وحفظه للحديث والتاريخ وغيرهما، عاصر الأمام الحفيد ابن مرزوق وأخذ عنه وعن أخرون. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، المصدر السابق، ج2، ص162.

[4] ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص507.

[5] ابن الزيات، التشوف، المصدر السابق، ص109

للعيش في ضيق وضنك كبير إلى جانب الأزمة التي حلت بالمنطقة، فنلمح تصدي الصلحاء لهذه الظاهرة – المكوس والضرائب– والدفاع عن أفراد مجتمعهم، ومن أمثلة ذلك ما قام به متصوفة تلمسان الصوفي " أبو الربيع سليمان (ت779هـ/ 1377م) ويسمى أيضا الربيع سليمان بن المعز الصنهاجي التلمساني، كان فقيها ورعا معظما للعلم " اذ أنه حذر أحد الوزراء بما قد يلحقه إن قام بعملية المكس متوعده بالعقوبة التي تعرض لها سابقوه من فارضي المكوس" ، بإضافة الى مشاركة أبو عبد الله ابن شعيب مع العامة في ضرب المكاس محتجا بقوله: " ليس في الشريعة مكس".[1]

كما سعى الفقيه أبو زياد بن الامام (743هـ/ 1342م) بالتوسط للفقيه أبي العباس بن عمران البجائي عند السلطان أبي تاشفين الأول بعد حلوله بتلمسان، فرفع السلطان مغرمه ومغرم من كان معه وزاد عن ذلك بأن أعطاه مائتي دينار ذهبية[2].

- **دور الأولياء في الأزمات الطبيعية (الجفاف):**

شهد المغرب الأوسط خلال الحقبة التاريخية المدروسة سلسلة من الأزمات الطبيعية، التي خلفت تداعيات عميقة على المجتمع، لاسيما ظاهرة الجفاف التي تحولت إلى قحط،[3] فباتت المنطقة تعاني من شح في التساقطات المطرية، يهدد الأمن الغذائي، ويفاقم من التحديات الاقتصادية والاجتماعية.[4]

وفي وسط هذه التحديات برز الأولياء والصالحين كحماة روحيين، ومصلحين اجتماعيين، حيث سلطت كتب المناقب والتراجم الضوء على صفحات مشرقة عن مساعيهم الحكيمة، في مواجهة هذه المحن، فقد شكل هؤلاء سدا منيعا أمام الكوارث، بفضل ما حباهم الله من كرامات وحكمة في تدبير الازمات.[5]

---

[1] خليل بختة، المرجع السابق، ص30.

[2] التنسي، تاريخ ملوك بني زيان، تح محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص142.

[3] تعرض المغرب الأوسط لأزمة جفاف حادة منها الجفاف الذي أصاب بجاية وذلك في النصف الأول من ق7هـ، ينظر التنبكتي، نيل الابتهاج، ص320. كما أصاب منطقة تلمسان هي أخرى جفاف شديد سنة688هـ، ينظر العبدري محمد البلنسي ت720هـ/1320م، الرحلة المغربية، سعيد بو فلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، دب، ج4، ص9.

[4] .يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ص61 ومايليها.

[5] مزدور، المجاعة والاوبئة في المغرب الأوسط، المرجع السابق ص150.

ومن أبلغ الشهادات التاريخية على هذا الدور النبيل ذلك الخطاب الإصلاحي العميق، الذي يحذر من جرم الذنوب ويربط بينها وبين حلول النقم: " إذا ارتفعت أسعاركم، وقلت أمطاركم وضعفت ثماركم، وتنكرت قلوبكم، وعميت عن الرشد مسامعكم، وكثرت النميمة والغيبة في أخباركم، وجارت عليكم ملوككم، فلجأوا إلى الله بالأولياء الذين خلف ظهوركم، يؤمنكم الله مما تخافوا ".[1]

هذا النص يعبر عن منهج متكامل يقرن بين التوبة الفردية والإصلاح الجماعي، ويجعل من الأزمات الطبيعية مرآة تعكس اختلال الموازين الأخلاقية، فكما الجفاف يقحل الأرض، فإن الذنوب تجفف ينابيع القلوب، وكما أن الغيث يحيي التربة، فإن التضرع إلى الله بأوليائه يعيد الحياة إلى الضمائر. ويشدد المازوني في خطابه على التوبة في قوله: " تب مما جنيت وأنت حي وكن متنبها من ذا الرقاد ستندم إن رحلت بغير زاد وتشقى إذ يناديك المنادي "[2].

فهم أبناء المغرب الأوسط هذه الحكمة، فكان الأولياء عندهم مشاعل الهدى ينيرون دروب الأمل في أحلك الظروف. ومن أمثلة ذلك الجفاف الذي أصاب المنطقة العباد بتلمسان حيث نزلت الأمطار، وذلك ببركة الشيخ واضح الولي الصالح الذي اشتهر أمره في ق7هـ/13م، بالشلف فامتلأت الآبار والسواقي.[3]

وفي حادثة أخر أنه طلب من أبي زكريا الجراوي الأقرع [4]أن يستسقي للناس فقام ورمى بشاشيته إلى الأرض، ووقف وقفة الذليل الفقير فقال:" يا مولاي، هذا الأقرع يسألك الغيث؛ فما نزل من مكانه حتى مطر الناس".[5]

---

[1] مزدور، المجاعة والاوبئة في المغرب الأوسط، المرجع السابق ، ص150.

[2]المازوني، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص139.

[3] مزدور، المرجع نفسه، ص151.وموسى بن عيسى المازوني، نفسه، ص112.

[4] في الأصل أبو زكريا الجذاوي، والصحيح هوا أبو زكريا يحي بن محمد الجذاوي ثم المراسني المعروف بالأقرع، من موضع الحوتين على وادي وانسيفن من بلاد تالا، ويعرف اليوم بسيدي بو زكري، انظر ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، المصدر السابق، ص ص135 .139.والمازوني، صلحاء الشلف، المصدر السابق ص226.

[5] المازوني، نفسه، ص226.

كما اعتاد الفاسيون التوسل بأبي يعزي إبان السنوات العجاف التي ألمت بهم في عهده، ويعد التميمي خير من زودنا بطريقة تضامنه في الاستسقاء لأنه حضر بعض طقوسها، أما ابن خاتمة أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري (ت770هـ/1368م) فكان يستسقي بقرض شعر الزهد والرقائق لرفع بلاء القحط[1].

"وتجدر الإشارة إلى أن كرامة الاستسقاء لم تكن بسبب القحط فقط، فقد تحدث في حالات استثنائية بسبب تدهور الأوضاع الأمنية أين يلجأ العدو إلى حصار مدينة ما ويقطع عنها الماء، وهو ما جرى لأهل بلد قسنطينة عندما حاصرهم بنوا غانية وخلص أهل قسنطينة من هذا الحصار".[2]

لقد تجلت حكمة ربانية في زوال هذه المحنة الطبيعية لتكون شهادة على صفاء نفوس أولئك الأولياء، ونقاء سرائرهم، واستجاب المنعم الوهاب بفيض من رحمته، فأنزل الماء المبارك الذي يحمل في طياته أسرار صوفية عظيمة، فالماء في المدلول الصوفي يرمز لطهارة.

- **دور الأولياء في أزمة الأوبئة**

عرفت المنطقة ما بين القرنين السادس والتاسع الهجريين انتشار واسعا للعديد من الأمراض[3]، فمنها ما كان ناتجا عن سوء الأحوال الصحية وتراكم الأوساخ، ومنها أمراض مزمنة التي استعصى علاجها على الأطباء، فضلا عن أمراض نسبت إلى أسباب خفية كالسحر والعين والحسد، وعند يأس الناس من دواء الأطباء، لجأوا إلى العلاج الروحي ممثلا في أولياء الله الصالحين،[4] الذين اشتهروا بأساليب

---

[1] مجموعة من المؤلفين، التصوف السني في تاريخ المغرب، اشراف، إبراهيم قادري بوتشيش، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2010م، ص248.

[2] ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر،1968م، ص180 . بإضافة إلى مزدور سمية ، المرجع السابق،ص151.

كانت قسنطينة في حصار وفي ضيق وغلاء شديد من سنة750هـ، ابن قنفذ، الفارسية، نفسه، ص 180.

[3] من أبرز المناطق التي اكتسحها الوباء نذكر: بجاية وذلك سنة 588هـ ينظر ابن عذارى، البيان المغرب (موحدي)، ص181.

وباء الطاعون 748-750هـ اجتاح المغرب الأوسط والعالم كله، ينظر ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص187.وكذا طاعون أصاب تلمسان وكل المغرب، 847هـ ينظر القلصادي، الرحلة، المصدر السابق، ص101.

[4] مزدور ، المرجع السابق، ص174.

علاجية فريدة جمعت بين الدعاء والبركة النفسية، وكانت نتائجها مذهلة في كثير من الأحيان، دون أن يطلب الولي مقابلا ماديا لخدمته.[1] ومن بين تلك الأساليب العلاجية التي وردت في كتب المناقب والتراجم، ما يعرف ب:

- **الريق:**

هو نفث الولي بريقه على المريض مصحوبا بالدعاء، مما كان له أثر بالغ في الشفاء، تذكر المصادر التاريخية، على سبيل المثل، أن محمد بن مرزوق (ت781هـ/1379م) عانى في صغره من أمراض متكررة، تمثلت خاصة في الدمامل والأورام الكبيرة، فكان والده كلما اشتد به المرض يلجأ إلى هذه الطريقة فيتفل عليه ويدعوا له، فيشفى بأذن الله تعالى في الحال.[2]

وذكر ابن مريم "أن عبد الرحمان ابن تومرت خرجت له آكلة في خده وطال أمرها ويأس من البراءة منها، فذهب للشيخ الحسن أبركان (ت807هـ/1404م) فبصق له في موضع الاكلة، فدخلت البراة على الفور ولم يبقى لها أثر"[3].

- **التداوي بالدعاء:**

وهو ذلك الدواء رباني الذي اشتهر به الأولياء في علاجهم الأمراض، لأن دعائهم كان مستجابة ومقبولة عند الله تعالى وذلك لصلاحهم وتقواهم، وتشهد كتب الناقب والتراجم على عظيم أثر هذا العلاج الروحي، حيث يروى أن محمد بن مرزوق قد ألم به السعال العنيد، فما كان من الولي الصالح محمد بن محمد ابن أبي بكر بن مرزوق إلى أن دعا له فأصبح برئا بفضل الله ورحمته[4]، وكذلك حين أصيب أحدهم بالإسهال المزعج، دعا له والد مرزوق الحفيد فنقطع عنه البلاء في الحين، وأشار ابن مريم أن يغمراسن كان يتردد كثير على الولي الصالح محمد بن عيسى أبو عبد الله يقول :"...كان يزوره وهو في داره أمير

[1] إبراهيم قادري بوتشيش، الإسلام السري في المغرب العربي، دار سينا للنشر، مصر، ط1، 1990م، ص146.

[2] محمد ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص131.

[3] مزدور سمية، المرجع السابق،177.

[4] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص234.

المؤمنين أبو يحي يغمراسن ابن زيان إلى محله التماسا لدعائه..."،[1] فسبحان من أيد أولياءه بتلك الكرامات.

- **العلاج النبوي:**

هي علاج ديني أصيل توارثه الأولياء والصالحون، مستمدين أسراره من نور القرآن الكريم وهدى السنة النبوية، فكانوا يستعملون الدعاء والآيات البينات في شفاء العلل والأسقام.[2]

حرصين كل الحرص على أن تكون الرقية[3] بلسان العربي، خالية من الألفاظ الأعجمية المجهولة، خشية من أن يكون فيها كفرا، وقد استعمل الأولياء الصالحين لعلاج العين حيث كانوا يقرأون آيات من القرآن وهي: "بسم لله الرحمان الرحيم" ثلاث مرات ويقرأ أيضا:

"لا ضر إلا ضرك ولا نفع إلا نفعك ولا ابتلاء إلا ابتلاءك ولا معافاة إلا معافاتك فأنت الحي القيوم لا يجاوزك ظلم ظالم من إنس ولاجن ... أن تشفيه وتعافيه وترد ما به على أعدائه، وصلي الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ".[4]

وقد عرف أولياء المغرب الأوسط رقية نافعة لكل الأمراض، وهي رقية الزيت وصفتها أن يأخذ شيء من الزيت الطيب ويجعله في إناء نظيف ويحرك الزيت بعود ويقرأ عليه "سورة الإخلاص" والمعوذتين، وأواخر سورة البقرة، وبعض من آيات القرآن الكريم، ويفعل ذلك سبعة أيام، ويكون استعمالها بأن يجلس الشخص في الشمس قليلا ويدهن به موضع الألم،[5] فيبرأ بإذن الله تعالى، وكل هذه الرقية مأخوذة

---

[1] ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص395.

[2] مزدور سمية، المرجع السابق، ص174.

[3] الرقية: جمع رقى، وهي العوذة التي يرقي بها صاحب الافة كالحمى والصداع وغير ذلك، ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج14، ص332.

[4] العبدري، الرحلة المغربية، المصدر السابق، ج4، ص ص122 -123.

[5] نفسه، ص124.

من الرسول صلى الله عليه وسلم، وعرفوا أيضا رقية لمرض الجرب، حيث يأخذ الكبريت ويخلطها بالزيت ويطلي بها بدنه يوم السبت.[1]

أثر العلاج الكرامي في نفوس أفراد المغرب الأوسط، وذلك" لاعتقاد غالبية الناس بأن سبب الأمراض أنما هو مس من الجن أو عقابا إلهيا سلطه الله تعالى عليم ليعاقبهم به" [2]، فإنهم رأو في التقرب من الأولياء وطلب العلاج منهم الوسيلة الوحيدة والناجعة للتخلص من هذه الأمراض التي يعانون منها، ولم تكن إلا ذهنية طبعت في نفوس غالبة المجتمع المغربي ،فقد كان الناس يقصدون أبا عبد الله محمد بن أحمد بن النجار[3] للاستشفاء والتبرك بحجر كان يجلس عليه بإزاء داره[4]، وقد بلغ اعتقاد سكان المغرب الأوسط في الأولياء إلى حد التخيل بهم ،فيتهيأ لهم أن الاستغاثة بهم عند المرض سيشفيهم منه، مع أن الله سبحانه هو الشافي[5]. ذكر كتاب تعريف الخلف برجال السلف دور الأولياء في مجتمع المغرب الأوسط، حيث نجد ضمن تراجمه أن الولي الصالح أحمد بن إدريس البجائي (ت760هـ/1358م)[6]، الذي كان يداوي مرضاه بالرقية إذا مر بمصاب ومعه بعض طلبته فقرأ في أذنه الفاتحة فأفاق.[7]

برع أولياء المنطقة في هذا الفن، فأبدعوا رقيات نافعة كرقية الزيت التي تشفي من العلل، ورقية العاقر، وقد لاقت هذه الطريقة العلاجية قبولا عظيما لدى الناس، إذ جمعت بين الأصالة الدينية والثقة في شخصية الولي، الذي توفرت فيه شروط الكفاءة والصلاح، فكان بحق طبيبا روحيا يلجأ إليه عند اشتداد المحن.

---

[1] مزدور سمية، المرجع السابق، ص175.

[2] نفسه، ص179.

[3] هو محمد بن أحمد بن النجار التلمساني، الإمام الفقيه الأصولي، له مشاركة في علوم النقل والعقل توفي846هـ/1446م. التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة، المصدر السابق، ج2، ص163.

[4] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 176.

[5] مزدور سمية، المجاعات والاوبئة في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص181.

[6] الإمام كبير علماء عصره عرف بالورع والصلاح والبراعة من كراماته إشفاء المرضى بالفاتحة، توفي 760هـ/1358م.التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص36.

[7] الحفناوي، المصدر السابق، ص31. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص 36.

2. تصويب السلوكات الفردية والجماعية:

لم تكن رسالة الأولياء تقتصر على المعجزات، بل امتدت إلى إصلاح السلوكيات المنحرفة بأساليب ذكية تعتمد على الفهم النفسي واللين، بدل القسوة والتهديد، من أبرز النماذج:

أ. الشيخ الحرالي (ت638هـ/1240م):[1]

"يحكى أن رجلا سكرانا اعترض طريق الشيخ الحرالي وهو يترنح، وطلب منه مالا لإكمال سكره، فما كان من الشيخ إلا أن أعطاه المال دون توبيخ ثم توجه إلى المسجد، وبعد ساعة، جاء الرجل تائبا باكيا"،[2] فكانت لحظة العطاء هي بداية تغييره. وفي قصة أخرى، "جاءته أم تشكو ابنها المدمن على الخمر، فقال لها: "قولي له يشرب في الكؤوس الكبيرة لا الكؤوس الصغيرة لكي تقصر مدتها".[3]

فكانت هذه الكلمة سببا في توبة الشاب وإقلاع عن الخمر فسرعان ما جاء الشاب تائب وذلك ببركة الشيخ.[4]

تعكست لنا هاتين القصتين موعظة راقية تلامس القلوب منها:

- الرفق مفتاح التغيير: حيث نرى كيف يغير لطف القلوب مسار الأرواح، فمن أراد أن يصلح فليبدأ بالرحمة قبل النصح.
- الحكمة في التعامل أبلغ عقاب: فهما يعلمان أن التوجيه ليس دائما بالمناظرة والمقاومة، بل بالفطنة والحكمة، فالنفس ترجع باللطف أسرع مما ترجع بالقسوة.
- أحيانا كلمة واحدة تحرك الجبال إذا وضعت في موضعها كالندى ينبت الزهر في الصخر.
- التائبون يخرجون من ظلمات الذنوب حين يرون نور القبول في عيون الغير.

---

[9] هو علي بن أحمد بن الحسن إبراهيم التجيبي، أندلسي الأصل ولد بمراكش ونشأ بها، عرف بأنه الإمام الوارع الفقيه الزاهد توفي 638هـ.التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص259.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص150.

[3] نفسه، ص151،

[4] الغبريني، المصدر السابق، ، ص151.

ب. الولي أحمد الغماري (ت874هـ/1469م)[1]:

كان لقراءة الغماري للقرآن أثر عميق في النفوس، حتى أن خادم الشيخ محمد بن حميد عندما سمع تلاوته، خشع قلبه وترك الدنيا، واجتهد في العبادة، وكثرة ذكر الله، وقيام الليل إلى أن مات.[2] ويذكر "أن أبا زكريا يحي بن يوغان[3]، جاء لعبد السلام التونسي، وطلبه أن يكون من تلامذته، فقال: لا تقدر على ذلك؛ فقال: لعل الله يسهل لي؛ فقال له: إن كنت كما تقول فاذهب للجبل واحتطب، وأدخل رحبة القصر بالحزمة على ظهرك حتى يذهب ما فيك من الكبر، ففعل ما طلب منه، ثم جاءه فأخبره فقال له: الأن أستوهب منك الدعاء"[4].

يعكس هذا النص كيف يهذب الشيخ روح أبا زكريا بتخليصه من العجب والغرور وحمله على الطاعة من خلال استجابته للطلب وصدق نيته للتعلم ويربيه على التواضع، وهذا الأسلوب التعليمي للروح كان شائع في التصوف الإسلامي. يقول المازوني: " الخلق في الخلق أمثال سواسية ولا مميز إلا الوصف والخلق ..."[5].

نجد أن خطاب كرامية للأولياء ودعائهم المجاب ساهم في توبة وهداية العديد من المنحرفين عن عادات وتقاليد مجتمع المغرب الأوسط، فمنهم من كان لصا وأصبح من الأولياء والأقطاب كما قاموا بتهذيب أخلاق المرأة.[6]

وعليه لم يقتصر دور الأولياء في المغرب الأوسط كمجرد ظاهرة دينية، بل كان مشروع حضاريا يعيد بناء المجتمع من الداخل، لقد أثبتوا أن التغيير الحقيقي يبدأ من إصلاح القلب وترميمها، وفي عصرنا

---

[1] الولي كبير الشأن ذو كرامات عديدة، أخذ عنه الشيخ زروق، توفي بتلمسان 874 هـ/1369م، ودفن بخلوته. التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص59.

[2] ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص105.

[3] في الأصل بوغان، وهوا أبو زكريا يوغان الصنهاجي، كان من امراء صنهاجة، وهوا تلميذ ابي محمد عبد السلام التونسي، توفي بتلمسان 537هـ، لمزيد من المعلومات ينظر إلى ابن الزيات، التشوف، المصدر السابق، ص123.

[4] موسى المازوني، المصدر السابق، ص307. وكذا ابن الزيات، المصدر السابق، ص123.

[5] موسى المازوني، نفسه، ص350.

[6] إبراهيم قادري بوتشيش، المغرب الاندلس، المرجع السابق، ص161،

الحالي الذي يعاني من أزمات أخلاقية، يبقى هذا النموذج نبراسا يضيء طريق الإصلاح الاجتماعي، وهو درس لا يزال المغرب المعاصر بحاجة إليه في مواجهة التفكك والانحلال الأخلاقي.

3. أثر الخطاب الكرامي في أواسط مجتمع المغرب الاوسط

نظرا لأن المتصوفة ارتبطوا بالأوساط الفقيرة الضعيفة، وبالفئات المهمشة، والطبقات الميسورة، فقد ساهموا في التأثير على شريحة كبيرة من عامة مجتمع المغرب الأوسط بدرجة أولى،[1] حتى شغلت بال العامة لحد أنها كانت تنتقل بينهم، فعلى سبيل المثال؛ كانت أخبار أبي يعزي وكرماته يتناقلها الناس حتى كانت تصل الشيخ أبي مدين شعيب، وهو في خلوته[2]. وغيره من الأمثلة كما كان للخطاب أثر نفسيا مباشرا حتى يشعر كل مستمع أنه المقصود، مما يضفي تقويم وإصلاح الأخلاقي على مستوى العام ومستوى الخاص فأثمر خطاب الكرامة لمتصوفة المغرب الأوسط خاصة بظاهرة التوبة.[3]واستحضرت في هذا الشأن قصة تأديب الشيخ عبد السلام التونسي لرجل من أهل الدعارة من تلمسان، كان قد اشتكى منه الناس، فتاب على يديه وأصبح من كبار المتصوفة والأولياء.[4] وغيرها من القضايا التي أوجد لها المتصوفة حل، والتمس العامة لمشاكلهم حلول عند المتصوفة، ولم يقتصر تأثير الخطاب الكرامي الصوفي على عامة الناس من مجتمع المغرب الأوسط فحسب بل شمل حتى الفئة الخاصة، ولعل أبرز مثال نقدمه في ذلك المقام توبة ملك تلمسان يحي بن يغان الصنهاجي

[1] . بركات كمال، المرجع السابق، ص214.

[2] . الحفناوي، تعريف الخلف، المصدر السابق، ج2 ، ص183.

[3] . بركات كمال، المرجع السابق، ص ص 214،215.

[4] . نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي الافريقية في العهد الحفصي، منشورات كلية الأدب ،تونس ، ط1 ، 2001، ص330.

(ت537هـ/1142م) قال فيه ابن الزيات " ولما تاب ابن يوغان أقبل بهمته على الله وزهد في الدنيا وانتهى إلى أعلى مقامات الأولياء ، بإضافة إلى أن كرامات الأولياء عند وفاتهم كانت سبب في توبة الكثير ومراجعة أنفسهم [1].فكانت وفاة الشيخ أبو مدين سببا في توبة الشيخ أبو علي عمر الحباك التلمساني (ت613هـ/1216م).[2]

لذلك يمكن القول أن خطاب الكرامة بأسلوب مباشر أو غير مباشر أسهم بشكل فعال بالرتقاء بأخلاق مجتمع المغرب الأوسط في فترة حساسة من مساره التاريخي على المستوى العام أو الخاص.

المبحث الثاني: الوظيفة السياسية للخطاب الأخلاقي الصوفي في المغرب الأوسط

في إطار الفترة الزمنة المدروسة، شهدت المنطقة تنافسا سياسيا حاد بين الدويلات المغرب الزيانة، المرينية، الحفصية، نتج عنه حروب وفتن أثرت على استقرار المنطقة، وفي ظل هذه الأوضاع، كانت السلطة الحاكمة غالبا ما تقدم مصالحها الخاصة على حساب رعاياهم، مما دفع السكان إلى الالتفاف حول الشخصيات الصوفية باعتبارها ملاذا أخلاقيا واجتماعيا، فبرز دور الأولياء في الوسط السياسي، من خلال تدخلهم في حل بعض الخلافات بين السلاطين وخصومهم السياسيين، دول المغرب الإسلامي، والسعي لإبرام الصلح بين المتنازعين داخل الدولة الواحدة، وكذا وغيرها من القضايا، مستخدمين نفوذهم الروحية والأخلاقية في دعواتهم الإصلاحية[3].

1. الولي كوسيط بين المجتمع والسلطة: (رؤية إصلاحية، سياسية):

[1] . بركات كمال ،الخطاب الأخلاقي، المرجع نفسه، ص ص114.-115.

[2] . ابن قنفذ، انس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق ، ص141.

[3] عبيد بوداود، التيارات الصوفية في المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص22.

تميزت العلاقة بين الأولياء والسلطة في الغالب بالهدوء والتعاون،[1] وهو ما مكن الصوفي من لعب دور الوسيط السياسي[2]، فمن ذلك أن الإمام السنوسي[3]، ورغم عدم مخالطته لرجال السلطة ومختلف مؤسساتها، وتورعه في عدم قبول عطاياها، إلا أن شفقته على الناس، كانت تدفعه إلى السعي لدى السلطان لقضاء مصالحهم.

بينما كان أبو العباس أحمد بن الحسن رحيما بالناس، ساعيا في مصالحهم، ومما جاء في ذكره مآثره "...ثم ينصرف بكليته لذوي الحاجات فيصبرهم ويؤنسهم، ويغيث ملهوفهم ويكاتب ملك الوقت وأرباب الدول، فيقضي الله على يديه كثيرا من رد الظلامات وفك العناة.[4]

فمن خلال خطابهم الأخلاقي القائم على العدل والرحمة، نقل الأولياء معاناة المجتمع إلى الحكام مستخدمين أدوات روحية مؤثرة مثل الدعاء والكرامات.

كما حرص السلاطين على توطيد العلاقة مع الأولياء، فجسدوا نموذجا فريدا للتفاعل بين الروحية والسياسية، وبلغ هذا التأخي ذروته في عهدي يغمراسن بن زيان(633-.681هـ/1235 -1282م) وابنه أبي سعيد عثمان(681- 703هـ/1282 – 1303م)[5]، الذين أظهرا تبجيلا نادرا للأولياء الصالحين، فكانت مجالسهم عامرة بحضور العلماء والمتصوفة، فقد ورد أن الولي أبا إسحاق الخياط كان يتردد على يغمراسن سبعين مرة في اليوم ولا يرده السلطان، بل يصغي إلى شفاعته في حوائج الناس، والدفاع عن الرعية،[6]

2. خطاب الكرامة وتأثيره في القرارات السياسية:

[1] عبد الجليل العلمي، في أصول التصوف بالمغرب ق6هـ/12م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2014م ص115.

[2] عبيد بوداود، التيارات الصوفية، المرجع نفسه، ص22.

[3] من كبار علماء تلمسان وزهادها في عصره، عالما في التفسير والحديث، توفي تلمسان عن عمر 60 سنة في 895هـ/1489م، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص180.

[4] عبيد بوداود، التيارات الصوفية، المرجع السابق، ص31.

[5] بن زيان عبد الوادي، ثاني ملوك تلمسان، توفي (706هـ/1306م)، عادل نويهض، المصدر السابق، ص225.

[6] عبيد بوداود، التصوف في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص307. طاهر بونابي، المرجع السابق، ص203.

سجلت كتب المناقب والتراجم، أمثلة عديدة تظهر كيف حول الصوفية الخطاب الديني إلى أداة ضغط سياسي، سواء عبر الدعاء على الحكام الظالمين –بالموت أو المرض – أو عبر التهديد الرمزي –كتسليط قوى الجن [1]– ومن الأمثلة التي نسوقها في هذا الجانب، أن المصيبة التي لحقت بيوسف بن يعقوب الماريني، وهي القتل على يد أحد خصيانه، كانت نتيجة رفضه طلب الولي أبي عبد الرحمان الهزميري(ت706هـ/1306م)[2]،فك الحصار على تلمسان، فدعا عليه[3].

كما وقف الأولياء ضد محصلي الضرائب[4] الجائرين مدافعين عن الفقراء والمظلومين في المدن والقرى على حد سواء، ومن إحدى الكرامات المروية للولي عبد الله بن منصور الحوتي:" ذكر بعض الثقات أن من كرامة الولي أن سلطان تلمسان طلب رؤوس أهل البلد في السلف ورمى عليهم مالا عظيما، والناس في أمر عظيم، ثم إنهم ذهبوا للشيخ عبد الله بن منصور يشكون ما نزل بهم، ثم طلع للسلطان في المشور يطلبه العفو عن الناس مما رمى عليهم، فامتنع وقال له الشيخ: أفسدت بيت مال المسلمين، وتطلبهم السلف، والله ما يعطونك إلا الوجع. وركب على دبته وخرج فبنفس خروج الشيخ، أخذ السلطان الوجع، وصار يصيح بطني، بطني، ظهري، ظهري. فتبع وزير السلطان الشيخ، ورده... فلما بلغ السلطان وضع يده على بطنه ومسح فبرئ من حينه".[5]

استغلى الأولياء مكانتهم الدينية ليكونوا صوتا للمجتمع، مستخدمين "الشفاعة "كآلية لحل الأزمات ففي إحدى الروايات التي يذكرها ابن مريم نجد أن الوزير أحمد بن يعقوب عندما سجنه السلطان

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، واقع الازمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات أواخر ق 6 وبداية ق7، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1994م، 37.

[2] هو عبد الرحمان بن عبد الكريم بن عبد الواحد الهزميري، ولي الله وشيخ الطائفة الهزميرية، من كراماته إجابة الدعوة، والمكاشفة.ينظر التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق ج1، ص184.

[3]عبيد بوداود، التيارت الصوفية، المرجع السابق، ص28.

[4] سمية مزدور، المرجع السابق، ص150.

[5]عبيد بوداود، التيارت الصوفية، المرجع السابق، ص31.

أبو فارس[1] فكان يستغيث بالشيخين الصالحين حسن أبركان[2] وسيدي على المديوني[3] فرأ في المنام أن الشيخ أبركان شفع فيه إلى السلطان أبا فارس، وما كاد يستعلي النهار حتى نودي أين الوزير العبد الوادي فأطلق سراحه سالما[4]، وهو ما دل على بركة الشيخ وصلاحه[5]. وكذلك الولي الصالح صاحب الأخلاق الحميدة عبد الله الحوتي المغراوي، الذي أعتق رقبة رجل من الذبح الذي أمر بذبحه وتعليقه على باب القرماديين السلطان أبو عبد الله الثاني فصاح الشيخ ورعب كل الحاضرين وبعث الشيخ خدميه ليشفع في المسجون فأطلق السلطان سراح المسجون وعفى عنه بفضل شفاعة هذا الولي الصالح. لم تكن تروى فقط لإثبات الكرامات، بل أيضا لتأكيد دور الصوفية كحكماء يصلحون بين السلطة والشعب.[6]

3. الخطاب الأخلاقي كمنهج حكم:

كشفت المواقف التي جمعت بين الأولياء والسلاطين بالمغرب الأوسط في العهد الزياني عن حسن العلاقة بينهما، ويعكس ذلك مشاركة الأولياء في خدمة المصالح السياسية والدبلوماسية، التي حملت في طياتها رسالة أخلاقية، تذكر الحاكم بأن السلطة أمانة لا غلبة. وأحسن من تجسدت فيه هذه الصورة، هي تجربة العلامة الصوفي محمد بن مرزوق الذي كان نموذجا للوسط الروحي والسياسي، فكان جسرا

[1] أبو فارس: هو التوكل على الله أمير المؤمنين أبو فارس أحمد بن محمد بن أبي يحي زكريا796 . 837هـ أبقي الله وجوده وشكر جوده وشكر جوده بويع يوم الحضرة العلية يوم وفاة والده، رتب الأحوال وأعطى الأموال، ألف بين إخوته وكان حازما في إمارته، وهو من أشهر سلاطين الدولة الحفصية، ابن مريم، البستان، المصدر سابق، 172.

[2] هو محمد بن الحسن بن مخلوف يعرف بأبركان، فقيه مالكي، مجد، من أهل تلمسان توفي 868هـ/1463م، ينظر عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص14.

[3] عرف بابن أملال الفاسي، أبو عبد الله عرف بالإمام المحقق والفقيه المدرس المفتي. للمزيد من المعلومات ينظر التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص169.

[4] محمد بن مريم، البستان، المصدر السابق، ص ص،172 . 173.

[5] نفسه، ص ص271 . 266.

[6] ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص ص226 . 271.

بين الحكام والمحكومين، وبين الممالك الإسلامية والمحيط المسيحي. ذكر ابن مرزوق في كتابه أنه كان في خدمة السلطان المريني أبي الحسن،[1] الذي ولاه الخطابة، وأرسله إلى الأندلس ثم إلى ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر من أجل الصلح وإنقاذ الأسرى في واقعة الطريق سنة (741هـ/1340م) التي انهزم فيها المرنيون، ونجح محمد بن مرزوق في هذه المهمة.[2]

كما كان لابن مرزوق حضورا في البلاط الزياني، حيث كلفه السلطان الزياني بمهمة الصلح والاقناع لإبعاد أبي سعيد عثمان إلى أبي الحسن المريني (ت759هـ/1357م) عندما أراد مهاجمة تلمسان، أعراض عن بلد تلمسان، وحفاظا على أرواح أهلها.[3] ولم تقتصر خدمته على ذلك، بل تقرب منه سلطان غرناطة أبو الحجاج يوسف أنذك، وعينه مدرسا في المدرسة البلاطية، ليدرس التصوف كمنهج أخلاقي يصلح النفوس ويهذب السلطة.[4]

كما كان الولي الصالح عبد الله بن محمد بن عمر عبادة القلعي (ت669هـ/1270م)، ذا وجاهة في بجاية حيث كان جموع الأمراء حول أمور المجتمع لا تنعقد ألا بحضوره لأنه هو لسان الناس فيها.[5]

بذلك مثلت الصوفية في المغرب الأوسط نموذجا فريدا للتدخل السياسي القائم على الأخلاق، مؤكدة أن الإصلاح لا يكون بالسلطة وحدها، بل بالحكمة والعدل الذي يجسده "الولي"، فبينما كان السلاطين يخوضون معارك السياسة، كان الأولياء يخضون معارك الضمير، فمثلوا حراسا للقيم في زمن كادت

[1] أبو الحسن عنان: هو المتوكل على الله فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، يكنى أبا عنان، ولد بالمدينة البيضاء في 729هـ، امه ام ولد اسمها شمس الضحى، أحد سلاطين الدولة المرينية، كان فارسا شهما شجاعا بطلا يقوم في الحرب مقام جنده، حسن الثقافة كان فقيها يناظر العلماء، عارفا بالمنطق وأصول الدين، مات مقتولا ،759هـ/1454، وعمره 30سنة دفن بجامع المدينة البيضاء ن دامت دولته 9اعوام و9أشهر، ينظر إسماعيل ابن الأحمر، روض النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م، ص ص27 . 28.

[2] محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص305. ومحمد بن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص341.

[3] نفسه

[4] ابن مرزوق، نفسه، ص 307. وابن مريم، نفسه، ص341.

[5] الغبريني، المصدر السابق، ص66. الطاهر بوباني، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص206.

المطامع أن تطمس معالمه. فكانت الدولة الزيانية مثالا نادرا لدولة لم تفصل بين العرش والخلوة، بل جعلت من نور الأولياء شمعة تضيء دروب الحكم.

المبحث الثالث: الخطاب الأخلاقي الصوفي وتأثيراته على الحياة الدينية والتعليمية:

1- الخطاب الأخلاقي الصوفي وتأثيراته على الحياة الدينية:

عرفت الدولة الزيانية خلال الفترة المدروسة انحرافات عن المنهج الديني الحقيقي، وظهور البدع التي أدت إلى فساد المجتمع ، وبذلك ظهرت دعوات إصلاحية في المنظومة الدينية للدولة.

أ- الدعوة الى الإصلاح ومحاربة البدع:

يمثل التصوف تيارا روحيا مهما في التراث الإسلامي، ارتبط بتربية النفس وتعميق الإخلاص في العبادة، غير أنه لم يسلم من الانحرافات والبدع التي شوهت صورته، مما دفع المتصوفة المصلحين والعلماء إلى الدعوة لتقويمه ورده إلى أصوله الشرعية.

اعتمد رواد النخبة الصوفية في مواجهة عناصر البدعة أسلوبا إصلاحيا، جمعوا فيه بين معالجة ظاهرة البدعة، وذلك بتوضيح أضرارها على الشريعة والحقيقة وتقديم الفتوى والحلول المناسبة للحد منها، وزجر المنتحلين لها وفضحهم أمام الناس.[1]

فمن البدع التي كانت سائدة في تلك الفترة يمكن تميز بين بدع البوادي التي قد تمحورت حول حلقات الرقص والبكاء، بينما مجتمع المدني عرف انتشار لظاهرة الحروز وقراءة كتب الشعوذة والخرافات، ولذلك نهى نصر الزواوي في تلمسان عن "كتابة القرآن الكريم في الحروز بعد أن عثر على حرز بخط يده في المزبلة يتضمن آيات قرآنية، ويبدوا أن دعوات الزواوي قد لقيت صدى لها في المجتمع التلمساني"[2]، وذكر في ذلك الونشريسي رواية "عن ظاهرة التقاط الكاغد عن الطريق وتقبيله ثم وضعه في موضع

[1] فيلالي، الحركة الصوفية، المرجع السابق ص 480.

[2] نفسه، ص ص 481-482.

الطهارة".[1] و بذلك "انصب اهتمام المتصوفة بتلمسان على محاربة كتب الشعوذة والخرافات، وذهبوا إلى حد تحريم الشهادة والامامة على كل من يرويها، ولاسيما كتب الكيمياء وعلم أسرار الحروف التي ولع بها الفقراء ويمثل هذا الاتجاه ابن مرزوق قائلا: أن المتعلق بعلم الكيمياء " قليل الدين قليل المروءة ، واسع دائرة الوهم، بعيد عن دائرة الفهم."[2] ولم يقتصر الموقف على محاربة المشعوذين والمشتغلين بالكيمياء وعلم أسرار الحروف، بل شمل كذلك القائلين بالحلول والاتحاد".[3]

كان تأثير هذه البدع على عقيدة المسلمين كبيرا، في المجتمع المغربي خاصة المغرب الأوسط حتى أن بعض أهل قرية أنكروا على إمامهم الصلاة بهم لما ينتحل من البدع، ذكر الونشريسي نازلة بخصوص ذلك في قوله:" ... وفي قرية زاوية يجتمعون فيها بعض من أصحاب القرية ليلة الجمع وليلة الاثنين والإمام معهم يستفتحون بعشرة من القرآن... فإذا فرغوا منه يستفتح المداح وأصحابه دائرون عليه ويضربون الدف ويقولون معه، والامام يمدح مع المداحين ويرقص مع الذي رقص منهم..."

فكان جواب ذلك أن ذلك تلاعب بالدين، وليس من أفعال عباد الله المهتدين.[4]

ومن البدع التي انتشرت في أواسط المغرب الأوسط، بيع الركب واللجم وقوائم السيوف الفاخرة ونحو ذلك مما هو محلى بأنواع من الذهب الفضة.[5] وقد اعترض ذلك الفقيه محمد العقباني، وحث الناس على عدم بيعها في الأسواق.[6]

---

[1] الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي ت914هـ/1508م، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والاندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف الإسلامية للمملكة المغربية، 1981م، ج2،ص 490.

[2] أحمد زروق ، عدة المريد الصادق، تح الصادق بن عبد الرحمان الغرياني، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 2006م، ص 489. وفيلالي ، الحركة الصوفية، المرجع السابق، ص 482.

[3] نفسه، ص483.

[4] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، ج1، ص160.

[5] محمود بوعياد، جوانب من الحياة في الغرب الأوسط في القرن9هـ -15م، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982م، ص44.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص224.

ب- **محاربة الزنا:**

تجاوز بعض الناس النموذج السلوكي بخرقهم الإطار الشرعي الذي رسمه لنا الدين الإسلامي، لاسيما منها العلاقة بين الجنسين الرجل والمرأة. وورد في هذا السياق الكثير من الفتاوى التي معظمها تعالج مشكلة الأنكحة الفاسدة وزنا المحارم والغصب، وغيرها من الأمور التي حرمها الإسلام.

"خاصة المترفين من أهل المدن، كانوا أبصر بطرق الفسق ومذاهبه، والمجاهرة به وبدواعيه حتى بين الأقارب والارحام والمحارم".[1] مما تسبب في مشاكل اجتماعية خطيرة للأسر، كما خالفت فئة التجار الميسورة الشرع، التي امتلكت العديد من الخدم والجواري، قد عرفت عملية إسقاط الأجنة، وهي محرمة شرعا، نتيجة المعاشرة غير المشروعة، مع الاماء، فقد كان يفرض عليها سيدها تناول بعض الادوية لإسقاط الجنين، وهذا ما أشار إليه الونشريسي بقوله: "كما يفضل سفلة التجار في سقي الخدم ...لتنقطع الولادة"[2].

ج. **مواجهة السحر والشعوذة:**

كان متعارف عليه منذ زمن بعيد و وجدت في المغرب الإسلامي، بما فيه المغرب الأوسط، واتفق الفقهاء والصلحاء على حرمة وبدعة هذا السحر[3] مهما تعدد أصنافه واختلفت فمنهم من يتعاطون خط الرمل فيرسمون على الأرض أشكالا من التراب وكل رسم يؤدى لهم بحسب الموارد المتوفرة للشخص ووفقا للعادة.[4] ومن ثم فإن ابن رشد نهى عن الضرب في التراب وما يفعله أهل القرعة.[5] ومنهم العرافة الذين يجعلون الماء في قدر لماع ويرمون فيه قطرة من الزيت، ويزعمون أنهم يرون فيه كما يرون في المرآة ومنهم

---

[1] الونشريسي، المعيار ، المصدر السابق، ج4، ص 387.

[2] نفسه، ص236.

[3] عرف ابن خلدون السحر بأنه علم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بها على التأثير في عالم العناصر إما بغير معين أو معين من الأمور السماوية وسطروا صحيفة لعلومهم ليتدارسها، ينظر ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص 431 – 432.

[4] الوزان، المصدر السابق، ج1، ص262.

[5] أبو القاسم بن أحمد البلوي البرزلي، جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكم، تح محمد الحبيب الهلية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج6، 2002م، ص217.

من يستخوذ الشياطين على أجسادهن للإجابة على السائلين، وتجد الكثير من الناس يثقون في هؤلاء المشعوذين وينفقون عليهم الأموال الطائلة.[1]

والجدير بالذكر أن المتصوفة والأولياء لم يتساهلوا مع هذه الطائفة فقد أورد الونشريسي عن نازلة تمنع بيع وقراءة كتب الخرافات والمشعوذين لما لها من تأثير على عقيدة المسلم.[2]

3. الخطاب الأخلاقي الصوفي وتأثيراته التعلمية والتربوية:

يعد التعليم ركيزة أساسية في تطور المجتمعات فكريا وعلميا وسلوكيا[3]، وقد شكل أحد أبرز المجلات التي برز فيها النشاط الصوفي في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين وقد ارتبط اهتمام الصوفية بالتعليم بعوامل متعددة [4]منها:

. رغبتهم في تجاوز التوجهات الرسمية للدولة التي حولت التعليم إلى أداة لخدمة أغراض سياسية ومذهبية، فضلا عن سعيهم لنشر المعرفة بين جميع الفئات الاجتماعية، بمن فيهم غير القادرين ماليا[5].

. خضع التعليم في المغرب الأوسط لسيطرة الدولة وتوجيهاتها ، حيث عارض الحكام نمطا تعليميا يتوافق مع أفكارهم ومصالحهم ، فعلى سبيل المثال ، فرض المرابطون و الحماديون دراسة الفقه المالكي ومنعوا تدريس الفلسفة وعلم الكلام [6]،بينما شجع الموحدون دراسة كتاب "التوحيد" لابن تومرت[7]وتفسير

---

[1] الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 133.

[2] الونشريسي، المعيار، ج6، ص70.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص330.

[4] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص225.

[5] نفسه، ص230

[6] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبط وتقديم محمد سعيد عريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1949م، ص ص172 - 173.

[7] قسم ابن تومرت كتابه التوحيد إلى سبعة أجزاء، بحسب أيام الأسبوع، وكان يقوم بتدريسه للطلبة الذين قسمهم أفوج كل فوج يتكون من عشرة أفراد، وكلف نقيبا بتعليمهم، وسن قراءة الحزب القرآني في كل صباح ومساء، وبعده عمل عبد المؤمن(524 _558هـ) على نشر هذه الطريقة في كافة أنحاء المغرب بعد أن دان له. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص333. الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص229.

القرآن وتأويله والفلسفة والمنطق،[1] مع التركيز على الحديث وتقريب طلبته لأجهزة الدولة[2]، وقد أدى هذا التوجيه الرسمي إلى تقييد الحرية الفكرية وتحويل التعليم إلى وسيلة لخدمة السلطة ، مما دفع الصوفية إلى تبني دور إصلاحي في المجال التعليمي.[3]

. اتجه التعليم إلى وجهة وظيفية جردت التعليم من رسالته في نشر العلم وإرساء الأخلاق الفاضلة.[4]

أ. **الإصلاح الصوفي في التعليم:**

سعى المتصوفة إلى تجاوز الطابع الوظيفي للتعليم الذي حوله إلى وسيلة للوصول إلى المناصب الإدارية،[5] واعتبروه أداة لتربية الفرد روحيا وأخلاقيا. وقد تجلى إصلاحهم التعليمي من خلال:

- نجح الصوفية في نشر الثقافة الدينية في المجتمع خاصة علم الحديث والفقه[6].
- انتقد الصوفية اقتصار التعليم على بعض العلوم وتصدر لتعميم التعليم لبقية العلوم خاصة النقلية منها واللسانية والتصوف.[7]
- القضاء على الفوارق بإتاحة التعليم للجميع وبالتالي القضاء على الجهل والأمية، وانتشار المعرفة خارج النخبة الاجتماعية وتحرر التعليم من هيمنة الدولة وحصرها مما ساهم في إثراء الحركة العلمية[8].

اتخذ منهج التعليم أشكالا تعلمية متنوعة:

---

[1] ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987م، ص351. والطاهر بونابي، المرجع السابق، ص229.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص، ص280،279.

[3] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص229.

[4] نفسه، ص228.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص69 وما يليها.

[6] يحي بن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ص ص117- .118.

[7] محمد بن أحمد شقرون، مظاهر الثقافة المغربية من ق 13 . 15هـ، مطبعة الرسالة، الرباط، 1970م، ص54.

[8] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق ص 94 . 265.

- "تعليم الصبيان: اهتموا بتعليم الأطفال فئة السبع سنوات[1] القرآن الكريم في الكتاتيب [2]دون المساجد، وكان مبدأ عدم قبول الأجرة شائعا لدي الصوفية إلا القلة الذين يقبلون الأجور من الصبيان الميسورة أحوالهم".[3]
- تعليم الطلبة الشباب: قدموا لهم علوما متقدمة في الفقه والتصوف واللغة[4]،في المساجد والزوايا والربطات ،في حلقات تعرف بالميعاد[5] من أبرز من قام بهذه المهمة في القرن السادس، أبو الفضل النحوي ت513هـ/1119م[6] درس الحديث وأصول الدين، وكذلك أبو زكريا يحي الزواوي اختص بتدريس الفقه والحديث بالجامع الأعظم ببجاية،[7] كما درس أبو مدين شعيب التصوف تعليما تربويا بمسجد بجاية،[8] وفي تلمسان اشتهر أبي إسحاق إبراهيم التنسى (ت680هـ/1281م) بتدريس الحديث وآخرون.[9]أم في القرن السابع الهجري كان لاستقرار صوفية الأندلس أثر كبير في التعليم وذلك بإدخال أسلوبهم التعليمي، المتمثل في تقديم العربية والشعر على بقية العلوم الأخرى، ثم القرآن والحساب ثم أصول الدين والفقه والجدل ..."[10] مع

[1] أحمد بن أبي جمعة المغراوي(ت920هـ/1514م)، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تح أحمد جلول بدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د س ن)، ص47.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص134.

[3] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص 230.

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص94

[5] هو توقيت الدرس المتفق عليه بين الشيخ والطلبة وهو بمثابة مجلس الدرس، والحصة الدرس، الغبريني، نفسه، ص137. وأحمد الشتوي، مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة والأندلس وثقافتهم بين القرنين 6-12هـ، دكتوراه، كلية الآداب والعلوم إنسانية، جامعة تونس، 1988م، ج1، ص102.

[6] هو يوسف بن محمد، أبو الفضل المعروف بابن النحوي، توزري الأصل من تلمسان، نحوي فقيه، عارف بأصول الدين، صاحب المنفرجة، توفي عن عمر 80عام بقلعة بني حماد. عادل نويهض، المصدر السابق، ص329.

[7] الغبريني، المصدر السابق، ص ص136-137. وطاهر بونابي التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص 231.

[8] ابن قنفذ، انس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص17.

[9] يحي ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ج1، ص103.

[10] ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة، المصدر السابق، ص234 . 235. طاهر بونابي، المرجع السابق، ص232

مراعاة القدرات العقلية للطلبة،[1] وفي نهاية المراحل الدراسية كان المتمدرسون يمنحون إجازات علمية يمنحها لهم أساتذتهم ، تمكنهم من التوظيف في المستقبل.[2]

- التعليم الشعبي (العوام): استخدموه لنشر الوعي الديني والأخلاقي بين العامة لرفع مستوى المعرفة الدينية،[3] من خلال مجالس الذكر والوعظ في المساجد وقد عرفت إقبالا كبيرا وتهافت على الدروس مما ساهم في تكثيف الدروس، وواصل المتصوفة حملة محاربة الجهل والأمية إلى داخل السجون فقد استطاع أبو العباس الخياط عندما دخل السجن في أثناء الحصار المريني على تلمسان من تعليم سبعمائة سجين القراءة والكتابة والصلاة وقراءة القرآن.[4] فكان المتصوفة إلى جانب قيامهم بالوظائف التعلمية في المساجد والزوايا والرباطات كانوا يعملون على دراسة الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تعيشها البلاد والدعوة إلى التغيير ونشر أفكارهم.[5]

يمكن القول إن الصوفية كان لهم دورا محوريا في إصلاح التعليم بالمغرب الأوسط، حيث تجاوزوا النموذج الرسمي المقيد، وسعوا إلى تعميم المعرفة وتنويعها. وقد مثّل نهجهم ردًّا على التوجيه السياسي للتعليم، مع التركيز على قيمه الروحية والاجتماعية، مما أسهم في حفظ التراث العلمي وتنمية الوعي الاجتماعي.

ب. مآثر الصوفية في العلوم العقلية والنقلية:

برزت إسهامات الصوفية في المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة كإحدى أبرز الظواهر الفكرية آنذاك، حيث امتزجت روحانية التصوف بعمق البحث العلمي، فكانوا بحق جسرا بين العلوم الشرعية والعقلية، يجمعون بين تهذيب النفس وإثراء العقل.

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص94.

[2] نفسه، ص153.الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص234.

[3] عبد العزيز فيلالي، تلمسان، المرجع السابق، ج2، ص331.

[4] طاهر بونابي المرجع السابق، ص ص235. 236.

[5] نفسه، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص ص235 - 237.

1. العلوم النقلية

– **علوم القرآن والتفسير**: اتخذ الصوفية من القرآن الكريم منهجا تربويا وعلميا، فكان حفظه وتدريسه وتفسيره في صميم نشاطهم التعليمي، حيث انتشرت حلقاتهم في الكتاتيب والمساجد والزوايا، يعلمون القراءات ويشرحون التفاسير[1]، وقد برز في هذا المضمار علماء كبار، مثل:

إبراهيم بن يسول الإشبيلي[2] وأبي إسحاق الطيار في تلمسان، أبو يوسف سيف الصنهاجي شيخ مشايخ القراء في تلمسان، وأبي محمد بن مرزوق الذي امتاز بحسن تلاوته. أبو الحسن الشنتري في بجاية الذي تفوقت في هذا الفن، فكانت بجاية قبلة لطلبة العلم[3]. جعل الصوفية من القرآن مصدرا للتشريع، بل منهجا لترويض النفس وتزكيتها فجمعوا بين العلم والعمل.

– **علم الحديث:**

شهد المغرب الأوسط نهضة ضخمة في علم الحديث بفضل جهود الصوفية[4]، الذين لم يكتفوا بنقل الاسانيد، بل اجتهدوا في تمحيصها واستنباط الأحكام منها[5]. وقد أسهم تشجيع الدولة الموحدية لهذا العلم في ازدهاره[6]، فانتشرت أمهات الكتب مثل: موطأ مالك بن أنس (ت179هـ/892م)، صحيح البخاري (ت256هـ/869م)، وصحيح مسلم (ت261هـ/874م). ومن أبرز من أفل نجمه في هذا الفن نذكر:

أبو زكريا يحيى الزواوي الذي ألقى دروس الحديث بالجامع الأعظم. وأبو نصر فتح الله بن عبد الله (ت652 هـ/1254م) الذي اجتمع حوله طلاب الأندلس والمغرب لقوة سنده في رواية البخاري.

---

[1] الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص283.وعبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص، ص417، 420.

[2] ابن الزيات، التشوف، المصدر السابق، ص287.

[3] الطاهر بونابي التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص238.

[4] عبد العزيز فيلالي، تلمسان، المرجع السابق، ج2، ص 424.

[5] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص240.

[6] عبد الواحد المراكشي. المعجب، المصدر السابق، ص279.

وأبو القاسم بن عجلان القيسي[1]وأبو أحمد المعافري[2]، الذين جمعوا بين التصوف والاشتغال بالحديث. لقد تجاوز دور الصوفية مجرد النقل إلى فتح باب الاجتهاد، فألفوا كتبا مثل "الأحكام الكبرى "و" الأحكام الصغرى" مما يدل على عمق نظرتهم واتساع مداركهم.[3]

– **الفقه (الفقه المالكي)**: كان للصوفية دور محوري في ترسيخ المذهب المالكي، حيث اهتموا بتدريس كتبه الأساسية، مثل: «الموطأ " للإمام مالك، "المدونة "لابن سحنون، " التهذيب " لأبي سعيد البرادعي. ومن أبرز أعلامه:

أبو يعقوب الزواوي المنقلاتي (ت689 هـ/1290م)[4] الذي عرف بمجالسه الفقية التي ركزت على مقارنة النصوص وبيان وجه الاختلاف. وأحمد عثمان المباني (ت644 هـ/1246م) الذي اشتهر بتدريس كتاب "التلقين" لعبد الوهاب البغدادي[5].

لقد جمع الصوفية بين الفقه والتصوف، فكان فقههم سلوكيا يهدف إلى تنظيم حياة الفرد الدينية والاجتماعية، مع التركيز على الجانب الأخلاقي والروحي.[6]

الذي جعل من متصوفة المغرب الأوسط بحق أعلام ساطعة في سماء العلم، جمعوا بين العمق الشرعي والسمو الروحي، فتركوا إرثا علميا ضخما ما زال يشهد لهم بالريادة، لقد أثبتوا أن التصوف ليس انعزالا عن العالم، بل هو انشغال ببناء الإنسان علميا وأخلاقيا، مما جعلهم روادا في ميادين العلم والتربية معا.

---

[1] عرف بالورع والزهد والفضل كان محدثا وفقيها نحويا، توفي بتونس سنة 678هـ.التنبكتي، كفاية المحتاج المصدر السابق، ج1، ص24.

[2] أبو العباس، فقيه مالكي، نحوي، لغوي، نشأ بقلعة بني حماد، ثم انتقل إلى بجاية، أخذ العلم عن أبو زكريا الزواوي توفي ق7هـ. عادل نويهض، المصدر السابقً، 307.

[3] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص74. والطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص241.

[4] من خيرة فقهاء بجاية، لقب بالإمام الحافظ أبو الحسن، عمدة قراء بجاية، له فتاوي في المازونية والمعيار. التنبكتي، كفاية المحتاج المصدر السابق، ج1، ص274.

[5] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص ص243-244.

[6] نفسه، ص ص 244-246.

- **العلوم اللسانية:**

يرى ابن خلدون أن ازدهار علوم النحو واللغة والبيان مرتبط بتقدم العمران[1]، وقد تجلى هذا الارتباط بوضوح في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، حيث شهدت هذه العلوم نهضة كبيرة بحكم ازدهار العمران وانجذاب العلماء والفقهاء إليها وبفضل جهود الصوفية، ويمكن تفسير هذا الاهتمام بعاملين رئيسيين:

الأول: الحاجة إلى فهم القرآن وتفسيره: إذا كان القرآن الكريم محورا لدراستهم، فسعوا إلى اتقان اللغة العربية للوصول إلى دقائق معانيه وأسراره، خاصة أن معظمهم جمع بين علوم الشرعية والتصوف[2].

الثانيا: السعي لتعريب مجتمع المغرب الأوسط حيث عمل الصوفية على ترسيخ اللغة العربية كلغة للعلم والثقافة، بعيدا عن الازدواج اللغوي الذي كان سائدا بين العربية والبربرية،[3] وقد تجلى ذلك في حلقهم العلمية التي كانت تقام في مساجد بجاية وتلمسان، والتي كانت تدرس بالعربية الفصيحة، حتى في المناطق ذات الأغلبية البربرية[4]. ومن أبرز علماء الصوفية الذين أثروا في هذا المجال: أبو محمد عبد الحق الاشبيلي، صاحب كتاب "الحاوي في اللغة" الذي يعد مرجعا مهما في علوم العربية. أبو الحسن النفزي (ت624هـ/1226م) الذي برع في النحو وعلوم اللغة. وأبو عبد الله الحسن بن ميمون القلعي (ت673هـ/1274م)، الذي كانت مجالسه من أشهر حلقات الدرس في بجاية، حيث كان يدرس كتبا مثل "كتاب سيبويه" و"الإيضاح " لأبي الفارسي، وألف هو كتابا في" الموضح في علوم النحو"[5].

لقد حول الصوفية اللغة من أداة للتواصل إلى جسر يربط بين الظاهر والباطن، بين الشريعة والحقيقة، فكانت دراستهم لها دراسة تتجاوز القواعد إلى الأسرار والبلاغة.

---

[1] ابن خلدون المقدمة، المصدر السابق، ص ص 339 . 342. نقلا عن الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص246.

[2] طاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المصدر السابق، ص ص 246.

[3] نفسه، ص ص 245 . 246. وعبد العزيز فيلالي، تلمسان، المرجع السابق،ج2، ص440.

[4] نفسه ، ص247. الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص، ص 136 ،216142.

[5] الطاهر بونابي، نفسه، ص247.

– **الأدب بين الشعر والنثر والخطاب الصوفي:** عرف ابن خلدون الأدب بأنه يشمل الشعر المنظوم والنثر المرسل والمسجوع، وقد أبدع الصوفية في كلاهما: [1]

- **النثر:** عرف فن النثر تطور ملحوظ خلال القرن السادس الهجري، فقد غلب على الحقبة طابع الرسائل بمختلف أنواعها بإضافة إلى فن الخطابة،[2] وقد ساهمت في ذلك التطور مجموعة من العوامل والتي من بينها:

– اتساع الرقعة الجغرافية للدولة الموحدية آنذاك، تطلب الاتصال الدائم بين الخلفاء وولاتهم والرعاية[3].

– الضرورة الدينية نظر لحاجة رواد العلوم العقلية إلى اصال أفكارهم للمجتمع، التي ضمنوها في شكل قالب نثري.

– هجرة الأدباء الأندلسيين إلى المغرب الأوسط نتيجة اضطراب الأوضاع بالأندلس في القرن السابع الهجري، واستقروا ببجاية وتلمسان وحظوا بالاهتمام مما سمح لهم بالمساهمة في إثراء الحركة الأدبية بالمنطقة، من خلال نقل سمات الأدب الأندلسي وأعطى هذا التمازج المغربي والأندلسي صورة رائعة الجمال الفني والذوق الأدبي الرفيع[4].

ومن هذا المنطلق برز خلال الفترة المدروسة متصوفة جمعوا بين الأدب بمختلفه منهم: أبو إسحاق إبراهيم الزواوي كان شاعرا وأديبا وغيره[5]. أقحم الصوفية الشعر في النثر فظهر نوع جديد من الأدب "النثر المسجع" الذي تعددت أغراضه ك: النصح، العتاب، التشوق، المناجاة...[6] فكان يلتزم في كل

---

[1] ابن خلدون، مقدمة، المصدر السابق، ص 351، نقلا عن الطاهر بونابي، المصدر السابق، ص248.

[2] الطاهر بونابي، نفسه، ص248.

[3] نفسه

[4] نفسه، ص249.

[5] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص182. والطاهر بونابي، نفسه، ص249.

[6]. محمد توات، المرجع السابق، ص281.

كلمتين بقافية مثال ذلك: من كتاباتهم في وثيقة ابتياع سفينة قال فيها: "اشترى فلان السفينة الفلانية، بجميع ما يحتاج إليها جارية وراسية".[1]

- **الشعر:**

عرف هو الأخر موجة تهافت من قبل الصوفية الذي كان خير وسيلة لإيصال أحاسيسهم الدينية وزهدهم وتجاربهم الصوفية في قصائدهم بمختلف أغراضه بين الدعوة إلى ترك الدنيا والزهد فيها والتذكير بالموت والدعوة إلى الآخرة [2]مثال ذلك:

إليك الأبيات مشكولة، كل بيتين جنب بعض:

فَيَا رَاحِلًا فِي بَغِيَّةِ الْحَقِّ إِنَّهُ يُنَادِيكَ مِنْ قُرْبٍ وَأَنْتَ عَلَى بَعْدِ

أَعَنْدِي أَنِّي لَا أَرَى غَيْرَ خَالِقِي وَلَوْلَا قُصُورُ الْخَلْقِ بَحَثْتُ بِمَا عِنْدِي

فَسُبْحَانَ مَن يَدْنُو إِلَيْنَا بِذَاتِهِ فَنُدْرِكُهُ مِنْ غَيْرِ رَسْمٍ وَلَا حَدِّ

تَرَاهُ عَيَانًا بِالْقُلُوبِ وَإِنَّهُ لَأَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِلَى الْعَبْدِ[3].

بلغ شعر الزهد أوجه في القرن السابع الهجري على أيدي شعراء صوفية من بينهم أبوعبد الرحمان الفزازي (ت627هـ/1229م) استقر في تلمسان، وأبو عبد الله محمد بن صالح الكناني (ت699هـ/1299م) استقر ي بجاية، بعض نماذج من أشعار الفترة:

إليك البيتين مشكولين وجنب بعض:

جُعِلَتْ كِتَابَ رَبِّي لِي بَضَاعَةٌ فَكَيْفَ أَخَافُ فَقْرًا وَإِضَاعَةً

وَأَعْدَدْتُ الْقَنَاعَةَ رَأْسَ مَالٍ وَهَلْ شَيْءٌ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ[4]

وفي الحث على العمل للآخرة:

[1] . الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 86.

[2] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص 254.

[3] موسى المازوني، صلحاء الشلف، المصدر السابق،347.

[4] الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص255.

إليك البيتين مشكولين وجنب بعض:

الْخَبَرُ أَصْدَقُ فِي الْمَرَأَى مِنَ الْخَبَرِ فَمَهْدُ الْعُذْرِ لَيْسَ الْعَيْنُ كَالْأَثَرِ

وَاعْمَلْ لِلأُخْرَى وَلَا تَبْخَلْ بِمَكْرَمَةٍ فَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى حَدٍّ إِلَى قَدَرِ [1]

ويمكن تميز الشعر إلى:

- **شعر التصوف:**

يعد الشعر الصوفي تجليات صادقا لأحوال الصوفية و مواجدهم وهو حصيلة تجاربهم الروحية العميقة، وينقسم هذا الشعر الى نوعين رئيسيين:

أ . الشعر الصوفي الفلسفي: يتميز هذا النوع باعتماده على الرموز والإشارات، حيث يصوغ الصوفية تجاربهم في قوالب بيانية بديعية، تميل إلى الإيحاء والغموض، وقد غلبت عليهم نزعة الحب الإلهي فاستعاروا ألفاظ الغزل للتعبير عن حقائقهم الروحية ومما أضفى على شعرهم جمالا أخاذا وعمقا فلسفيا. ومن بين رواد هذا الاتجاه أبو محمد الربيع البجائي (ت675هـ/1276م) وابن الخميس التلمساني (ت708هـ/1308م)[2]، حيث حملت قصائدهم معاني جوهرية تفيض بالشوق والوجد، وقد حافظ هذا الشعر على رونقه الجمالي من حيث البيان والبديع، دون أن يكون غرضه الصنعة الشعرية، بل كان انعكاسا للممارسة الروحية والشهود القلبي، مما جعله مرجعا أساسيا لفهم اتجاهات الصوفية الفلسفية.[3]

ب. الشعر الصوفي السني: وهو على الخلاف من سابقه، يتميز الشعر الصوفي السني ببساطة ألفاظه ووضوح معانيه، بعيدا عن الإفراط في الرموز أو التعقيد الفلسفي، فهو يعبر عن المجاهدات والأوراد والأفكار الصوفية بأسلوب مباشر، يسهل تداوله بين العامة والخاصة. ومن أعلام هذا المنحى في القرنين

[1] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص97.

[2] هو محمد عمر بن محمد بن عمر الحجري الرعيني الشهير بابن الخميس التلمساني، شاعر فحل، عالم بالعربية، ولد وترعرع بتلمسان. عادل نويهض، المصدر السابق، ص135.

[3] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص ص256 -261.

السادس والسابع الهجريين أبو مدين شعيب وأبو عبد الله ابن الحجاج التلمساني وأبو إبراهيم الزواوي، حيث أصبحت قصائدهم مصدر إلهام للناس في استشعار الحضور الإلهي.[1]

2 . العلوم العقلية:

خلال الفترة المحدد كان للصوفية في المغرب الأوسط، دور محدود في مجال العلوم العقلية والطبيعية مقارنة باهتمامهم الكبير بالعلوم الشرعية واللغوية والأدبية. ورغم هذا الدور المحدود، فقد ساهموا في بعض المجالات العلمية التي تخدم احتياجات المجتمع الدينية والدنيوية منها:

- **علم المنطق:**

كان علم المنطق من العلوم المثيرة للجدل قبل العهد الموحدي، حيث تصد له العديد من الفقهاء وحظروا تعليمه معتبرينه من العلوم الضارة التي يجب الابتعاد عنها، ومع ذلك نجح الإمام الغزالي في توظيف المنطق لخدمة الفقه ، مما أدى إلى قبول تدريسه بشكل محدود ،انتقلت منهجية الغزالي إلى المغرب عبر المهدي ابن تومرت (ت524هـ/1129م)،[2] لكن انتشار المنطق والجدل لم يتحقق بشكل شامل في المغرب الأوسط إلا في القرن السابع الهجري، ورغم ذلك فإن اهتمام الصوفية بهذا العلم كان قليل، ومن أبرز الصوفية الذين اهتموا بعلم المنطق في القرن السابع الهجري: أبو الحسن الحرالي الذي كان من أعلم الناس بالمنطق في بجاية، إسحاق إبراهيم ابن الخطيب وآخرون .[3]

- **العلوم العددية:**

شملت العلوم العددية في تلك الفترة معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف والتوالي والتضعيف، وتضمنت فروعا مثل علم الحساب والهندسة، كانت اسهامات المتصوفة في هذه العلوم محدودة أيضا، حيث اقتصرت بشكل رئيسي على علم الحساب والفرائض وذلك للحاجة الماس لهم ومن أبرز المساهمين

[1] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق ، ص ص262 . 263.

[2] عبد المجيد النجار، المهدي ابن تومرت حياته وأثاره وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب الإسلامي بيروت، 1983م، ص ص 470 . 471.

[3] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص266.

أبو محمد عبد الله البجائي في علم الحساب، أبو الحسن الحرالي الذي ألف كتاب "الوافي في علم الفرائض"، ولكون أغلب التيارات الصوفية المتواجدة في المغرب الأوسط سنية، فقد كان اهتمام بالعلوم العقلية قليل مقارنة بإسهاماتهم في العلوم النقلية[1].

3 .العلاقة بين المتصوفة والفقهاء:

اتسمت العلاقة بين المتصوفة والفقهاء في عموم عهد الدولة الزيانية بالود والاحترام المتبادل، على الرغم من بعض التوترات العابرة التي ظهرت بين الفينة والأخرى، التي ارتبطت بأنكار فريق من الفقهاء لكرامات الأولياء والاقبال الشعبي الواسع عليهم، ومع ذلك فقد حظي المتصوفة بمكانة متميزة في نظر الفقهاء، حيث ساد بين الطرفين علاقات إنسانية قائمة على التقدير المتبادل. وتجسد هذا التفاعل الإيجابي في تجمع الفقهاء حول الشيخ عبد السلام التونسي لأخذ العلم عنه، حيث يشير صاحب نظم الدر" فكان يجتمع إليه الفقهاء "[2]. بل إن الفقهاء أنفسهم كانوا وراء استقراره في تلمسان، اذ طلبوا منه الإقامة فيها فأجاب طلبهم[3]، كما يذكر ابن مرزوق " فاجتمع أليه صلحاء تلمسان و فقهائها".[4] ولم تشهد هذه العلاقة صراعات حادة، نظرا للارتباط الوثيق بين التصوف والفقه في ذلك العصر، فلم يكن ثمة متصوف إلا وهو عالم بأحكام الفقه، ولا فقيه إلا وله حظ من التصوف، وقد عبر العلماء عن هذه العلاقة التكاملية بقولهم " لا تصوف إلا بفقه، إذ لا يعرف أحكام الله الظاهرة ألا منه، ولا فقه إلا وله حظ من التصوف، اذ لا عمل إلا بصدق التوجه ولا هما إلا بأيمان، اذ لا يصح واحد منهما بدونه فلزم الجمع لتلازمهم في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد ...[5]".

بل وإن أحد الأئمة الكبار (الامام مالك) قد حذر من الانحراف عن هذا التوازن بقوله: "من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق". فتزندق الأول،

---

[1] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق ، 266.

[2] التنسي، المرجع السابق، ص 126.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص158.

[4] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 275.

[5] أحمد بن زروق ، قواعد التصوف، المصدر السابق، ص 22. ابن عجيبة ، المصدر السابق، ص5.

لأنه قال بالجبر الموجب للنفي الحكمة والاحكام، وتفسق الثاني، لان عمله خال من صدق التوجه والذي هوا حاجز عن معصية الله تعالى وعن الإخلاص المشترط في العمل لله. والثالث تحقق له ذلك لقيامه بالحقيقة في عين التمسك بالحق، أي أن كلامهما متلازمان.[1]

[1]ابن مرزوق، المصدر السابق، ص275.

وفي الختام نستخلص أن الخطاب الأخلاقي الصوفي نجح في تحقيق مساعيه، من خلال تعزيز التضامن والتقليل والتخفيف من معاناة الفقراء، ونشر القيم الأخلاقية وإصلاح السلوكات، وأثر في الحياة السياسية بالإرشاد وصناعة القرارات والوساطة في فض النزاعات، كما ترك المتصوفة أثر جلي في الحياة الدينية بسعيهم للقضاء على البدع وفي الحياة التعليمية فأسهموا في العلوم العقلية والنقلية، وربطة المتصوفة علاقات ودية وتعاون مع الفقهاء في غالب الأحيان.

الخاتمة

بعد هذا المسار البحثي نخرج بحقائق هامة تتجلي في:

شهد المغرب الأوسط خلال الحقبة الوسيطة تفاعلا معقدا بين العوامل الداخلية والخارجية، حيث تحورت الصراعات المحلية تحت ضغط التدخلات الأجنبية، وامتدت تأثيرات هذه النزعات على مختلف مناحي الحياة، لاسيما الجانب الديني، في حين شكلت الموجات الفكرية الوافدة وعلى رأسها التيارات الصوفية تحولات عميقة في النسيج الديني والاجتماعي في المنطقة –المغرب الأوسط–

تمكن التصوف من التجذر في تراب المغرب الأوسط خاصة ما بين القرنين السادس والتاسع هجري بفضل تلاؤمه مع النزعة الروحية للمجتمع بمختلف شرائحه، وإقبالا الواسع عليه، واستطاع هذا الحضور أن يثمر ببروز أعلام ساطعة في سماء التصوف أمثال الشيخ عبد الرحمان الثعالبي، والشيخ أبي مدين شعيب وغيرهما من الأقطاب، كما أنشئت مدارس متخصصة لتعليم هذا العلم، وجرت أحبار المتصوفة فأنتجت مكتبة روحية.

مثلت المؤلفات الصوفية إرثا أدبيا ثمينا، حيث وثقت سير الأولياء ومواقفهم، مما جعلها مراجع أساسية في التربية الروحية عبر العصور، ومن تلك الجواهر النفيسة: "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" يعد روضة من روائع التراجم، "أنس الفقير وعز الحقير" عطر بالعبر والوعظ، و" ومناقب صلحاء الشلف" الذي يزهو بسير الصالحين بالمنطقة وهو في حقيقته اختصار لكتاب "ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار" الكبير لأبي عمران موسى بن عيسى المازوني –الفقيه ،العالم ، القاضي – اكتسى مؤلفه بقيمة تاريخية بالغة في توثيق التراث الروحي والاجتماعي للمنطقة مما جعله موردا ثريا للمؤرخين ووثيقة لا غنى عنها لفهم التراث المغاربي في أبعاده المختلفة خاصة الأخلاقي منها.

يحمل كتاب " مناقب صلحاء الشلف " بين طياته خطابا ساميا تزخر بالقيم الروحية الأخلاقية، كالصبر والتواضع والزهد والإثار وغيرها من المبادئ، وذلك من خلال عبارات صريحة للمازوني، أو سرد حكائي هادف في سير الأولياء والزهاد.

يعد الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الأوسط نموذجا فريدا في البناء الأخلاقي والروحي، تجلت حكمتهم في خطابين متكاملين: مباشر عبر الوعظ والارشاء، وغير مباشر من خلال السيرة والكرامات.

برزت في تلك الفترة ما يسمى "بالكرامة" وهي هبات ربانية خارقة للعادة يمنحها الله تعالي لأوليائه الصالحين المخلصين، وكان لها وقع كبير في نفوس أهل المغرب الأوسط فقد امتدت أبعادها وتأثيراته في شتى مناحي الحياة حيث استخدم الخطاب المناقبي كأداة لشرعية النفوذ الديني وحتى السياسي.

استطاع أولياء الله تحقيق مبتغاهم من خلال خطاباتهم الوعظة وكرماتهم الربانية التي تحولت إلى حركة إصلاحية شاملة، فمن الناحية الاجتماعية ساهمت في تعزيز التضامن الاجتماعي وتقويم الانحرافات، وأصبحت الزوايا مركزا للتعليم والإغاثة، خاصة في ظل اضطرابات والأوبئة التي حلت بالمغرب الأوسط، مما عزز الخطاب المناقبي و الكرامي كأداة لتمتين الروابط الاجتماعية، وفي الأوساط السياسية انعكست إسهامات المتصوفة في خدمة العامة والبلاد سواء في العلاقات السياسية أو في القرارات، كما عملوا على محاربة الخرافات والبدع والزنا والسحر والشعوذة وفي الجوانب التعليمية كانت لهم إصلاحات بارزة في المنظومة التعليمية واسهامات في العلوم العقلية والنقلية.

وعليه فإن الخطاب الأخلاقي للمتصوفة لم يكن مجرد وعظ، بل كان مشروعا حضاريا حول القيم المجردة إلى ممارسات يومية، فصنعوا مجتمعا قائما على الرحمة والتعاون والمعرفة، تظهر هذه التجربة أن الإصلاح الحقيقي يبدأ من القلب ليمتد إلى السلطة والمعرفة. وهو ما يجعله قابلا للاستلهام في معالجة العديد من التحديات المعاصرة.

- لقد أسفرت دراستي ل" الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الأوسط من خلال مناقب صلحاء الشلف" عن نتائج بالغة الأهمية، كشفت عن ثراء الرؤية الأخلاقية التي صاغها أولئك الصلحاء، ومدى تأثيرها العميق في تشكيل الوعي والنسيج الاجتماعي للمنطقة، فقد مثل خطابهم الأخلاقي نسيجا مركبا يجمع بين البعد الروحي والممارسة العملية، ومن هذا المنطلق برزت افاق تفتح أبوابا جديدة للبحث واستكشاف في هذا الموضوع القيم والتي منها:
- الخطاب الصوفي بين الشرع وانحراف من خلال كتب المناقب.

- الخطاب الجمالي الروحي في التصوف المغربي في كتاب مناقب صلحاء الشلف.

الملاحق

قائمة الملاحق

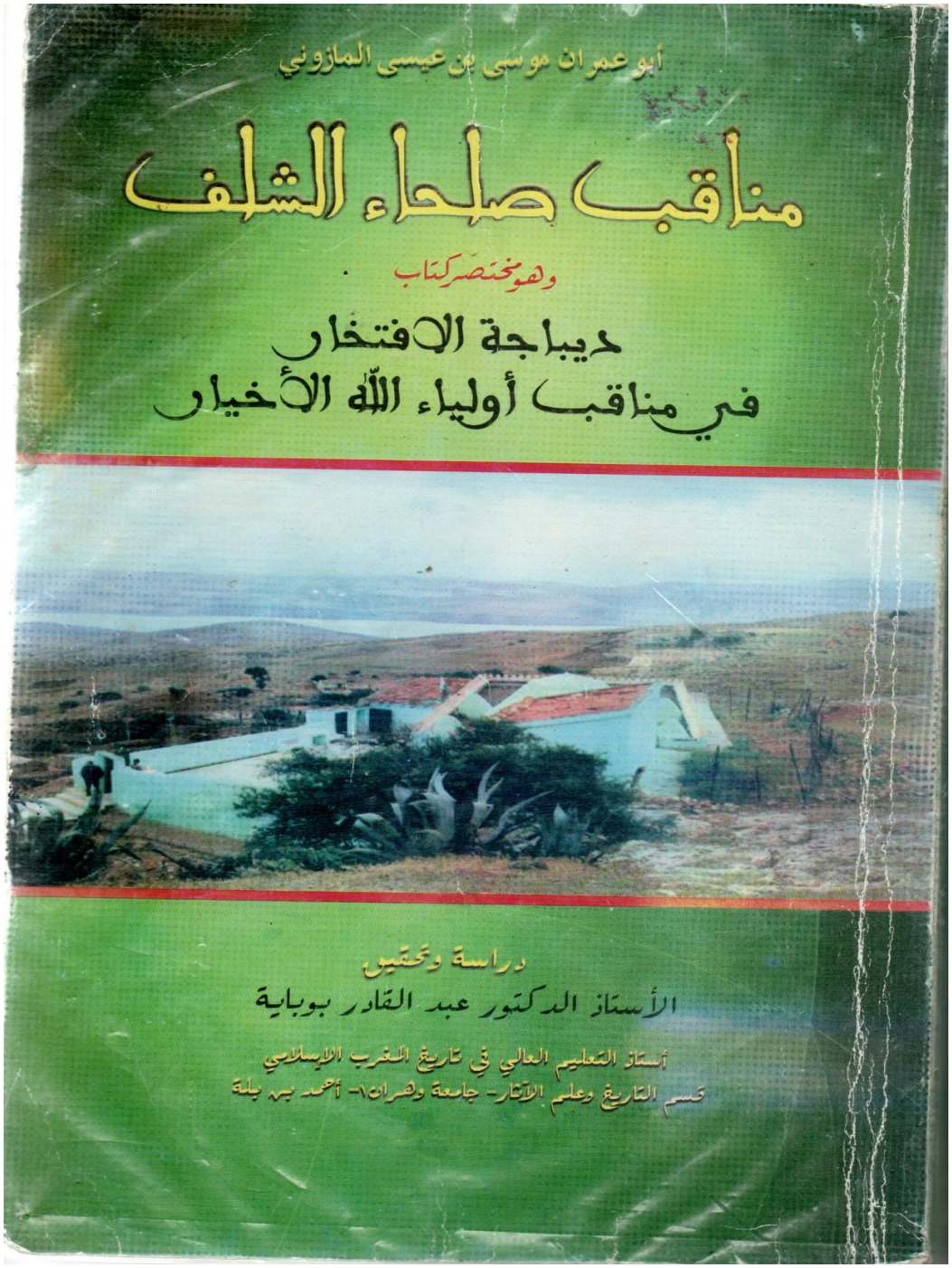

الملحق رقم 01: واجهة كتاب مناقب صلحاء الشلف مطبوعا

(مصدر الدراسة)

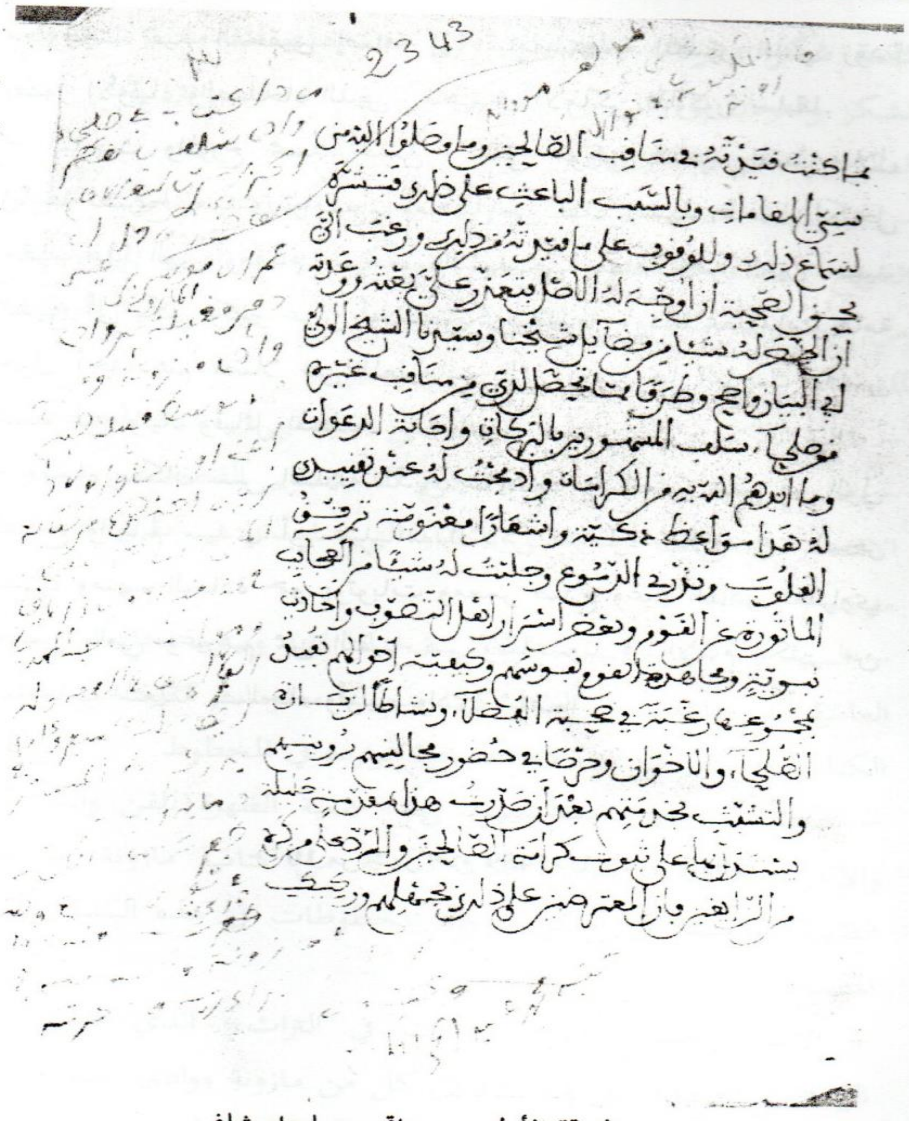

الورقة الأولى من مناقب صلحاء شلف

الملحق رقم 02: مخطوطة كتاب صلحاء

الشلف

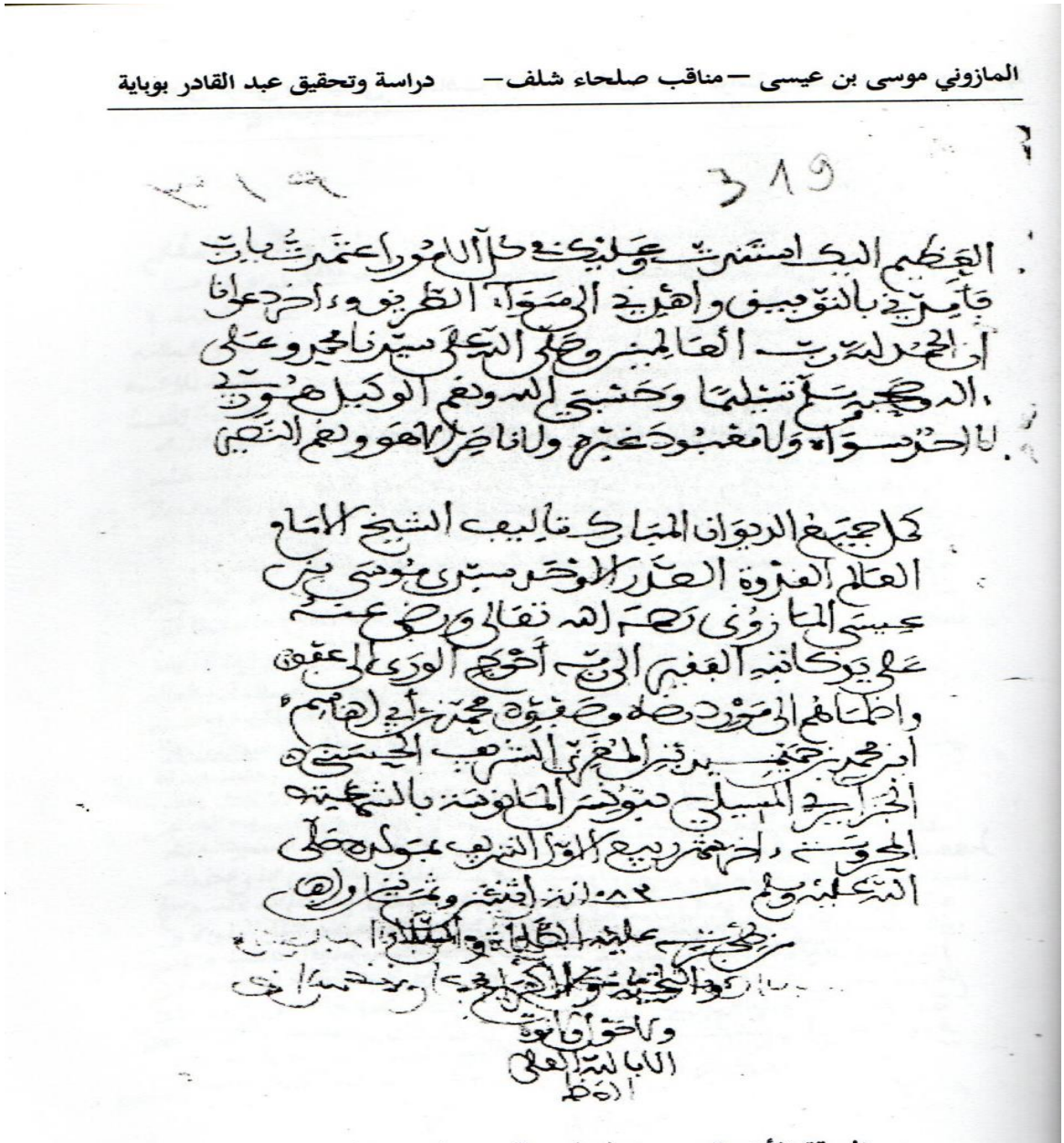

الورقة الأخيرة من مخطوط مناقب صلحاء شلف

الملحق رقم 03: مخطوطة كتاب صلحاء الشلف

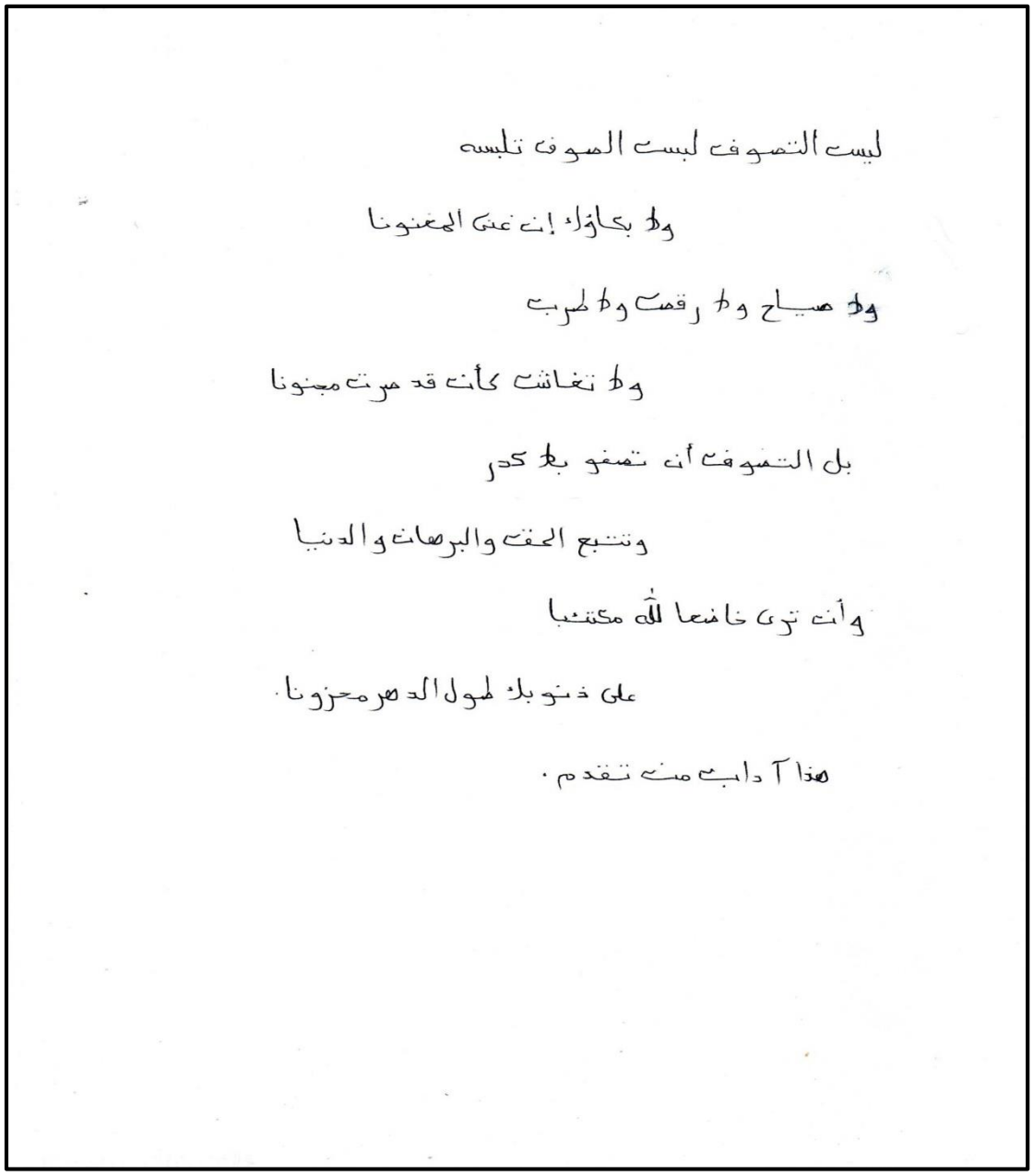
ليست التصوف لبست الصوف تلبسه

ولا بكاؤك إن غنى المغنونا

ولا صياح ولا رقص ولا طرب

ولا تغاشى كأنك قد مرنت مجنونا

بل التصوف أن تمشو بلا كدر

وتتبع الحق والبرهان والدينا

وأن ترى خاشعا لله مكتئبا

على ذنوبك لهول الدهر محزونا.

هذا آدابت منك تقدم.

الملحق رقم 04: خطاب موسى بن عيسى المازوني في تمييزه لماهية التصوف الحقيقي. مناقب صلحاء الشلف، ص245.

يا أخي:

اهتدى الداخلون إليه بأنوار التوجه إليه، والواصلون لهم أنوار المواجهة، فالولوج للأنوار وهو ﷻ، الأنوار لهم ﷻ نهم لله ﷻ شيء دونه. "قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون".

تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب.

الحق ليس محجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه.

يا نداماي صحا القلب صحا

فاطردوا عني الصبا والمرحا

شمروا بردي للنسك وقد

تحسبوا من فاسد إن صلحا

زجر الوعظ فؤادي فارعوى

ولعمر الدهر أمرا فيمن لحا

هكذا كانت مجالس أهل الفضل والحق والصدق ...

الملحق رقم 05: خطاب موسى بن عيسى المازوني الوعظ يحمل قيما أخلاقيا شتى

مناقب صلحاء الشلف، ص273.

خريطة 1: طار الجغرافي لصلحاء وادي الشلف.

عبد القادر بوباية، مناقب صلحاء الشلف، المصدر السابق، ص 432

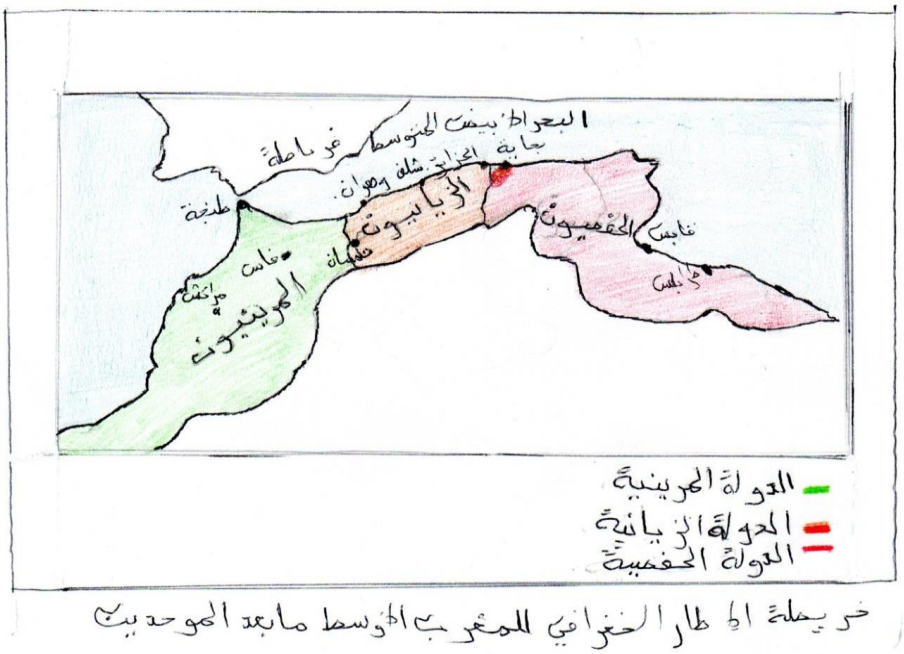

خريطة 2: طار الجغرافي للمغرب الأوسط مابعد الموحدين

من اعداد الطالبة

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.

1. **الأحاديث النبوية**: البخاري محمد إسماعيل، صحيح البخاري، مر محمد على القطب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ج4، 2003م.

أولا المصادر:

1- المصادر المخطوطة:

1. ابن صعد التلمساني محمد بن أبي الفضل بن سعيد ، ت 901هـ، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب، مدونة سيدي بن عزوز البرجي، مكتبة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، (د س ن).

2- المصادر المطبوعة:

1. الأحمر إسماعيل أبو الوليد، روض النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م.
2. الأمدي سيف الدين على بن محمد، الإحكام في أصول الإحكام، مكتبة عاطف، القاهرة، ط1، 1978م.
3. إدريس عماد الدين 872هـ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م.
4. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ج1.
5. البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي، جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكم، تح محمد الحبيب الهلية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج6، 2002م.
6. البكري أبو عبيد ت 487هـ، المغرب في ذكر أهل افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د س ن).

7. _ _ _ _ _ _ ، المسالك والممالك، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ،2003م.
8. التازي محمد ابراهيم ت866هـ، ديوان إبراهيم التازي، در المهدي لعرج، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د س ن).
9. التنبكتي أحمد بابا ت1036هـ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م، ج1.
10. _ _ _ _ _ _ ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، اشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989م، ج1-2.
11. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ت728هـ، المعجزة وكرامات الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د ت ن).
12. _ _ _ _ _ _ _ الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، (د د ن)، (د ب ن)، (د س ن).
13. الثعالبي عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف، الأنوار في آيات النبي المختار، تح محمد الشريف قاهر، أطروحة دكتوراه دولية، دار ابن حزم، الجزائر، ط1، 2005م، ج1.
14. _ _ _ _ _ _ _ _ ، الجوهر الحسان في تفسير القرآن، تح علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 1997م، ج1.
15. ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمان، الحسن البصري نشأته، حياته، بلاغته، زهده، مكتبة الخانجي، مصر، 1931م.
16. _ _ _ _ _ _ _ _ ، تلبيس إبليس، تح أحمد جاد، دار الغد، بيروت، ط3 ،2008م.
17. الجوهري عبد الحميد، التصوف مشكاة الحيران، مكتبة الإسكندرية، المغرب الأقصى ،1987م.
18. ابن الخرذابة أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت300هـ، المسالك والممالك، دار بريل، ليدن المحروسة، 1889م.

19. ابن خلدون أبو زكريا يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح عبد الحميد حاجيات، دار المعرفة، الجزائر، 2011م، ج1.
20. ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، تح كاتر مير، ساحة رياضة الصلاح، لبنان – بيروت عن طبعة باريس سنة 1858م، ج1.
21. _ _ _ _ _ ، مقدمة، مر سهيل زكار، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000، ج6.
22. ابن خلكان أبوالعباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح يوسف علي الطويل ومريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2012 م.
23. الدباغ أبو زياد عبد الرحمان، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،2005م، ج2.
24. ابن أبي دنيا ت281هـ، الصبر والثواب عليه، تح محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت لبان، ط1، 1997م.
25. الرازي يحي بن معاذ ت657هـ، جواهر التصوف، جمع وتعليق سعيد هارون عاشور، مكتبة الآداب، (د، ب، ن)، ط1 ،2002م.
26. ابن زروق الفاسي أبي العباس أحمد بن محمد بن عيسى ت899هـ، قواعد التصوف، تح عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط2، 2005 م.
27. _ _ _ _ _ _، عدة المريد الصادق، تح الصادق بن عبد الرحمان الغرياني، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 2006م.
28. ابن الزيات أبي يعقوب بن يحي التادلي ت617هـ، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبو العباس السبتي، تح أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1997م.
29. الزياني محمد يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح المهدي أبو عبدلي، عالم المعارف، الجزائر، ط1، 2013 م.

30. السلمي أبو عبد الرحمان، طبقات الصوفية، تح أحمد الشرباصي، مؤسسة دار الشعب، ط2، 1998م.
31. السهرودي شهاب الدين أبي حفص عمر، عوارف المعارف، تح أحمد جاد، دار الغد، بيروت، ط1، 2008 م.
32. ابن صغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1986م.
33. عبد القادر جيلاني، سر الأسرار ومظهر الأنوار، تح خالد عنان الزرعي، محمد غسان نصوح، دار السنابل، دمشق، ط3، 1994م.
34. العبدري محمد البلنسي ت720هـ، الرحلة المغربية، سعيد بو فلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، دب، ج4.
35. ابن عجيبة عبد الله بن أحمد (1224هـ)، معارج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كشف النقاب عن سر لب الألباب، تح عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء، (د س ن).
36. ابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار المغرب، دار المناهل، بيروت ،1950، ج1.
37. العقباني أبوعبد لله محمد بن أحمد بن سعيد(ت871هـ/1367م)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح علي الشنوفي، (د د ن)، (د ب ن) ، (دس ن).
38. الغبريني البجائي أبو العباس أحمد بن أحمد (704-714 هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، دار الأفاق الجديد، بيروت، ط2، 1979م.
39. الغزالي محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ت505هـ، احياء علوم الدين، تخريج أبو الفضل العراقي، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 2005م، مج4.

40. أبو القاسم الجنيد، رسائل الجنيد تح علي حسن عبد القادر، مرا جعة، أحمد سلطان وبرعي وجداي، القاهرة، (دس ن).
41. القشيري عبد الكريم بن هوزان أبو القاسم، الرسالة القشيرية، تح عبد الحليم محمود ومحمود بن شريف، مطبعة مؤسسة دار الشعب، القاهرة، (د س ن)،
42. _ _ _ _ _ _، رسائل الإمام الجنيد وأول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة، تح العراقي عاطف وجمع جمال رجب سيدبي، دار اقرأ، سورية – دمشق، ط1، 2005 م.
43. ابن قنفذ القسنطيني لأبي العباس أحمد الخطيب 810هـ، انس الفقير وعز الحقير، اعتنى به وصححه محمد الفاسي وأولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، (د س ن).
44. _ _ _ _ _ _ _ _، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر،1968م.
45. ابن القيم الجوزية أبي عبد الله محمد، مدارج السالكين في منازل السائرين، تح محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، ج2، (د، ت، ن).
46. القلصادي، الاندلسي أبي الحسن علي رحلة القلصادي، تح محمد أبو الاجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د س ن).
47. الكلاباذي أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري، 380هـ، التعرف لمذهب أهل التصوف، تصحيح أرثر جوي أربري، الخانجي، القاهرة، ط1، 1933م ط2 ،1994 م.
48. المازوني موسى بن عيسى، مناقب صلحاء الشلف، تح عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد، الجزائر، ط1، 2017م.
49. _ _ _ _، صلحاء واد الشلف، تح غرداوي نور الدين، دار الخلدونية، الجزائر، 2017م.
50. _ _ _ _ ، التصوف في المغرب الأوسط ويليه مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، تح عبيد بوداود، مكتبة الرشاد، الجزائر، ط1، 2015 م.

51. المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد ا، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تح بشير بكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1.
52. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح سعيد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،1985م.
53. المحاسبي أبي عبد الله الحارث ت 243هـ، الرعاية لحقوق الله، تح عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط4، (دس ن).
54. المراكشي عبد الواحد، وثائق المرابطين الموحدين ، تح حسين مؤنس ،ة مكتبة الثقافة الدينية ، الظاهر ، ط1، 1997م.
55. _ _ _ _ _، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبط وتقديم محمد سعيد عريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1949م.
56. ابن مرزوق التلمساني أبي عبد الله ت 781هـ، المناقب المرزوقية، دراسة وتح سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، المملكة العربية، ط1، 2008 م.
57. ابن مريم أبو عبد الله بن محمد بن أحمد 1014هـ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
58. ابن مسكويه أبو علي أحمد بن محمد ت421هـ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الحسينية المصرية، مصر، ط1، 1908م.
59. المغراوي أحمد بن أبي جمعة ت920هـ، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تح أحمد جلول بدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د س ن).
60. المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار بريل، ليدن المحروسة ط2 ،1906م، ج6.
61. الوزان الفاسي الحسن بن محمد، وصف أفريقيا، تر محمد حجي الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 1983م، ج1.

62. الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي ت914هـ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والاندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف الإسلامية للمملكة المغربية، 1981م، ج2.
63. النيسابوري عبد الرحمان بن الحسن السلمي (ت412هـ)، المقدمة في التصوف وحقيقته، تح يوسف زيدان، مكتبة الكليات الأزهر، (د س ن).
64. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، (ت284هـ)، البلدان، بريل، ليدن المحروسه، 1890م.

ثانيا: المرجع:

1. ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987م.
2. الأمير بوغداد، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني، مطبوعات الكتاب والحكمة، باتنة، الجزائر، 2009م.
3. بدوي عبد الرحمان، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1980م.
4. ـــــــ ، رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962م.
5. بربرعون فيصل، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، 1983م.
6. بسيوني إبراهيم، نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف بمصر، القاهرة (دس ن).
7. بلعربي خالد وآخرون، الملكيات الزراعية وأثرها في المغرب الأوسط 962.160هـ، مشروع بحث جامعي، الفا للوثائق، الجزائر، ط1، 2020م.
8. بلعيد صالح، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، 2009م.
9. البناني أحمد بن محمد، موقف ابن تيمية من التصوف والمتصوفة، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط3، 2005م.

10. بو عزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطة، دوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، ط2، 2009، ج1.

11. _ _ _ _ _ _ _ ، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الوزارة الثقافية، الجزائر، 2007م.

12. _ _ _ _ _ _ ، مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، ط2009م.

13. بوتشيش إبراهيم قادري، الإسلام السري في المغرب العربي، دار سينا للنشر، مصر، ط1، 1990م.

14. بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنيين 6و7هـ، 12،13م، دار المناهل الهدى، عين ميلة ،2004م.

15. حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني، الشركة الوطنية للنشر، 1974م.

16. الخرز خالد جمعة بن عثمان ، موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، (د ب ن)، ط1، 2009م.

17. زغلول سعيد عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، دار المعارف الإسكندرية، ط3، 1993م، ج1.

18. زينهم محمد، قيام الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2013م.

19. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1830، ج1.

20. _ _ _ _ _ _ _ _ _ ، تاريخ الجزائر الثقافي ،عالم المعرفة الجزائرية، 2011، ج1.

21. سميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الإسلام، دار الكتاب العالمي، بيروت، ط4، 1993م.

22. السهلي عبد الله بن دجين ، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، كنوز اشبيليا، الرياض، ط1، 2005م.

23. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير-العصر الوسيط-، النهضة العربية، بيروت لبنان، 1971م.

24. شحاته صيام، الطهر والكرامات قداسة الأولياء، روافد، القاهرة، ط1، 2011م.

25. شقرون محمد بن أحمد، مظاهر الثقافة المغربية من ق 13ق15هـ، مطبعة الرسالة، الرباط، 1970م.

26. الصلابي على محمد ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الأفريقي، دار المعرفة ، بيروت لبنان، ط3، 2009،ج 1.

27. صلاح الدين مقبول، دعوة الشيخ ابن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية، دار ابن الاثير، الكويت، ط1، 1996م،ج1، ص ص15 . 18.

28. طوباش عثمان نوري، الأخلاق المثلى، لأولياء الله، دار الأرقم، إسطنبول، 2016م.

29. عبد الوهاب محمد حلمي، ولاة أولياء السلطة المتصوفة في الإسلام العصر الوسيط، الشركة العربية للأبحاث، بيروت، ط1، 2009م.

30. عبد الجليل العلمي، في أصول التصوف بالمغرب ق6هـ/12م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2014م

31. أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحة في الإسلام، دار الشعب، بيروت، (د س ن).

32. ابن عمير محمد ، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2017. ص ص11 . 13.

33. غرميني عبد السلام، المدارس الصوفية المغربية والأندلسة في القرن السادس للهجرة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 2000م.

34. القبلي محمد، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1987م.

35. قاسم مخلوف محمد بن عمر، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح عبد المجيد جبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ج1.

36. ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، دار الكتب اللبناني، لبنان، ط1، 1984م.

37. محمود إسماعيل، الأدارسة 172 . 375هـ، مكتبة كمدبولي، القاهرة، ط1، 1991م،

38. مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، 2009م، ج1.

39. محمود بوعياد، جوانب من الحياة في الغرب الأوسط في القرن 9هـ -15م، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982م

40. مجموعة من المؤلفين، التصوف السني في تاريخ المغرب، اشراف، أبراهيم قادري بوتشيش، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2010م، ص248.

41. النجار عبد المجيد، المهدي ابن تومرت حياته وأثاره وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب الإسلامي بيروت، 1983م.

42. نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي الافريقية في العهد الحفصي، منشورات كلية الأدب، تونس، ط1 ،2001م.

43. نور الدين عبد القادر، صفاحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى نهاية العهد التركي، كلية الأدب، الجزائر، 1965م.

44. ياجين المقداد، التربية الأخلاقية الاسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، (د س ن).

45. ياسين حسين، ابن خلدون ونظريته في التصوف، دار نينوى، سورية دمشق، 2009م.

ثالثا: تراجم

1. الجرجاني ابن علي، التعريفات، تح إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، (د س ن)، ج1.

2. الحفناوي الديسي أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، تح خير الدين شترة، دار كردادة، الجزائر، ط1، 2012م، ج1.

3. _ _ _ _ _ ، تعريف الخلف برجال السلف ، مطبعة بير فونتانة الشرقية الجزائر، 1906 م.

4. عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي، الجزائر، ط1، 2006م.

5. المناوي عبد الرؤوف بن تاج العارفين، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تح عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، 1994م، ج1، ج2.
6. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت لبنان، ط2 1980م.

رابعا: المعاجم:

1. الأصفهاني راغب، مفردات ألفاظ القرءان، تح صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1992م.
2. جبران مسعود، معجم الرائد لغوي عمري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1992م.
3. شهاب الدين أبو عمر، القاموس الوافي، مراجعة يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1 ،2003 م.
4. فيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ت817هـ، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1986م.
5. مجهول، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4،2، (د س ن).
6. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد ت 711هـ، لسان العرب دار صادر، بيروت، ط1، 1997، مج14،1.

خامسا: المذكرات والرسائل الجامعية:

1. بركات إسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في التاريخ الوسيط، جامعة منتروي، قسنطينة، 2009، 2010 م.
2. بوغداد الأمير، التيارات الدينية في الجزائر خلال القرن 13هـ "التصوف انموذجا"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، كلية العلوم إنسانية، جامعة باتنة 1 ،2020 . 2021 م.
3. بوقاعدة البشير، خراب المدن في المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 547296هـ، رسالة ماجستير، بوزريعة، الجزائر، 20132012م.

4. بونابي الطاهر، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 9.8هـ، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، 2008-2009م.
5. الحكيم ميلود، الكرامة الصوفية في منطقة تلمسان من خلال مدونة ابن مريم " البستان "، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1997-1998م، ص. ص44.50.
6. زروقي عبد الله، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية، أطروحة دكتوراه، العلوم في الأدب العربي، ورقلة 2016-2017 م.
7. الزهري عاشور، نماذج من الأولياء الصالحين وكراماتهم في مجتمع الجزائر، (د د ن)، البليدة 2، (د س ن).
8. شتوي أحمد، مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة والأندلس وثقافتهم بين القرنين 12.6هـ، دكتوراه، كلية الآداب والعلوم إنسانية، جامعة تونس، 1988م، ج1.
9. عبد النجار، المهدي ابن تومرت، رسالة دكتوراه جامعة الازهر، مصر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983م.
10. عبيدلي أحمد، الخطاب الشعري الوصفي المغربي في القرنين السادس والسابع دراسة موضوعاتية فنية، شهادة ماجستير في الأدب المغربي القديم، جامعة الحاج لخضر باتنه، الجزائر، 2004-2005م، ص36.
11. عيسى عبد الرحمان بن عطية بن محمد ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الصوفية، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الحسبة، جامعة أم القرى، السعودية ،2014-2015م.
12. مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588-972هـ، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتور، قسنطينة 2008-2009م.
13. المغزاوي مصطفى، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الموحدي 6-8هـ / 11-13 م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط بوزريعة ،2011-2012 م.

14. منزل الطاهر ، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، لابن صعد التلمساني901هـ ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة قسنطينة 2، 2011 . 2012م.

سادسا: المقالات والدوريات

1. ابن حود أيوب وبالقاسم مالكية، أدب المنتقب: المفهوم والجذور (مجلة مقاليد)، ع 10 ،2016، من 67-78.
2. بوتشيش إبراهيم القادري، واقع الازمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات أواخر ق 6 وبداية ق7، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1994م.
3. بوزيان أحمد، بلاغت الصمت في الخطاب الصوفي (مجلة الأثر)، ع18، 2013م.
4. بونابي الطاهر ، أهمية المخطوطات المناقبية في التاريخ الاجتماعي والثقافي والفكري للمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، (المجلة الجزائرية للمخطوطات)، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف ميسلة، الجزائر من 110.87، (د س ن)
5. تجانت مراد، التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي الأصول والنشأة والتطور (ق2هـ . 7هـ)، محاضرات، جامعة لونيسي علي، البليدة، 2022-2023م.
6. حسن سليمة ، صلاح الدين هدوش، التصوف في المغرب الأوسط زمن الموحدين – أبو مدين شعيب (ت 594 هـ) – (مجلة الإحياء)، المجلد 22، ع31، 2022م.
7. خليلي بختة، دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط، (الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية)، ع15، جامعة بسكرة، 2016م.
8. خوالدية أسماء، الفكه في قصص كرامات الصوفية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015م.
9. داود محمد سليمان، التصوف والأخلاق، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الأنبار، محاضرة للمرحلة الأولى، (د س ن).
10. الزهراني خالد بن محمد بن عبد الكريم، أدلة إثبات الكرامة في الكتاب والسنة، (مجلة الدراسات العربية)، دار العلوم، جامعة ألمينا، مصر، (د س ن).

11. بن ساحة عبد الله تاريخ تلمسان الثقافي من خلال علماء وشعراء الفترة الزيانية، (مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية في شمال افريقيا)، مج5، ع1، الجزائر، من 345 – 360، 2022م.

12. سرور طه عبد الباقي، الحسين الحلاج شهيد التصوف الإسلامي، المؤسسة الهنداوية، (د س ن)، ص 644.

13. سعيدي خديجة، القيم والأخلاق وحضور المؤسسة الصوفية في المجتمع، (مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية)، ع1، الجزائر، 2018م.

14. الطيب جاب الله، دور الطرق والزوايا في المجتمع الجزائري، (مجلة علمية محكمة)، ع14، الجزائر 2013م.

15. عباسي غنية، مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط – دراسة مونوغرافية، مذكرة لنيل درجة الماجستير – قسم التاريخ –كلية الأداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2011-2012م.

16. عبيد بوداود، تصوف المجتمع في بلاد المغرب، (أعمال الندوة الثانية لقسم التاريخ)، تقديم لطفي عيسى، تنسيق الناصر صديقي، وعبد الكريم الشلبي، مجمع الأطوش، تونس، ط1، 2024م.

17. _ _ _ _ _، تيارت الصوفية في الغرب الإسلامي، محاضرة لطور ماستر 2، تاريخ الغرب الإسلامي، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2024م.

18. عتسو سهيلة، الخطاب الصوفي بين الماهية والمرجع، (تأويل وتحليل الخطاب)، ع2، جامعة بجاية، 2020م.

19. العمراني محمد، كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية (أمل، أرشيف الشارخ للمجلات الأدبية والثقافية العربية) ع 35، 2009م من 1 إلى 22.

20. فيلالي بلقاسم ولمين ملاك، قضايا القضاء والتوثيق بمازونة وناحيتها، (مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية)، المجلد 34، ع2، 2020م، الصفحات، 801-834.

21. مجهول، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان مجلد 18، https:// ketabnline.com.

22. المزيدي أحمد فريد، جمع المقال في اثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال، دار الأثار الإسلامية بريلي سريلانكا، القاهرة، ط1، 2006م.

23. المطري أبو الحسن علي بن محمد، كرامات الأولياء بين الاثبات والنفي www.alekah.nat.

24. مغشيش مالك، الخطاب السردي والسياق المرجعي (مجلة إشكالات)، ع12، 2017م.

سابعا: المواقع الالكترونية

1- صبحي منصور أحمد، التعريف بكتب المناقب وأهميتها (العلمانية، الدينية، السياسية والنقد الفكري الديني) 2019، تاريخ الدخول، 2025/2/6 على الساعة 15:13.

2- علا عبد الرزاق، وقفة مع رحلات الرحالة الجزائري محمد بن مرزوق العجسي التلمساني، WWW.old.univ- eloued.dz

3- المصري عمار محمود، الرضا، دار الوطن، الكتيبات الإسلامية،www.ktibt.comK

4- الدوسري محمود بن أحمد، الرضا في حياة المسلم، المكتبة الناطقة، شبكة الالوكة، www.alucah net، تاريخ الإضافة 2019، تاريخ الزيارة 8-4-2025م.

الفهارس

1. فهرس الأعلام

- الجنيد أبو القاسم البغدادي: ص65،43،37،21،19.
- الحارث بن أسد المحاسبي: ص65،62،43،28،19.
- ابن الجوزي: ص57،19.
- معروف الكلاخي: ص43،19.
- القشيري: ص64،56،21،19.
- الإمام الحسن البصري: ص21.
- رابعة العدوية: ص21.
- الحلاج: ص22،21.
- الإمام الغزالي: ص109،78،43،23.
- ابي مدين شعيب: ص81،79،54،44،43،31،25،23.
- عبد السلام التونسي: ص95،81،58،25،24.
- زكريا يحي الزواوي: ص102،88،26،24.
- أبو الفضل النحوي: ص25.
- عبد الله محيو الهواري: ص45،25.
- عبد القادر جيلاني: ص43،27،25.
- يعزي يلنور: ص81،27.
- عبد الرحمان الثعالبي: ص28.27.
- الغبريني: ص30،28.
- ابن مريم: ص91،89،30.
- إبراهيم التازي: ص30.32
- حسن أبركان: ص98،91،32.

- ابن مرزوق التلمساني: ص98،91،88،79،31.
- عيسى بن يحي المازوني: ص38،35.
- يحي بن موسى المازوني: ص38،37.
- الشيخ أبي يعقوب: ص80،47،45،43،39.
- الإمام مالك: ص104،41.
- واضح أبو البيان: ص90،79،68،47،44،42.
- ابي يعقوب التادلي: ص88،43.
- أحمد الرفاعي: ص43.
- أحمد بن مالك: ص71،43.
- الإمام أحمد بن حنبل: ص61.
- يحي بن معاذ: ص63،62.
- يغمراسن بن زيان: ص96،92،79،62،64.
- عيسى عليه السلام: ص75،68.
- سيدي عزوز: ص69.
- ابن تيمية: ص76.
- ابن تومرت: ص91.
- أنس بن مالك: ص103.
- ابن سحنون: ص104.
- أبو ربيع البجائي: ص108.

2. فهرس الأماكن

- القلعة: ص22،24،25.
- بجاية: ص27،30،88،99،102،105.
- تلمسان: ص27،30،36،41،81،88،90،99،102.
- واد الشلف: ص43،35،34،36،44،46.
- الشلف: ص47،67،90.
- مازونة: ص 33،35،37،43،80.
- مغيلة: ص34،35.
- العباد: ص69،90.
- إشبيلية: ص 26.
- مراكش: ص26.
- بسكرة: ص 40.
- بلعباس: ص 42.
- الجزائر: ص42.
- إفريقية: ص44.
- تنس: ص45.
- قسنطينة: ص91.
- تيزي: ص80.

2. فهرس القبائل

- مغراوة: ص36،47،98.
- بني توجين: ص36،47.
- نفزة: ص105

فهرس المحتويات

البسملة

الشكر وعرفان

اهداء

قائمة المختصرات

مقدمة..... 2

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي للبحث..... 11

المبحث الأول: التصوف في المغرب الأوسط: تاريخه وأعلامه ومدارسه: 11

1. المغرب الأوسط جغرافيا وتاريخيا:..... 11

أ. السياق الجغرافي للمغرب الأوسط:..... 11

ب. اتبلور التاريخي للمغرب الأوسط 14

2. انتشار التصوف في المغرب الأوسط: 16

أ. مفهوم التصوف..... 16

ب. نشأة التصوف الإسلامي في المغرب الأوسط وأهميته..... 19

3. المدارس الصوفية وأهم متصوفي المغرب الأوسط: 23

أ. المدارس الصوفية 23

ب. أعلام التصوف في المغرب الاوسط 27

المبحث الثاني: كتب المناقب مصدر للخطاب الأخلاقي التصوفي 31

1.كتب المناقب وأهميتها في تاريخ التصوف في المغرب الأوسط..... 31

أ. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: 32

ب. كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: 33

ج. كتاب "أنس الفقير وعز الحقير: 33

د.كتاب "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المفاخر المناقب: 34
هـ."كتاب روضة النسرين في التعرف بالأشياخ الأربعة المتأخرين..... 34
و. "المناقب المرزوقية..... 35
المبحث الثالث: التعريف بموسى بن عيسى المازوني:..... 35
1-التعريف بالمؤلف:..... 35
أ. مولده ونشأته العلمية: 36
ب. رحلاته العلمية وشيوخه 38
ج. مذهبه: 39
د. تلاميذه 40
هـ. مؤلفاته 41
. "المذهب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق 41
. "حيلة المسافر وأدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه 41
. "قلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاني والشهود..... 42
. "فريدة الاقتباس في كيفية النظر في الأحباس"..... 42
. "تحلية الذهب في علم القضاء والأدب 43
. مناقب صلحاء الشلف..... 44
و. وفاته 44
2-عصر موسى بن عيسى المازوني 45
الفصل الثاني: التحليل الخطاب الأخلاقية في كتاب صلحاء الشلف: 51
المبحث الأول:المفاهيم الأخلاقية في الخطاب الصوفي..... 51
1. تعريف الخطاب الأخلاقي في التصوف:..... 51
أ. تعريف الخطاب: 51

ب.تعريف الاخلاق:..... 52

ج. الخطاب الأخلاقي لدى المتصوفة..... 53

2. الخطاب الأخلاقي في "مناقب صلحاء الشلف" 55

أ. مصادره..... 56

ب. منهج التأليف 58

3. القيمة التاريخية والأدبية للكتاب..... 61

المبحث الثاني:القيم الأخلاقية الأساسية من خلال كتاب صلحاء الشلف 63

1. الصبر والتواضع والتوكل: 63

2.الزهد والرضا:..... 69

3. الامر بالمعروف والنهي عن المنكروالايثار..... 72

المبحث الثالث: تجليات الخطاب الأخلاقي في كتاب صلحاء الشلف..... 75

1.الخطاب القصصي للصالحين وسيرهم الأخلاقية 75

.2خطاب الكرامة: الماهية والأبعاد..... 83

أ. الكرامة 83

. مفهوم الكرامة..... 83

.الكرامة بين النفي والاثبات 84

. الفرق بين الكرامات والمعجزات والسحر 85

ب. خطاب الكرامة 86

. مساعي خطاب الكرامة:. 86

. الأبعاد الكرامية: 88

الفصل الثالث: أثر الخطاب الأخلاقي لمتصوفة المغرب الاوسط..... 92

المبحث الأول: الوظيفة الاجتماعية للخطاب الأخلاقي الصوفي 93

1.تعزيز التضامن الاجتماعي 93

أ.تقليص الفوارق الاجتماعية..... 93

.ب دور الأولياء في مساعدة الفقراء والمحتاجين..... 95

.2تقويم السلوكات الفردية والجماعية..... 101

أ. الشيخ الحرالي(ت638هـ/1240م)..... 105

ب . الولي أحمد الغماري(ت874هـ/1469م)..... 1055

3 اثر الخطاب الكرامي في أوساط مجتمع المغرب الاوسط..... 1066

المبحث الثاني: الوظيفة السياسية للخطاب الأخلاقي الصوفي في المغرب الأوسط..... 108

1. الولي كوسيط بين المجتمع والسلطة: (رؤية إصلاحية، سياسية 108

2. خطاب الكرامة وتأثيره في القرارات السياسية 109

3. الخطاب الأخلاقي كمنهج حكم..... 111

المبحث الثالث: الخطاب الأخلاقي الصوفي وتأثيراته على الحياة الدينية والتعليمية: 113

1-الخطاب الأخلاقي الصوفي وتأثيراته على الحياة الدينية: 113

أ. الدعوات الإصلاح ومحاربة البدع: 113

ب.محاربة الزنا:.....115

ج.محاربة السحر والشعوذة:..... 115

2.الخطاب الأخلاقي الصوفي وتأثيراته والتعليمية التربوية 116

أ. الإصلاح الصوفي في التعليم 117

ب. اسهامات الصوفية في العلوم العقلية والنقلية 119

. العلوم النقلية (الشرعية) 120

.العلوم العقلية 126

3.علاقة الاولياء بالفقهاء..... 127

الخاتمة..... 1350
الملاحق..... 133
القائمة المصادر والمراجع..... 140
الفهارس..... 1607
فهرس المحتويات
ملخص

ملخص

يعالج موضوع البحث ظاهرة دينية اجتماعية كان لها حضور قوي في المغرب الأوسط يمكن تميزها وحصرها من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري، الثاني عشر والخامس عشر ميلاديين، وقد تفاعل معه مجتمع المغرب الأوسط بمخلف شرائحه، وهذه الظاهرة هي الخطاب الصوفي الأخلاقي ذا ابعاد إصلاحية قادها متصوفة المنطقة و زهادها بعد تفشى الانحلال الأخلاقي نتيجة الاضطرابات التي عاشتها المنطقة –تكالب الحفصيين والمرنيين لتوسيع نفوذهما على حساب الدولة الزيانية – فمن خلال كتاب صلحاء الشلف الذي يندرج ضمن المصنفات المناقبي ، رسم لنا لوحة فنية تبرز تصدي الخطابات الأخلاقية الصوفية، لظاهرة الفساد الخُلقي، سواءً بالخطاب المباشر –الوعظ و الارشاد– أو الغير مباشر – القدوة والكرامة– وتمكن هذا المشروع من تأثير في مختلف الجوانب الحياتية: اجتماعيا: " التضامن و الصدقات ...الخ"، سياسيا: "حل النزاعات ، وإلغاء بعض القرارات ...الخ"، دينيا: القضاء على البدع ، علميا: "إثراء العلوم وإصلاح المنهج التعليمي ...الخ"

Résumé

Le sujet de recherche traite un phénomène religieux et social qui a marqué le Maghreb centrale aux 12et13 siècles de l'hégire. Ce phénomène, le discours soufi éthique à dimension réformatrice, a été adopté par la société du Maghreb central à travers ses différentes couches. Porté par les soufis de la région, il a pris de l'ampleur après la propagation de la dégradation morale résultant des troubles qui a connus la région, alors les Etats hafside et mérinide rivalisaient pour étendre leur influence sur I E tat Zianide.

A travers l'ouvrage Salihun al-Shalaf (les pieux du Chelif), qui relève du genre des manaqib (récit s de vertus), l'étude présente un tableau artistique mettant en lumière la manière dont les discours soufis éthiques ont fait face aux manifestations de corruption moraie – que ce soit par des moyens directs comme la prédication et le conseil, ou indirects tels que l'exemplarité et la manifestation de grâce spirituelle (Karama). Ce projet réformateur a réussi à influencer divers aspects de la vie – social, politique et intellectuel.